الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران-1- أحمد بن بلة



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية **قسم التاريخ**

مذكّرة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ

تخصّص: تاريخ إسلامي وسيط
بعنوان:

الحياة الإجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية (138-422هـ/755-1031م)

من إعداد الطالب: **صفي الجين محي الدين** تحت إشراف: **أ. بوداود عبيد**

أعضاء لجنة المناقشة

بوباية عبد القادر	أستاذ دكتور	جامعة وهران 1	رئيسا
بوداود عبيد	أستاذ دكتور	جامعة معسكر	مقررا
بلهواري فاطمة	أستاذة دكتورة	جامعة وهران 1	مناقشا
غازي الشمري	دكتور	جامعة وهران 1	مناقشا
بلعربي خالد	أستاذ دكتور	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
بلبشير عمر	أستاذ محاضر " أ "	جامعة معسكر	مناقشا

السنة الجامعية :1436-1437 هـ/ 2015-2016 م.

استطاع المسلمون، بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير، فتح الأندلس سنة 92هـ/ 711م، فأصبحت بذلك إقليما من أقاليم الدولة الأموية، يحكمه والي يعين، في الغالب، من طرف الخليفة الأموي في دمشق، ودام هذا الوضع إلى غاية 138هـ/ 755م، تاريخ تأسيس الدولة الأموية في الأندلس.

اصطلح على تسمية الفترة المحصورة بين 92 - 138هـ/ 711- 755م في الأندلس بمرحلة الولاة، والتي شهدت بداية تحول المجتمع هناك، من مجتمع مسيحي لاتيني، إلى مجتمع إسلامي عربي، إذ لعبت معاملة المسلمين الحسنة لأهل البلاد، وامتزاجهم بهم، وانتشارهم في كافة أنحاء الأندلس، وتوزيع الجند على عدد من مدنها، دورا حاسما في هذا التحول.

وبذلك تعتبر مرحلة الولاة بحق مرحلة إرساء أسس المجتمع الإسلامي العربي في الأندلس، والذي أخذ ملامحه النهائية في المرحلة اللاحقة، أي في عهد الدولة الأموية 138- 422هـ/ 755- 1031م.

تمكن حكام الدولة الأموية، في أغلب الأحيان، من الحفاظ على وحدة الأندلس الجغرافية والبشرية، ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تحدق بها، واستطاعوا، بفضل السياسة الحكيمة التي انتهجوها، تشجيع العناصر السكانيةالمختلفة، والمتواجدة على أرض الأندلس، من مسلمين ومسيحيين ويهود، على التعايش فيما بينهم، ضاربين أروع الأمثلة في التسامح الديني.

من هذه الزاوية، يمكننا اعتبار المجتمع الأندلسي، خلال هذه المرحلة، النموذج الأرقى للمجتمع الإسلامي، وحُقَّ له أن يحظى باهتمام الدارسين عموما، والمؤرخين خصوصا. وفي هذا المضمار، يندرج بحثنا هذا، والموسوم: ب" الحياة الإجتماعية في الأندلس على عهد الدولة الأموية (138- 422هـ/ 755-1031م)"، والذي سنحاول من خلاله الإجابة على الإشكالية التي فرضت نفسها علينا والمتمثلة في:

ما هي أهم الخصائص التي تميز بها المجتمع الأندلسي عن غيره من المجتمعات الإسلامية المعاصرة له، خلال الفترة محل الدراسة؟ وعن هذه الإشكالية تفرع عدد من الأسئلة، منها: ما هي الطوائف الدينية والجماعات الإثنية التي شكلت المجتمع الأندلسي؟ وما هي

مظاهر تعايش أتباع الديانات السماوية الثلاث على أرض الأندلس؟ وكيف كانت تتكون الأسرة الأندلسية؟ وكيف كانت تقضي أيامها؟

هذه الأسئلة وأخرى سنحاول الإجابة عليها، من خلال معالجتنا لهذا الموضوع، الذي دفعتنا إلى البحث فيه مجموعة من الدوافع، من بينها:

ـ أن عددا هاما من الدراسات الأكاديمية وغيرها، والتي تناولت المجتمع الأندلسي بالبحث من جوانب متعددة، أو تلك التي اكتفت بدراسة جانب واحد، ركزت على المراحل التالية للدولة الأموية عموما، والمرابطية والموحدية خصوصا.

ـ أن مجموعة من المؤرخين الغربيين عموما، ومن الإسبان والفرنسيين خصوصا، ينكرون كليا أو جزئيا التأثير الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، بل ذهب أحدهم إلى التشكيك في دخول المسلمين إليها، وسيطرتهم عليها.

– ادعاء بعض المؤرخين الغربيين بأن تأثير الحضارة الغربية في الفاتحين المسلمين كان أشد وأقوى، حتى أنهم ذابوا في المجتمع المسيحي الإسباني، وتحولوا إلى إسبان، وأن تأثير الحضارة الإسلامية العربية في الإسبان، كان مثل الملون الذي يسقط في الماء، فيؤدي إلى تغيير لونه، إلا أنه يحافظ على طبيعته ومكوناته.

– انسياق بعض المؤرخين العرب خلف الأفكار الخاطئة التي يسوقها المؤرخون الغربيون غير الموضوعيين، وترويجهم لها، من بينها اعتبار المرأة الأندلسية بشكل عام، متحررة ومنعتقة، وسافرة، ولا تتقيد بقيود.

ـ قيام بعض المؤرخين الإسبان المتعصبين للمسيحية، بإلصاق التهم بالمسلمين العرب والبربر الذين تواجدوا في الأندلس، وتحميلهم كل المظاهر السلبية، والتوجه بالسباب إليهم وإلى النبي الكريم ﷺ، ومن هؤلاء المؤرخين، فرانسيسكو خافيير سيموني، صاحب كتاب: " تاريخ مستعربي إسبانيا ".

ـ أن عددا من المؤرخين، سواء الأندلسيين الذين عاصروا الوجود الإسلامي في شبه جزيرة إيبيريا، أو العرب المحدثين الذين أرخوا للأندلس، ركزوا في حديثهم على المسلمين، متجاهلين أو متناسين، الطائفتين الأخريتين المتمثلتين في النصارى واليهود، الذين كانوا يشكلون جزء لا يستهان به من المجتمع الأندلسي.

ـ إضافة إلى الدوافع الذاتية، والمتمثلة في تخصصنا، إبان المرحلة النظرية للماجستير، في دراسة تاريخ وحضارة الأندلس، كما أننا تناولنا بالدراسة مستعربي الأندلس، في إطار الرسالة التي تقدمنا بها لنيل شهادة الماجستير، مما أدى إلى ميلنا إلى المواضيع المتعلقة بالأندلس، ذات الطابع الإجتماعي، فأردنا، من خلال هذا العمل المتواضع، المساهمة في كتابة تاريخ الأندلس، وإثراء المكتبة العربية.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في عدد من النقاط، أبرزها:

ـ محاولة الرد على بعض الأفكار، التي بدت لنا مجانبة للصواب، منها وضعية المرأة الأندلسية.

ـ ولوج بعض المواضيع التي سكتت عنها المصادر، أو أشارت إليها بشكل عرضي، من بينها السلوكات المذمومة التي انتشرت، في الفترة قيد الدراسة، على نطاق واسع.

ـ تبيان مدى تسامح المسلمين تجاه أتباع الديانتين السماويتين الأخريتين، المسيحية واليهودية، بمنحهم الحرية المطلقة في تسيير شؤونهم العامة، وبخاصة الإجتماعية، وبالتالي تفنيد مزاعم المتعصبين وتهمهم للمسلمين باضطهاد المسيحيين واليهود.

ـ التركيز على دراسة الأسرة الأندلسية، باعتبارها نواة المجتمع، والخلية الأساس التي يقوم عليها، مع استعراض أدوارها، وحياتها اليومية، والمشاكل التي كانت تنغص حياتها من حين لآخر.

ـ التركيز على إسلام وعروبة المجتمع الأندلسي، رغم كون غالبية سكانه من المسيحيين والمولدين، إلا أن هؤلاء الأخيرين، تعربوا وتشبهوا بالمسلمين في كثير من عاداتهم، ونقلوا عنهم علومهم وفنونهم، وقد تضاربت الآراء حول هذه الفكرة بين المتعصبين للمسيحية، والمنكرين لفضل المسلمين على إسبانيا خاصة وعلى أوروبا والعالم عامة من جهة، وبين المؤرخين الموضوعيين، المقرين بفضل الإسلام والمسلمين على الحضارة العالمية من جهة أخرى.

انطلاقا من ذلك، حظيت دراسة الحياة الإجتماعية في الأندلس، بنصيب هام من عناية المؤرخين، سواء منهم العرب أو الأجانب، الذين كتبوا فيها كثيرا، إلا أن بعضهم

ركز على ما بعد الدولة الأموية، وبعضهم درس جزئية من الموضوع، والبعض الآخر تناول موضوع المجتمع الأندلسي ضمن دراسة شاملة لتاريخ الأندلس.

ومن بين هذه الدراسات، العمل الذي أنجزه محمد سعيد الدغلي، تحت عنوان: " الحياة الإجتماعية في الأندلس، وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي "، والتي جاءت مقتضبة، وسطحية ومصبوغة بصبغة أدبية، كما أنه لم يتعرض بالدراسة لكافة عناصر المجتمع.

كما ألف حسن يوسف دويدار كتابا بعنوان: " المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، 138- 422هـ/ 755- 1030م "، إلا أنه لم يقتصر في دراسته على الحياة الإجتماعية فقط، بل تعداها إلى دراسة الحياة الإقتصادية والثقافية، وبذلك جاءت دراسته للحياة الإجتماعية مقتضبة، وغير شاملة.

أما الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش، فله عدة دراسات حول المجتمع الأندلسي، منها: " **المغرب والأندلس في عصر المرابطين : المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء**"، وأخرى موسومة ب: " **مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** "، إلا أنه اقتصر في دراسته للمجتمع الأندلسي، على مرحلة الحكم المرابطي.

يضاف إليها، مؤلَّف امحمد بن عبود، بعنوان: " **جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري** "، والذي خصص الفصل الأول منه للحديث عن المجتمع الأندلسي، إلا أنه ركز فيه على مرحلة ملوك الطوائف.

ولأحمد الطاهري كتاب بعنوان "عامة قرطبة فى عصر الخلافة : دراسة في التاريخ الاجتماعي الأندلسي "، يسلط فيه الضوء على طبقة العامة ودورها على جميع الأصعدة، خلال فترة الخلافة الأموية والفتنة البربرية.

وتناول خالد حسن الجبالي موضوع " الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92- 422هـ) "، إلا أنه يجد نفسه في أغلب أجزاء كتابه يتحدث عن المرأة الأندلسية بشكل عام.

أما الدراسات الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع، فأبرزها كتاب: " تاريخ إسبانيا الإسلامية (Histoire de l'Espagne musulmane) "، تناول فيه صاحبه ليفي بروفنسال، تاريخ الأندلس من الفتح إلى غاية سقوط الخلافة الأموية، وخصص الجزء الثالث منه للجانب الإجتماعي، وهو دراسة تاريخية قيمة، لا يمكن الإستغناء عنها.

كما يعد كتاب بيار غيشار Pierre Guichard الذي يحمل عنوان: " البنى الإجتماعية الشرقية والغربية في إسبانيا الإسلامية Structures sociales «orientales» et «occidentales» dans l'Espagne musulmane " ، من أهم ما ألف في تاريخ الأندلس الإجتماعي، والذي اجتهد فيه مؤلفه، معتمدا على أدلة موضوعية، لإثبات عدم ذوبان العرب والبربر في المجتمع المسيحي الإسباني، كما يزعم ذلك بعض المؤرخين الغربيين المتعصبين،وأنهم حافظوا على أصولهم، بل أنهم استطاعوا أن يستوعبوا عددا هاما من المسيحيين، وأن يصبغوا الحضارة، التي نشأت في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي، بصبغة عربية إسلامية.

كما ألف شارل إيمانويل ديفورك Charles Emmanuel Duffourcq كتابا بعنوان: " الحياة اليومية في أوروبا الوسيطية تحت السيطرة العربية (La vie quotidienne dans l'Europe médiévale sous domination Arabe) "، إلا أن صاحبه يعتمد في معلوماته على مراجع فرنسية وإسبانية، وكثيرا ما ينساق وراء الأفكار المتعصبة والخاطئة لأصحاب هذه المراجع.

إضافة إلى كم كبير من المقالات بالعربية وبلغات أجنبية عديدة، المنشورة في مجلات مختلفة، والتي لا يمكننا حصرها، وإنما سنكتفي بذكر بعض منها:

ـ مقال لأنور محمود زناتي بعنوان:" المجتمع الأندلسي في القرن الرابع الهجري من خلال شهادة مؤرخ معاصر (ابن حيان القرطبي) "، أعاد فيه صاحبه تركيب ما سجله ابن حيان القرطبي من أحداث مختلفة عن القرن 4هـ/ 10م.

ـ ومقال للمؤرخ الفرنسي بيار غيشار، بعنوان: " التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة، من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، (من بداية القرن 8 إلى بداية القرن 13) (دراسة شاملة)، صدر مترجما إلى العربية، ضمن مجموعة مقالات، قامت بجمعها سلمى

الخضراء الجيوسي، تحت عنوان الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، اقتصر فيه كاتبه على تتبع مكونات المجتمع الأندلسي خلال العهود التي بها الوجود الإسلامي في الأندلس.

ـ ولنفس المؤرخ، مقال مشترك مع مؤرخ فرنسي آخر لاغاردير فانسون Lagardère Vincent بعنوان: " التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لإسبانيا الإسلامية خلال القرنين 11م و12م، من خلال فتاوى المعيار للونشريسي La vie sociale et économique de l'Espagne musulmane aux XI-XII siècles à travers les fatwā/s du Mi'yār d'Al-Wanšarīšī "، استخرجا فيه عدة نوازل اجتماعية واقتصادية من كتاب المعيار المعرب للونشريسي لفقهاء ومفتين مختلفين، منها نوازل متعلقة بالزواج، وأخرى بالطلاق، وبعضها بالحياة في القرية، إلا أن جلها يعود إلى الفترة المرابطية والموحدية.

عرض ونقد المصادر والمراجع:

وسعيا منا وراء جمع المادة لبناء هذا الموضوع، اطلعنا على عدد من المصادر والمراجع، التي لها صلة به، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، أهمها:

- متون الحديث:

نخص منها بالذكر صحيح البخاري وصحيح مسلم، إضافة إلى كتب أخرى في نفس الإختصاص، استعنا بها في الإستدلال على بعض المسائل الفقهية، وحدود بعض الأفعال المذمومة مثل اللواط، واستخرجنا منها بعض الأحاديث النبوية التي خدمت موضوعنا.

- كتب التاريخ:

ـ كتاب " المقتبس " لابن حيان القرطبي، والذي يقع في خمس قطع، تغطي مرحلة هامة من الفترة قيد الدراسة، أي عهد الإمارة والخلافة الأموية في الأندلس، ورغم أن مؤلفه كان يتتبع أخبار الحكام الأمويين، إلا أنه كان، أثناء ذلك، يسجل أحداثا شهدها المجتمع الأندلسي، أو عادات استشرت فيه، لذلك أفادنا هذا الكتاب أيما إفادة في التعرف على بعض جوانب الحياة الإجتماعية في الأندلس، وفي الترجمة لبعض

الشخصيات، ومما زاد من أهمية هذا المصدر بالنسبة إلينا، أن ابن حيان عاش ردحا من الفترة المعنية بالدراسة.

ـ " رسائل ابن حزم الأندلسي "، وهي، كما هو مبين، لعلي بن سعيد بن حزم الأندلسي، الذي عاش هو الآخر في الأندلس، إبان المرحلة الإنتقالية بين سقوط الخلافة الأموية وقيام ملوك الطوائف، وهذا الكتاب الذي جاء في جزأين، جمع فيه محققه حسين مؤنس، حوالي ثلاث وعشرين رسالة، في فنون علمية مختلفة، منها التاريخية، والأدبية، والفقهية، والفلسفية وغيرها، وجدنا فيه مادة معتبرة خدمت موضوعنا خدمة كبيرة، فيما يتعلق مثلا بوضع المرأة في المجتمع الأندلسي، ونظرة الرجال إليها، وانتشار الغناء، وموقف الفقهاء منه، وغير ذلك من المواضيع.

ـ " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب " لمؤلفه ابن عذاري المراكشي، وبخاصة الجزأين الثاني والثالث، واللذين خصصهما المؤلِّف لتاريخ الأندلس منذ الفتح إلى غاية ملوك الطوائف، وتتمثل أهمية هذا الكتاب في اعتماد صاحبه على مجموعة من المصادر التي تعد الآن في عداد المفقود، كما أنه أرخ للمغرب والأندلس إلى غاية الدولة الموحدية، وأنه يستطرد فيه لبعض الأحداث التاريخية تناول. وقد استعنا به لمعرفة أحوال المجتمع الأندلسي في الفترة الإنتقالية من سقوط الدولة الأموية إلى قيام ملوك الطوائف.

ـ " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ووزيرها لسان الدين بن الخطيب " لصاحبه أحمد بن محمد المقري التلمساني، فرغم أن البعض يصنفه صمن كتب الأدب، إلا أن الفائدة التي يقدمها للباحث في تاريخ الأندلس لا تقاس، إذ يقع هذا المصدر في ثمانية مجلدات، خصص المقري الأربعة الأولى لدراسة الأندلس، والأربعة المتبقية لابن الخطيب لسان الدين.

فالمادة التي حوتها الأجزاء الأربعة الأولى جاءت متنوعة وثرية، إذ تعرض فيه المؤلف إلى موقع الأندلس، ومظاهرها الطبيعية، وثرواتها المختلفة، ثم انتقل إلى الجانب البشري، فذكر عددا من شخصياتها وعلمائها، وما خلفوه من إنتاج علمي وأدبي، وفي ثنايا ذلك يشير إلى جوانب مختلفة من الحياة الإجتماعية في الأندلس، لذلك كنا نعود إليه باستمرار.

كتب التراجم:

" تاريخ علماء الأندلس " ترجم فيه صاحبه ابن الفرضي للعلماء الأندلسيين إلى غاية بداية القرن الرابع الهجري (10م)، باعتبار أنه قتل من طرف البربر إبان الفتنة البربرية أو القرطبية، أي أنه عاش في أواخر الفترة المعنية بالدراسة، لذلك كان اعتمادنا عليه في الترجمة لبعض العلماء الذين وردت أسماؤهم في البحث، كما أنه ضمن بعض التراجم معلومات اجتماعية تخص العلماء، أفادتنا في التعرف على بعض جوانب الحياة الإجتماعية خلال هذه الفترة.

" **الصلة " في تاريخ** رجال الأندلس، جعله مؤلفه ابن بشكوال ذيلا لتاريخ ابن الفرضي، المذكور أعلاه، استعنا به في الترجمة لعدد من النساء الأندلسيات العالمات أو الكاتبات أو المشاركات في علم من العلوم، وبعض العلماء الذين وردت سيرتهم في ثنايا البحث، كما اطلعنا من خلاله على عادات كانت منتشرة في الوسط الأندلسي آنذاك، مثل بعض تلك المتعلقة بالجنائز.

إضافة إلى كتاب " التكملة لكتاب الصلة " لابن الأبار، وكتاب " بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس " للضبي، وكتاب " جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس "، وكلها كتب تراجمية، لجأنا إليها للتعريف ببعض الشخصيات الأندلسية.

كتب الأدب:

يأتي في مقدمتها كتاب " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " من تأليف ابن بسام الشنتريني، الذي التزم في كتابه الضخم هذا بالترجمة لشعراء وأدباء القرن الخامس الهجري(11م)، إذ ترجم لعدد كبير منهم، ودون لبعضهم أشعارا كثيرة، وأطال في الترجمة للبعض الآخر، وبذلك عثرنا في ثناياه على كم من المعلومات، استعنا بها في إثراء بحثنا.

يضاف إلى المصدر السابق، كتاب " المغرب في حلى المغرب " لابن سعيد المغربي، رغم أنه كتاب أدب، وأن صاحبه من شخصيات القرن السابع الهجري (13م)، إلا أنه ترجم لعدد من رجال السياسة والأدب لمراحل متقدمة عن عصره، وبخاصة مرحلة الإمارة والخلافة الأموية، وطعم كتابه بعدد من الإستطرادات، التي أفادتنا كثيرا، بفضل ما حملته من مادة لها صلة بموضوعنا.

إلى جانب هذين المصدرين، تسنى لنا استعمال كتب أدبية أخرى، متمثلة في دواوين لشعراء ينتمون إلى الفترة المدروسة، مثل ديوان يحيى بن الحكم الملقب بالغزال، وديوان ابن زيدون وديوان ابن خفاجة، و" المطرب من أشعار أهل المغرب " لابن دحية الكلبي، و" التشبيهات من أشعار أهل الأندلس" لمؤلفه أبي عبد الله محمد الكتاني، وغيرها، أخذنا منها أشعارا للإستدلال بها، وبخاصة الدواوين لانتماء أصحابها إلى الفترة قيد الدراسة.

كتب النوازل الفقهية:

لعل أبرزها كتاب " ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام " للفقيه أبي الأصبغ عيسى ابن سهل، وتكمن أهميته بالنسبة إلينا، في كون صاحبه من فقهاء القرن الخامس، مما يعني أن أغلب النوازل المدونة في هذا الكتاب، تكون امتدادا لمرحلة الخلافة، لذلك استعنا به، واستفدنا من عدد من النوازل في أخذ فكرة عن بعض جوانب الحياة الإجتماعية في الأندلس، مثل مشاكل الزواج والطلاق وغيرهما.

إضافة إلى كتاب " المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب " للفقيه أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، الذي جمع فيه عددا لا يستهان به من فتاوى فقهاء الأندلس، المنتمين لفترات مختلفة، كما أن تنوع مواضيع هذه الفتاوى، يدفع الباحث إلى الإستعانة به لأخذ صورة عن المشاكل، الإجتماعية خاصة، المثارة في المجتمع الأندلسي.

كتب الجغرافيا:

وردت في البحث أسماء عدد من الأماكن الجغرافية، مثل القرى، والمدن، والأقاليم، والدول، الأمر الذي اضطرنا إلى اللجوء إلى كتب الجغرافيا للتعريف بها، ومن بين هذه الكتب التي استعملناها، " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " للإدريسي، و" معجم البلدان " لياقوت الحموي، و" الروض المعطار " للحميري، كما وجدنا في صفحات هذه المصادر مادة ساعدتنا على إثراء بعض جوانب البحث.

المعاجم اللغوية:

احتجنا في بعض محطات البحث العودة إلى المعاجم لشرح بعض الكلمات التي صعب علينا فهمها، لذا كان اعتمادنا على " المخصص " لابن سيدة المرسي، الذي اتبع طريقة خاصة في شرح الكلمات، بأن يأتي بعضو من أعضاء الإنسان، كالوجه مثلا، أو ظاهرة طبيعية كالمطر، ويذكر كل ما يتعلق بها من كلمات، إضافة إلى " لسان العرب " لابن منظور، ومعاجم أخرى.

إلى جانب المصادر، استعنا بعدد من المراجع العربية والأجنبية، يأتي على رأسها أعمال الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش، التي تتميز بالجدية والرصانة والتعمق، ومنها: "أثر الإقطاع في التاريخ الأندلسي السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري إلى ظهور الخلافة (250-316هـ) " و" المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء) "، وكتاب للمؤرخة عصمت دندش عبد اللطيف بعنوان " الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510- 546هـ/ 1116- 1151م "، وغيرها من المراجع، استفدنا منها في التعرف على بعض السلوكات التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي، وحياة السكان في الأرياف، وغيرها من المعطيات الإجتماعيى المتعلقة بالأندلس.

إلى جانب استعانتنا بعدد من المقالات، خاصة تلك المنشورة في أعداد مجلة المعهد المصري في مدريد، والمتعلقة بالأندلس.

كما استفدنا كثيرا من المراجع الأجنبية المتعلقة بالأندلس، وبخاصة كتاب للمؤرخ الفرنسي بيار غيشار، تحت عنوان: Structures Sociales Orientales et Occidentales dans l'Espagne Musulmane، والذي اجتهد فيه صاحبه لإبراز عدم ذوبان العرب والبربر في المجتمع الإسباني المسيحي، وكتاب لمؤرخ فرنسي آخر ليفي بروفنسال، بعنوان Histoire de l'Espagne Musulmane، وهو من أهم ما كتب بالأجنبية عن تاريخ الأندلس خلال مرحلة الإمارة والخلافة الأموية، وذلك لاعتماد مؤلفه على عدد كبيرمن المصادر الأندلسية، وعدد آخر من المصادر والمراجع الأجنبية.

يضاف إلى كل ذلك مقالات باللغات الأجنبية، عالجت مواضيع مختلفة، مثل المرأة الأندلسية، والمنزل في الأندلس، واللباس في الأندلس، سمحت لنا بالتعرف على وجهات نظر أصحابها، كما وجهت أنظارنا إلى نقاط كانت محجوبة عنا.

ولاستغلال المادة التي حصلنا عليها من المصادر والمراجع، والإستفادة منها بشكل علمي سليم، وظفنا مجموعة من المناهج التاريخية، منها المنهج الوصفي في الفصل الثاني مثلا، عند كلامنا عن البيت الأندلسي، ومكوناته، والأثاث المتواجد فيه.

كما استعملنا المنهج التحليلي، في تحليل بعض الظواهر، منها على سبيل المثال، بعض السلوكات المذمومة التي أشرنا إليها في الفصل الرابع.

إلى جانب المنهج المقارن، في مقابلة بعض الآراء المتباينة، مثل تباين الآراء حول وضع المرأة الأندلسية، أكانت متحررة منعتقة، أم كانت مقيدة الحرية.

وقمنا بتوزيع المادة التي جمعناها على أجزاء البحث، الذي قسمناه إلى فصل تمهيدي وأربعة فصول.

جاء الفصل التمهيد تحت عنوان: " شبه جزيرة إيبيريا قبل الفتح الإسلامي "، بدأناه باستعراض الخصائص الطبيعية لشبه جزيرة إيبيريا، من موقع جغرافي، وثروة مائية، ومواد أولية وأراضي زراعية، حتى يتبين بأنها كانت تتوفر على كل متطلبات استقرار الإنسان، وبالتالي منطقة جلب للقوى العسكرية والشعوب المهاجرة.

ثم انتقلنا إلى الحديث عن العناصر البشرية العديدة التي توافدت على هذه المنطقة ابتداء من القرن الخامس الميلادي، مما أدى إلى صراع حولها بين القوى العسكرية آنذاك من جهة، وقابلية هذه الأخيرة لإيواء مختلف العناصر البشرية التي وطئتها من جهة أخرى. وتدرجنا إلى غاية دخول القوط إليها، وإحكام سيطرتهم عليها حتى مجيء المسلمين.

وخصصنا الفصل الأول الذي حمل عنوان " مكونات المجتمع الأندلسي " للحديث عن العناصر المكونة لهذا المجتمع، من مسلمين وغير مسلمين، مع محاولة تحديد مناطق تجمع كل مجموعة من هذه المجموعات، وكذا الطبقات الثلاث التي يتكون منها المجتمع، مع إبراز خصائص كل طبقة.

وفي الفصل الثاني، الذي عنوناه ب" الأسرة الأندلسية "، تتبعنا خطوات تكوين الأسرة، ابتداء من البحث عن الزوجة، ومرورا بالخطوبة، وانتهاء بحفل الزفاف الذي يعتبر بداية الأسرة الجديدة.

ثم انتقلنا إلى الكلام عن مهام الأسرة في الأندلس، والتي لا تختلف عن مهام أية أسرة مسلمة أخرى، وتتمثل في إنجاب الأطفال، والقيام بختان الذكور منهم، ثم الإعتكاف على تربيتهم، ثم على تعليمهم.

وبما أن المرأة هي العمود الفقري للأسرة والمجتمع معا، خصصنا المبحث الثالث من هذا الفصل للحديث عن وضعها وأهم الأدوار التي قامت بها في المجتمع الأندلسي.

وأفردنا المبحث الرابع للمسكن الأندلسي، باعتباره الحيز الذي يضم الأسرة بين جنباته، فحاولنا إعطاء صورة عنه، بإبراز أهم مكوناته وقطع الأثاث التي توجد بداخله.

أما الفصل الثالث فجاء تحت عنوان " الحياة اليومية للأسرة الأندلسية "، بدأناه بالحديث عن أنواع اللباس الذي كان يرتديه أفراد الأسرة، ذكورا وإناثا، وفي مختلف أوقات السنة.

وانتقلنا بعده إلى الكلام عن طعام الأسرة الأندلسية، من حيث تنوعه، وتعدد أدوات تحضيره، مع الإشارة إلى بعض أنواعه.

وحاولنا في المبحث الثالث حصر وسائل التسلية، فبدأنا بالألعاب مثل الشطرنج وغيره، ثم حملات الصيد التي كان يخرج إليها الأثرياء خاصة، إضافة إلى مجالس الغناء والرقص التي كانت تعقد في قصور الطبقة الخاصة، ثم ما لبثت أن انتشرت بين كافة طبقات المجتمع، مستفيدة من مجموعة من العوامل.

يضاف إلى كل ذلك خرجات النزهة، التي كانت تقوم بها الأسر الأندلسية، كوسيلة للترفيه والتسلية، نحو أماكن متعددة ومتنوعة.

وختمنا هذا الفصل بمبحث رابع، خصصناه للحديث عن الأحداث الأليمة التي كانت تتعرض لها الأسرة الأندلسية، وحصرناها في حدثين كبيرين هامين هما الطلاق ووفاة أحد أفراد الأسرة.

أما الفصل الرابع، وهو الأخير، فجاء تحت عنوان " الأعياد والسلوكات في المجتمع الأندلسي "، تكلمنا فيه عن الأعياد والمواسم التي كان يُحتفل بها في الأندلس، من طرف أتباع الديانات السماوية الثلاث، الإسلام والمسيحية واليهودية، وحاولنا من خلاله إبراز تعايش هؤلاء من خلال احتفالهم بأعياد مشتركة، سميناها أعيادا وطنية أو

قومية، ومدى تسامح السلطات الإسلامية مع اليهود والمسيحيين، يتركهم أحرارا في الإحتفال بأعيادهم الخاصة.

كما حاولنا أن نحصر، في المبحث الثاني، أكثر السلوكات المحمودة والمذمومة انتشارا في الأندلس.

وختمنا عملنا بخاتمة، سعينا فيها إلى جمع أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا العمل.

واجهتني، أثناء إعدادي لهذا العمل، بعض الصعوبات، لعل أهمها كثرة ما كتب عن الأندلس، سواء من طرف المسلمين، أو من قبل الغربيين والمستشرقين، مع تباين آرائهم، ووجهات نظرهم، لاختلاف أهدافهم ومدارسهم، مما صعب علينا أحيانا التوفيق بين هذه الآراء.

وعلى كل، نرجو التوفيق والسداد من الله عز وجل، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا.

1) الخصائص الطبيعية لشبه جزيرة إيبيريا:

أ) التسمية:

يتفق المؤرخون القدامى والمحدثون على أن شبه جزيرة إيبيريا سميت بالأندلس نسبة إلى الوندال، الذين تسميهم المصادر الإسلامية بالأندلش أو الأندليش [1]، وقد دخلوها سنة 409 م، واستقروا بالمناطق الجنوبية منها، وغادروها نحو شمال إفريقيا سنة 429 م، بعدما أحدثوا فيها خرابا ودمارا كبيرين، ونتيجة لذلك حملت المنطقة اسمهم، فأصبحت تسمى "واندالوسيا" أو "فاندالوثيا" [2]، ولما فتح المسلمون شبه جزيرة إيبيريا احتفظوا بهذا الإسم، وأطلقوه على كل المناطق التي وطئتها أقدامهم هناك.

أما ابن غالب، فيرى بأن أندلس من ولد يافث بن نوح، وهو أول من عمر الأرض فسميت به، ويضيف بأن الأندلس هم أول من عمروها [3]. ولنا أن نلاحظ بأن ما ذهب إليه ابن غالب بعيد كل البعد عما وصلت إليه الدراسات الحديثة من نتائج.

بينما ذهب البعض إلى أن كلمة أندلس مركبة من كلمتين، هما أندو (Ando) بلغة الإيبيريين، وتعني ما بعد، ولوزيا (Luzia) وهي مدينة قديمة في مقاطعة بطيقا. [4]

وكانت قد أطلقت على هذه المنطقة، قبل الفتح الإسلامي، عدة أسماء، من بينها إيبيريا أو إبارية نسبة إلى الإيبيريين، وهم إحدى الشعوب الأولى التي سكنتها [5].

كما سماها الرومان إسبانيا أو إشبانيا (Spania أو Hispania)، ويُعتقد بأن أصل هذه

---

[1] ـ المقري التلمساني أحمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1631م) ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ 1408هـ/ 1988م ـ ج 1، ص 133// أبو عبيد البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/ 1094م) ـ المسالك والممالك ـ تحقيق جمال طلبة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1ـ 1424هـ/ 2003م ـ ج 2، ص 378.

[2] ـ حسين مؤنس ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس ـ دار الرشاد ـ القاهرة ـ د.ت ـ ص 263.

[3] ـ ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب (ت 767هـ/ 1366م) ـ قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ـ تحقيق لطفي عبد البديع ـ **مجلة معهد المخطوطات العربية** ـ المجلد 1ـ الجزء1ـ رمضان 1474هـ/ مايو 1955ـ ص 281.

[4]-Rosseeuw S[t] Hilaire, Histoire d'Espagne depuis l'invasion jusqu'au commencement du XIX siecle, F.G Levrault, librairie – editeur, Paris, 1837, tome 1, p 370

[5]ـ الحميري ابن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1495م) ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ تحقيق إحسان عباس ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ ط2، 1980 ـ ص 33.

التسمية فينيقي، إذ أن الفينيقيين أطلقوا على السواحل الجنوبية لشبه جزيرة إيبيريا اصفانيم (I-Schephan-im) والتي تعني في لغتهم شاطئ الأرانب، وعممت هذه التسمية على كل شبه جزيرة إيبيريا من طرف القرطاجيين [1]، إلا أن المؤرخ الفرنسي جورج برنار ديبينغ (G.B. Depping) يشكك في هذا الطرح، ويرى بأن الفينيقيين كانوا يطلقون على كل منطقة يتصلون بها، اسم المادة التي تشتهر بتصديرها، وأن اسبانيا كانت تشتهر بمواد أكثر أهمية من جلود الأرانب، مثل الذهب والحديد، ويصل إلى القول بأن هذه التسمية ليست فينيقية، ولكنها مشتقة من الإسبانية القديمة [2].

ويذهب ديبينغ إلى أبعد من ذلك، بحيث يعتقد بأن أصل كلمة إسبانيا من (Esbana) التي تعني في اللغة الباسكية القديمة " بلد اللغة الجميلة "، كما يمكن أن تكون مركبة من كلمتين (Isp) وتعني في اللغات الشرقية القديمة الحصان، و(Ania) وتعني بلد، والكلمة مجتمعة تعني بلد الخيول [3].

أما المصادر الإسلامية، فيعتقد أصحابها بأن شبه جزيرة إيبيريا سميت إشبانيا أو أشبانيا نسبة إلى رجل حكمها في القديم، وينسجون حوله عدة أساطير وخرافات [4].

ويرى الإدريسي بأن اسم إشبانيا كان يطلق على المناطق الواقعة إلى الجنوب من جبال الشارات، وأما المناطق التي تقع شمال هذه الجبال فكانت تسمى قشتالة [5]. كما أُطلق عليها إسم إسم " بلد الحيات" (Pais de serpiente) [6].

ومن بين كل هذه التسميات، فرضت كلمة الأندلس نفسها كتسمية لشبه جزيرة إيبيريا، خلال العصور الوسطى وإلى حد الآن، إذ لا زالت تطلق على المناطق الجنوبية من دولة إسبانيا.

---

[1] - Bleye, Pedro Aguado ـ Manual de Hitoria de Espana - tomo 1- Madrid- 1967- p 53.

[2] - G.B. Depping - histoire générale de l’Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu’au règne des rois maures - presses D. Colas - Paris - 1811- tome premier - p 53.

[3] - Ibid - p 54 - nota 1.

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1، ص 134 // ابن عذاري المراكشي ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ تحقيق ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ج2 ص3.

[5] الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت 560هـ/ 1165م) ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ 1422هـ/ 2002م ـ مج2 ـ ص 536 .

[6] ـ Bleye, Pedro Aguado, Manual de Hitoria de Espana, tomo 1, Madrid, 1967, p 53.

ب) الخصائص الطبيعية:

قال الرازي:« الأندلس بلاد مباركة طيبة الماء والهواء، وهي شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عرفها وذكائها، أهوازية في عظيم جبايتها وكثرة جبالها، صينية في جواهر معادنها،عدنية في منافع سواحلها، وهي أخصب أرض الله تعالى و أعمرها وأكثرها بركة، وأغزرها نسلا وأعمها خيرا...» [1]، مما يوحي بأن الأندلس لها من المميزات ما جعلها تغري الشعوب والدول القديمة على دخولها والاستقرار بها. وتتمثل أبرز هذه المميزات في:

ـ الموقع الجغرافي:

تقع شبه جزيرة إيبيريا في أقصى جنوب غرب القارة الأوروبية، تعتبر حلقة وصل بين قارة أوروبا التي تتصل بها بواسطة جبال البرتات (Pyrenées)، وقارة إفريقيا عن طريق مضيق جبل طارق، الذي لا يزيد اتساعه في أبعد نقطتين منه عن خمسة عشر كيلومتر، مما سمح بوجود صلات دائمة بين العدوتين، كما سمح هذا الموقع لشبه جزيرة إيبيريا بأن تكون أحد الطرفين المشرفين على مضيق جبل طارق، ذي الأهمية البالغة في التجارة العالمية منذ أقدم العصور.

تأخذ شبه جزيرة إيبيريا شكل مثلث [2]، قاعدته في الشمال، تشكل شنت ياقب [3] (Santiago de Compostel)، الواقعة في أقصى الشمال الغربي، رأسها الغربي، بينما يقع رأسها الشرقي بين برشلونة [4](Barcelona) وطرّكونة [5] (Tarragona)، في موضعٍ يعرف بوادي

[1]ـ نقلا عن مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ ط1ـ 1428هـ/ 2007 م ـ ص 42 // البكري ـ المصدر السابق ـ المجلد 2 ـ ص 383.

[2] ـ الإدريسي ـ المصدر السابق ـ مج2، ص 535 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج1، ص 130.

[3] ـ شنت ياقب أو شنت ياقوب كنيسة عظيمة عندهم، وهي في ثغور ماردة، قاصية غليسية من بلد الجلالقة. ينظر الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 348 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج1ـ ص 129.

[4]ـ برشلونة مدينة على نحر البحر، ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ مج 2، ص 734.

[5] ـ طركونة مدينة أزلية قديمة على ساحل البحر، ولها أحواز كثيرة وحصون منيعة، تتصل بنواحي برشلونة. ينظر: مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 131 ـ 132.

ربلقاطو (Rubricatus) [1]، ورأسه في أقصى الجنوب، وتحديدا عند صنم مدينة قادس (Cadiz) [2]، تطل من الشرق والجنوب عل البحر الرومي أو الشامي (الأبيض المتوسط)، ومن الغرب على بحر الظلمات أو البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ومن الشمال الغربي على خليج بيسكاي، وبذلك يصل الطول الإجمالي لسواحلها إلى 4872 كلم، مما أهلها لأن تلعب دورا هاما في التجارة العالمية في العصور الوسطى، وإلى حد الآن، وأكسب هذه السواحل والمناطق القريبة منها مناخا معتدلا.

ـ وفرة المياه:

من الخصائص الطبيعية التي تميزت بها الأندلس، واسترعت انتباه الجغرافيين والرحالة المسلمين خلال العصور الوسطى، تعدد أنهارها ووفرة المياه بها [3]، إذ يذكر الزهري أن عدد أنهارها بلغ أربعين نهرا، وأن الإنسان لا يمشي فيها فرسخين [4] دون ماء [5].

ويقسّم الجغرافيون أنهار الأندلس إلى مجموعتين حسب مصباتها، المجموعة الأولى تصب في المحيط الأطلسي، وأبرزها:

ـ نهر الوادي الكبير (Guadalquivir)، الذي تقع عليه مدينتي قرطبة [6] (Cordoba) وإشبيلية.

ـ نهر تَاجُهْ (El Rio Tajo) الذي يبلغ طوله ألف وعشرة كيلومتر، وبذلك يكون أطول نهر في شبه جزيرة إيبيريا، ينبع من جبل سان فيليب (Sierra de San Felipe) ويصب في خليج

---

[1] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1، ص 128 والهامش رقم 4.

[2] ـ قادش أو قادس: جزيرة بالأندلس عند طالقة، من مدن اشبيلية من أعجب الآثار بها الصنم المنسوب إلى هذه الجزيرة بناه أركلش، وهو هرقلش. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 448.

[3] ـ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (ت بعد 367هـ/ 977م) ـ صورة الأرض ـ دار مكتبة الحياة ـ 1996 ـ ص 104.

[4] ـ الفرسخ هو مسافة تقدر عند فقهاء المالكية بحوالي 5,5 كلم. ينظر: علي جمعة محمد ـ المكاييل والموازين الشرعية ـ القدس للإعلان والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط2 ـ 1421هـ/ 2001 ـ ص 55.

[5] ـ الزهري، محمد بن أبي بكر (ت بداية ق 6هـ/ بداية ق 12م) ـ كتاب الجغرافية ـ تحقيق محمد حاج صادق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ بور سعيد ـ مصر ـ دت ـ ص 80.

[6] ـ قرطبة قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها... سقطت في يد النصارى في أواخر شوّال من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. ينظر: المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 455 وبعدها.

أشبونة [1] (Lisboa)، بعد مروره بعدد من المدن الهامة، من بينها مدينة وادي الحجارة Guadalajara [2] وطليطلة [3] (Toledo) وشنترين [4] (Santarem)، يساهم في سقي مساحات واسعة من الأراضي الزراعية، كما أنه صالح للملاحة.

ـ وادي آنه أو يانه (Guadiana)، ينبع من جبال طليطلة، ويصب في المحيط الأطلسي، يمر بعدد من المدن من بينها ماردة [5] (Merida) وبطليوس [6] (Badajos).

أما المجموعة الثانية من الأنهار فتصب في البحر الأبيض المتوسط، أبرزها:

ـ نهر إيبرو: (El Rio Ebro) يبلغ طوله من منبعثه إلى مصبه في البحر مسيرة خمسة عشر يوما [7]، وبذلك يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد نهر تاجه، ينبع من سلاسل جبال كنتبريك وجبال البرت، وعلى جانبيه المدن والحصون والقرى، ومن أهم المدن الواقعة عليه مدينة سرقسطة [8] (Saragosa) ومدينة طرطوشة [9] (Tortosa) وتطيلة [10] (Tudela).

---

[1] ـ الأشبونة أو أشبونة أو لشبونة مدينة عظيمة على البحر الأعظم المحيط، وعلى آخر النهر المعروف بتاجه، حيث يصب في البحر، فهي برية بحرية. ينظر: مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 97.

[2] ـ وادي الحجارة مدينة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات وهي مدينة ذات أسوار حصينة ومياه معينة ويجري فيها بجهة غربيها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات, ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ مج2 ـ ص553.

[3] ـ طليطلة قاعدة القوط ودار مملكتهم، وأوفت على نهر تاجه. ينظر: البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 394.

[4] ـ شنترين مدينة على جبل عال كثير العلو جداً ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها وبأسفلها ربض على طول النهر وشرب أهلها من مياه عيون وماء النهر، ولها بساتين كثيرة وفواكه عامة ومباقل وخير شامل. ينظر: المصدر نفسه ـ ص 273.

[5] ـ ماردة كورة واسعة من نواحي الأندلس متصلة بحوز فِريش بين الغرب، والجوف من أعمال قرطبة وهي مدينة رائقة كثيرة الرخام عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 194.

[6] ـ بطليوس الأندلس من إقليم ماردة بينهما أربعون ميلاً ، وهي حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد الله وهي على ضفة نهرها الكبير المسمى الغؤور. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 93.

[7] ـ مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 134.

[8] ـ سرقسطة قاعدة من قواعد مدن الأندلس كبيرة القطر آهلة وهي على ضفة النهر الكبير المسمى ابره وهو نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم وبعضه من جهة جبال قلعة أيوب. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 554.

[9] ـ طرطوشة مدينة عظيمة من بنيان الأقاصرة، حصينة البناء، كثيرة الخصب، جمة البركات، وهي بالضفة الغربية من نهر إبره. ينظر: مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 134.

[10] ـ تطيلة مدينة بالأندلس في شرقي قرطبة تتصل بأعمال أشقَةَ شريفة البقعة غزيرة المياه كثيرة الأشجار والأنهار اختطت في أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 445 ـ 446.

ـ نهر شقر (Rio Jucar) ينبع من جبال القنال (Sierra del Canales) بالقرب من منابع نهر تاجه، يمر بمدينة قونكة [1] (Cuenca)، وتقع عليه بحيرة شقر.

ـ نهر شقورة (Rio Segura)، ينبع من مرتفعات جيان [2] (Jaen)، ويمر بمرسية (Murcia) [3] وأوريولة [4] (Orihuela)، ويصب في البحر المتوسط.

ويجب أن نسجل هنا، بأن اهتمام اليونان والرومان ازداد بشبه الجزيرة، نظرا لأهمية أنهارها الملاحية، بفعل غزارة مياهها واتساع وديانها وأحواضها آنذاك [5].

إلى جانب الأنهار المذكورة، توجد أخرى عديدة، من بينها أنهار تصب في خليج بسكاي في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة، مثل نهر لاندروف (Landrove) وماسما (Masma) والإيو (l'Eo)، هذا الأخير الذي يفصل جليقية (Galicia) عن أشتوريش (Asturias) [6].

يضاف إلى هذه الأنهار، مجموعة من البحيرات ذات المياه العذبة، مثل بحيرة كوربيون (Corbion) على جبل يحمل نفس الإسم، وبحيرة غريدوس (Gredos) قرب طلبيرة [7]، وبحيرة صنبرية (Sanabria) بالقرب من أشترقة [8] (Astorga)، كما تتوفر المياه الجوفية التي كانت تستخرج عن طريق الآبار للشرب أو لسقي الدواب والمواشي والأراضي الزراعية. ولا أحد ينكر أهمية المياه في الحياة الإجتماعية والإقتصادية، إذ يعتبر العامل الرئيس في استقرار الإنسان

[1] ـ قونكة مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية. ينظر: المصدر نفسه ـ ج 4 ص 102.

[2] ـ جيان مدينة حسنة كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم والعسل، وعلى ميل منها نهر بلون وهو نهر كبير وعليه أرحاء كثيرة جداً. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ مج2 ص 568.

[3] ـ مرسية قديمة أزلية، حسنة المنظر، وهي على ضفة النهر المبارك، قد دار بسورها كما يدور السوار بالمعصم. ينظر: مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 135 ـ 136.

[4] ـ أوريولة أو أوريوالة على ضفة النهر الأبيض والنهر الأبيض هو نهرها ونهر مرسية، ولها قصبة في نهاية من الامتناع على قمة جبل. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ص557 ـ 558.

[5] ـ مؤنس حسين ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ـ مكتبة مدبولي ـ ط2 ـ 1986م ـ ص 62.

[6]- Don Isidore ANTILLON, Géographie physique et politique de l'Espagne et du Portugal, Librairie Kilian, Paris, 1923, p 206.

[7]ـ طلبيرة بالأندلس وهي أقصى ثغور المسلمين، وباب من الأبواب التي يدخل منها إلى أرض المشركين، وهي قديمة أزلية على نهر تاجه. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 395.

[8]ـ أشترقة أو أسترقة مدينة قديمة عرفت في العهد الروماني باسم Astorica، تقع على أبواب إقليم جليقية في الشمال الغربي من الأندلس. ينظر: محمد عبده حتاملة ـ موسوعة الديار الأندلسية ـ عمان ـ الأردن ـ ط1ـ 1420/ 1999 ـ ص63.

وقيام الحضارات، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ "[1]، أي أن الله عز وجل لم يستثن أي شيء، إنسانا كان أو حيوانا أو جمادا، من أن تتوقف حياته على الماء.

ـ وجود أراضي صالحة للزراعة:

تنتشر الأراضي الصالحة للزراعة في شبه جزيرة إيبيريا في مناطق معينة، مثل السهول الجنوبية، وأهمها حوض الوادي الكبير، الذي تبلغ مساحة حوضه حوالي ثمان وخمسين ألف كيلومتر مربع (58000 كلم^2)، ويتميز بخصوبة تربته، والسهول الشرقية، أهمها حوض نهر إيبرو الذي تبلغ مساحته خمسة وثمانون ألف ومائتان وثلاثون كيلومترا مربعا(85230 كلم^2)، والسهول الغربية أبرزها حوض نهر تاجو، وهذه السهول تستفيد من مياه الأنهار الكبرى، وتنعم بالمناخ المعتدل [2].

وتوجد أيضا سهول ساحلية ضيقة صالحة للزراعة، تمتد على أغلب سواحل شبه الجزيرة، يضاف إليها مساحات زراعية على هضبة الميزيتا (Meseta) تعتمد اعتمادا كليا على مياه الأمطار، كما تتوفر بهذه الهضبة مساحات رعوية معتبرة.

تمثل الأراضي الزراعية المصدر الرئيس لغذاء الإنسان وحيواناته التي استأنسها، وتوفر له عددا من المواد الأولية التي يحتاجها في بعض صناعاته.

ـ وفرة المواد الأولية المعدنية:

اشتهرت الأندلس بوجود كميات معتبرة من عدد لا يستهان به من المعادن، من بينها الحديد الذي يتوفر بكثرة بألمرية [3]، ويتوزع، إلى جانب النحاس والرصاص، على مناطق عديدة [4].

كما توجد بالأندلس معادن أخرى نذكر منها معدن الذهب في كل من ساحل الأشبونة

[1] ـ سورة الأنبياء ـ الآية 30.

[2]- Don Isidore – op. cit – p 203.

[3] ـ مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 54.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1، ص 143 // البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 386.

ومن نهر لاردة[1] (Lerida) أين يجمع منه كثير[2]، ويتوفر كذلك بوادي حدارة بغرناطة[3] (Grenada)، ومناجم الفضة في الأندلس كثيرةٌ في كورة تدمير[4] وجبال حمّة بجّانة (Pechina)[5]، وبإقليم كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل[6]، ومعادن ثمينة أخرى كالياقوت الأحمر المتواجد بالقرب من حصن منت ميور (Montemayor)[7] بأحواز مالقة[8] (Malaga)، ويوجد بأكشونبة (Ocsonoba)[9] معدن القصدير الجيد[10]، وغيرها من المعادن، يفوق عددها ثمانين معدنا[11].

يضاف إلى المواد الأولية المعدنية، مواد أولية حيوانية أبرزها المرجان الذي يتواجد بكميات هامة بساحل بحر إلبيرة (Elvira)[12]، ومواد أولية نباتية مثل الكهرباء[13] المتوفر بناحية شذونة[14] (Medina Sidonia).

---

[1] ـ لاردة في ثغر الأندلس الشرقي، وهي مدينة قديمة ابتنيت على نهر يخرج من أرض جليقية يعرف بشيقر، وهو النهر الذي تلقط منه برادة الذهب الخالص. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 507.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ح1 ص 143 // البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 385.

[3] ـ غرناطة أو أغرناطة وهي أقدمُ مدُن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، يشقها النهر المعروف بنهر قَلُزم في القديم ويعرف الآن بنهر حدارة، يلقط منه سُحالة الذهب الخالص. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 383.

[4] ـ تدمير :من كور الأندلس سميت باسم ملكها تدمير. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 131.

[5] ـ بجانة مدينة بالأندلس كانت في قديم الدهر من أشرف قرى أرش اليمن. ينظر: الحميري ـ المرجع السابق ـ ص80.

[6] ـ البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 386 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 143.

[7] ـ منت ميور حصن منيع يقع عند مصب نهر منديق، بالقرب من قلمرية. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 726.

[8] ـ مالقة بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر في قبليها. وهي حسنة عامرة آهلة كثيرة الديار. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 517.

[9] ـ اكشونبة أو أكشونية مدينة وكورة تتصل بأحواز الأشبونة وتحتل الركن الغربي الجنوبي من شبه الجزيرة، ولها عدة حصون وأقاليم وأشهر مدنها شلب. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 193.

[10] ـ البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 386.

[11] ـ مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 54.

[12] ـ إلبيرة من كور الأندلس جليلة القدر بين القبلة والشرق من قرطبة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 29.

[13] ـ كهرباء الأرض: مادة صمغية توجد عند سواحل البحر بالأندلس، وخاصة عند أصول الدوم، والنوع الأندلسي منها أصغر وأصلب من المشرقي، وتدخل في تحضير بعض أنواع الأدوية. ينظر: المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 141، هامش رقم9.

[14] ـ شذونة مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن مورور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ مج3 ص 130.

هذه إذاً عينات من المواد الأولية التي تزخر بها أرض الأندلس، والتي أفاض في ذكرها بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين القدامى [1]، إمعانا منهم في إبراز فضائل الأندلس. فهذه الخصائص الطبيعية التي ذكرناها، والتي تميزت بها شبه جزيرة إيبيريا، من موقع جغرافي ممتاز، وطول سواحل، ووفرة مياه، وجودة الأراضي الزراعية، وتعدد المواد الأولية، من شأنها أن تكون مدعاة لجلب أنظار الشعوب والدول منذ أقدم العصور، ولذلك أمَّها عدد منهم، واستقروا بها، وعمروا أجزاء هامة منها، وكانوا بذلك نواة لتشكيل مجتمع شبه جزيرة إيبيريا.

2) الخصائص البشرية لشبه جزيرة إيبيريا:

لا شك أن شبه جزيرة إيبيريا كانت مستقرا لشعوب بدائية خلال العصور الحجرية، إذ تحدد دراسة تاريخية بأن بداية تكوين التجمعات السكانية هناك يعود إلى 5400 ق.م [2]، إلا أننا لن نعود إلى هذه الحقبة المظلمة، لأننا نخشى أن نضيع في متاهة معقدة [3]، لذا سوف نكتفي بالعودة إلى الألف الأولى قبل الميلاد.

أ) السكان قبل القرن الخامس الميلادي:

سكنت شبه جزيرة إيبيريا، خلال الفترة المذكورة، شعوب من أصول وثقافات مختلفة، بعضها ينحدر من أصول جرمانية، وهم الترتيسوس (los Tartesos) والسلت أو الكلت (Los Celtos) والإيبيريون (Los Iberos)، والبعض الآخر من أصول سامية من شرق المتوسط وهم الفينيقيون والقرطاجيون، إضافة إلى الإغريق والرومان من شمال المتوسط.

ـ الإيبيريون: يُعتقد أن أصلهم من آسيا [4]، دخلوا شبه جزيرة إيبيريا في مرحلة متأخرة متأخرة (بين 1000ق.م و500 ق.م)، واستقروا في الجنوب والشرق والوسط بين سواحل البحر

---

[1]ـ البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 صص 384ـ 385ـ 386 // مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ صص من 49 إلى 51 // المقري ـ المصدر السابق ـ من ص 140 إلى 144.

[2] - MARCHAND Grégor et MANEN Claire, le néolithique ancien de la péninsule ibérique: vers une nouvelle évaluation du mirage africain?, CONGRÈS DU CENTENAIRE :Un siècle de construction du discours scientifique en Préhistoire Vol. 3 « … Aux conceptions d'aujourd'hui » J. Évin dir. (2007), p. 133-151, p 133.

[3] - Depping _ op . cit _ p 22.

[4] - Lucien Renard _ Histoire d'Espagne _ Furne, librairie – editeurs _ Paris _1855 _ p 2.

المتوسط وحوض نهر الإيبرو، وسيطروا بذلك على جزء كبير من مساحتها، ولهذا أطلق اسمهم على شبه الجزيرة كلها، ثم اقتصر استيطانهم على حوض نهر الإيبرو. ويعتبر الإيبيريون، بدون منازع، السكان الأوائل لشبه جزيرة إيبيريا [1]. وانتظموا في دول مدن يحكمها نظام ملكي بمجلس نواب ومجلس قضاة وقوانين.

وكان الإيبيريون ينقسمون إلى قبائل عديدة، يطول حصرها، انتشرت في المنطقة المحصورة بين مضيق جبل طارق جنوبا، ونهر الإيبرو شمالا [2].

أما مجتمع الإيبيريين فكان يتكون من طبقة عليا تضم الملاكين الكبار، ثم تليها طبقة التجار ثم العبيد الذين كانوا يشكلون الطبقة الدنيا [3]. أما اقتصادهم فكان يقوم على زراعة منتوجات البحر المتوسط (الحبوب والكروم والزيتون)، إضافة إلى تربية المواشي واستخراج المعادن وإنتاج الأقمشة التي كانت تسوق إلى المستعمرات الفينيقية والإغريقية والقرطاجية [4].

عرف الإيبيريون الكتابة، واكتسبوا مهارات في فن النحت، ومن أهم مخلفاتهم على سبيل المثال تمثال سيدة ألش [5] (Elche) وسيدة بياسة [6] (Baeza) وسيدة تل القديسين أو ثِرُّو دي لوس سانتوس (Cerro de los santos) [7].

ـ الترتيسوس: استقروا في جنوب غرب شبه جزيرة إيبيريا، في ضواحي إشبيلية [8] (Sevilla) وقادس وأونبة [9] (Huelva)، وهناك وُجدت بقايا حضارتهم، وقد قدموا إلى هذه

---

[1]- Rosseeuw S[t] Hilaire, op. cit ـ tome 1, p 33.
[2]- Ibid ـ p 36 – 37.
[3] - Lucien Renard ـ Op. cit ـ p 4
[4] - Depping ـ op. cit ـ p 29.

[5]ـ ألش بالأندلس، إقليم ألش من كور تدمير بينه وبين أوريولة خمسة عشر ميلاً، وألش مدينة في مستو من الأرض يشقها خليج. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 30.

[6] ـ بياسة على كدية تراب مطلة على النهر الكبير المنحدر إلى قرطبة مدينة ذات أسوار وأسواق ومتاجر وحولها زراعات ومستغلات الزعفران بها كثيرة. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 568 ـ 569.

[7]- Vivo, Jose zahanero ـ Historia de España ـ Valencia ـ 1949 ـ p 19.

[8]ـ إشبيلية من أعظم مدن الأندلس، كانت قديما قاعدة ملك الروم، ثم اتخذها المسلمون حاضرة لهم قبل قرطبة. ينظر: الحموي ـ ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 159 // الحميري ـ المصدر السابق ـ 1980 ـ ص 58.

[9] ـ أونبة: قرية في غربي الأندلس على خليج البحر المحيط وما أكثر ما يوجد في حفائر هذه المدينة آثار عجيبة، وهذه المدينة برية بحرية. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 63.

المنطقة من جزر البحر المتوسط واليونان [1]، وقام مجتمعهم على النظام الملكي الوراثي، كما كانت لهم قوانين تحكمهم. أما اقتصادهم فاعتمد أساسا على استخراج معدن الفضة إضافة إلى التجارة وبخاصة مع المستعمرات الفينيقية، كما أجادوا صياغة الذهب.

وكان للترتيسوس كتابتهم الخاصة، إلا أن حضارتهم اختفت ابتداء من القرن6 ق.م، ويعود ذلك إما إلى التوسع القرطاجي، وإما إلى الانقسامات والصراعات الداخلية.

ـ السلت أو الكلت (Los Celtos): من أصل هندو ـ جرماني، قدموا من وسط أوروبا وعبروا أفرنجة أو غاليا[2] (فرنسا حاليا) إلى شبه جزيرة إيبيريا خلال القرن الرابع ق.م، واستقروا في جليقية [3] والبرتغال [4]، ثم توغلوا جنوبا نحو مدينة صورية (Soria) ووادي الحجارة [5] (Guadalajara).

وكان السلت ينقسمون إلى خمس قبائل قوية هي: الكانتابريين (Les Cantabres) والأشتوريين(Les Astures)، والبشكنسيين(Les Vascons)، والجليقيين(Les Galiciens)، واللشدانيين (Les Lusitains) [6].

وبذلك اصطدموا بالإيبيريين، وجرت بين الشعبين حروب، ما لبثت أن توقفت، وانصهر الشعبان مؤلفين شعبا واحدا سمي سلتي إيبيري(Celtiberos)، اتخذ مدينة نومانتيا (Numantia)[7]

---

[1]- Peman, Jose Maria ـ La Historia de España ـ Madrid ـ MCML (1950) ـ p 19.

[2] ـ أفرَنجَةُ: أمة عظيمة لها بلاد واسعة وممالك كثيرة وهم نصارى، وهم يقولون فَرَنك، وهي مجاورة لرومية والروم، وهم في شمالي الأندلس نحو الشرق. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج1 ـ ص 184

[3] ـ جليقية ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال الأندلس في أقصاه من جهة الغرب، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ـ ص 72.

[4] ـ البرتغال أو برتقال أرض في غرب الأندلس، معمورة بالقرى والحصون والعمارات المتصلة وبها خيل ورجال حرابة يغيرون يغيرون على من جاورهم، ومن مدنها قلمرية وشلمنقة وسمورة وآبلة. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ص 725 ـ 726.

[5] ـ وادي الحجارة وهي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة وهي مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات، ولها أسوار حصينة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 606.

[6]- Rosseeuw S[t] Hilaire, op. cit, p 35.

[7] ـ نومانتيا مدينة كانت تقع في إسبانيا، على الضفة اليسرى لنهر دويرو، في مقاطعة قشتالة وليون، بالقرب من مدينة صورية، لا لا زالت آثارها باقية إلى حد الآن. ينظر: Depping, op. cit, p 300.

قاعدة له [1].

وعلى امتداد الألف الأولى قبل الميلاد، شهدت شبه الجزيرة الإيبيرية وصول شعوب استعمارية قوية قادمة من مناطق مختلفة من جهات البحر المتوسط، تتميز بقوتها الإقتصادية والثقافية والعسكرية، مقارنة بالشعوب التي كانت تعمر شبه الجزيرة، وهم الفينيقيون والإغريق والقرطاجيون، جاؤوا كلهم بحثا عن المعادن (النحاس والذهب والفضة) [2]، ثم أنشأوا بها مراكز تجارية.

ـ الفينيقيون: قدموا من سواحل الشام، وأقاموا مراكز تجارية على سواحل شبه جزيرة إيبيريا الجنوبية الغربية للبحر المتوسط، وقد لوحظ تواجدهم فيها منذ القرن 11 ق.م، أين أنشأوا مدينة قادش، واتخذوها عاصمة لهم [3]، ثم أسسوا مدنا أخرى مثل مالقة (Malaca أو Malaga) [4]، والمنكب [5] (Almunacar أو Sexi) وبرشلونة (Barcelona) [6]، وأقاموا علاقات علاقات تجارية مع مملكة الترتيسوس، إذ تبادلوا معهم المنسوجات الرفيعة، التي اشتهر بها الفينيقيون، مقابل المعادن الثمينة [7].

ـ الإغريق: بدأ ظهورهم في شبه جزيرة إيبيريا منذ ق7 ق.م، فأنشأوا في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة مجموعة من المستعمرات أهمها أمبرياس [8] (Ampurias أو Emporion) حوالي حوالي 575 ق.م، وإلى الشمال منها روساس أو روز [9] (Rosas أو Roses)، واتصلوا

---

[1]- Lucien Renard, op. cit, p 4.
[2] - Ibid ـ p 34.
[3] - Pidal ـ Ramon Menendez, Historia de España ـ tomo 1 " España Protohistoric ـ Esposa – Calpe, S.A, Madrid ـ 1952 ـ p 315 – 316.
[4] ـ مالقة مدينة بالأندلس عامرة من أعمال رَية سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. وهي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 197.
[5] ـ المنكب بالأندلس، مرسى صيفي يكن بشرقيه، وله نهر يريق في البحر، وعليه حصن كبير لا يرام، وهي مدينة حسنة متوسطة متوسطة كثيرة مصايد السمك وبها فواكه جمة. ينظر الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 548.
[6]- Berettta, Antonio Ballesteros ـ sintesis de Historia de España ـ tercera edicion ـ salvat editores ـ s.a ـ s.a ـ Baecelona ـ p 15 – 16.
[7]- Lucien Renard ـ op. cit ـ p 37.
[8] ـ مدينة وميناء إسباني في مقاطعة قطلونية. ينظر: Le grand dictionnaire historique - par Mre Louys MORERY - 9ème édition - 1702 - Amsterdam et Lahaye - tome 1 - lettre A - p 154
[9]ـ روساس مدينة وحصن في قطلونيا، ولها ميناء على البحر، وهي قريبة جدا من مدينة أمبورياس. ينظر: Le grand dictionnaire historique - par Louis MORERI - 18éme édition – 1740 - tome 7 - p 199 - 200- lettre R.

بالترتيسوس في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة، وباعوهم منتجات الرفاهية مقابل الحبوب. كما أن علاقاتهم التجارية السلمية مع الإيبيريين ساهمت في تأثر هؤلاء بالإغريق، فأخذوا عنهم زراعة أشجار العنب والزيتون وصناعة سك النقود، إضافة إلى فن النحت، بحيث يظهر تأثير الفن الإغريقي واضحا في تمثال سيدة إلش (La Dama de Elche) [1].

ـ القرطاجيون: دخل القرطاجيون إلى شبه جزيرة إيبيريا بالقوة ابتداء من القرن 6 ق.م، بعد أن ألحقوا هزيمة بالإغريق في معركة علالية البحرية [2] سنة 535 ق.م، وسيطروا على شبه جزيرة إيبيريا إلى غاية 205 ق.م، وأسسوا بها بعض المستعمرات أبرزها إيبوسيم أو يابسة (Ibisa أو Ibusim).

وابتداء من منتصف القرن3 ق.م، وتحديدا سنة 255 ق.م، قام الجيش القرطاجي، بقيادة حنبعل باركا، باحتلال الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة، وأسس مدينة قرطاجنة [3] (Cartago-Nova أو Cartagena)، وظل القرطاجيون يسيطرون على جزء كبير من شبه الجزيرة.

ومع بداية الحرب البونيقية [4] الثانية (218 إلى 201 ق.م)، وجه الرومان حملات عسكرية نحو شبه جزيرة إيبيريا، واستطاعوا افتكاك عدد من المواقع من القرطاجيين.

كما تمكن القائد الروماني سكيبيون الإفريقي [5] (Publius Cornelius Scipion) من إلحاق هزيمة بأصدربعل [6] سنة 209 ق.م والسيطرة على أجزاء واسعة من شبه الجزيرة.

1- Peman ـ La Historia de España ـ op. cit ـ p 25.

2ـ معركة علالية (la bataille d'Alalia) أو معركة سردينيا، وقعت في الفترة من 540 ق.م إلى 535 ق.م، قرب الشواطئ الشرقية لجزيرة كورسيكا، دارت بين التحالف القرطاجي الأترسكي من جهة والفوسيين (الإغريق) من جهة أخرى. ينظر:
Marie-Laure Marquelat- Alalia-Aléria - Centre Régional de Documentation Pédagogique de Corse – 2001 - p 15.

3ـ قرطاجنة وهي فرضة مدينة مرسية وهي مدينة قديمة أزلية لها ميناء ترسى بها المراكب الكبار والصغار وهي كثيرة الخصب والرخاء المتتابع ولها إقليم يسمى الفندون. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 558 ـ 559.

4ـ الحروب البونيقية أو البونية وقعت بين الرومان والقرطاجيين، وهي ثلاث، الأولى (264 ـ 241 ق.م) والثانية (218 ـ 201 ق.م)، والثالثة (149 ـ 146 ق.م)، انتهت بانتصار الرومان، وتدمير مدينة قرطاجة، ونهاية الإمبراطورية القرطاجية. ينظر: جوليان شارل أندري ـ تاريخ إفريقيا الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى ـ تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ـ مؤسسة تاوالت الثقافية ـ 2011 ـ ج1ـ من البدء إلى الفتح الإسلامي 647 م ـ صص 88 ـ 118.

5ـ سكيبيون أو سقيبيون الإفريقي (235 ـ 183 ق.م)، قائد روماني هزم حنبعل أو هنيبعل في معركة زاما 202 ق.م, ينظر:
Le grand dictinnaire historique - Par Luis MORERI - Paris - 1732 - tome 6 p 176 lettre S.

6ـ أصدربعل أو أسدروبال برقا قائد قرطاجي (245 ـ 207 ق. م) قتل في إيطاليا في طريقه لنجدة أخيه حنبعل أو هنيبعل.=

وبعد انهزام حنبعل أمام الرومان في معركة زاما [1] (Zama) سنة 202 ق.م، اضطرت قرطاجة إلى التسليم والخضوع لشروط روما، ومن بينها تسليم شبه جزيرة إيبيريا، وبذلك أصبحت هذه الأخيرة تحت سيطرة الرومان.

ـ الرومان: اضطر الرومان بعد دخولهم إلى شبه جزيرة إيبيريا إلى خوض حربين ضد أهاليها بهدف إخضاعهم، دامت أولاهما من 197 إلى 179 ق.م، بينما امتدت الثانية من 154 إلى 133 ق.م [2]، وانتصر الرومان في كلتيهما، وبذلك تمت لهم السيطرة على شبه جزيرة إيبيريا.

ظل الرومان مسيطرين على شبه الجزيرة إلى بداية القرن الخامس الميلادي، أي أن تواجدهم بها دام حوالي ستة قرون، تأثر خلالها الأهالي، وبخاصة سكان بيطي (Betica)، بمظاهر الحضارة الرومانية، من بينها الحياة الدينية، إذ عُبدت آلهة الرومان مثل جوبيتر[3](Jupiter) ويونون أو جونون [4] (Junon) ومينرفا [5] (Minerva). كما ارتدى الأهالي العباءة الرومانية المسماة (La Toge) أو (La Toga)، في الوقت الذي بقي فيه سكان لوزيتانيا برابرة متخلفين يعتمدون في حياتهم على السلب والنهب، كما ظل سكان المناطق الشمالية معزولين، يعيشون حياة متوحشة [6].

وقد أنجبت منطقة بيطي ثلاثة أباطرة حكموا الإمبراطورية الرومانية، وهم ترايانوس أو تراجانو (Trajanus) (حكم من 98 ـ 117م) [7]، وهدريانوس (Hadrianus) (حكم من 117 ـ

= Le grand dictinnaire historique - tome 1 p 282 lettre A.

[1] ـ للمزيد حول هذه المعركة، ينظر: جوليان ـ المرجع السابق ـ ج2 ص 88.

[2] - Lucien Renard - op. cit - pp 25 – 31.

[3] ـ جوبيتر أو المشتري: كبير آلهة الرومان، وهو عندهم أب الآلهة وسيدها، وإله السماء والأرض والنور والطقس، شيد له الرومان هيكلا على الكابتول في روما، وآخر عظيما في بعلبك. ينظر: Encyclopédie ou dictionnaire raisonné - mis en ordre par M. Diderot - Lausanne et Berne - 1782 - tome 19 p 322- 323 - lettre J.

[4] ـ يونون أو جونون: إلهة رومانية زوجة جوبيتر ، وهي ربة الحب الشرعي. ينظر: Ibid - p 211- 212.

[5] ـ مينرفا: إلهة الحرب عند الرومان، ينسبون إليها حماية الفنون والعلوم. ينظر: Le grand dictionnaire historique - par Mre Louys MORERY - 9ème édition- 1694 - Amsterdam - Lahaye - Utrecht tome 3 p 517 - lettre M.

[6] - Depping - op. cit - p 354.

[7] ـ ماركوس ألبيوس ترايانوس (53 ـ 117م) وهو ماركوس أوليبيوس ينرفا، الإمبراطور الروماني 13، بلغت الإمبراطورية الرومانية في عهده أقصى اتساع لها. ينظر: Le grand dictionnaire historique - par Lois MORERI - les libraires associes - Paris - 1759 - tome 4 - p 588 - lettre T

138م) [1]، وماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) (الذي حكم من سنة 161 إلى 180م) [2]، والذي شهد عهده بداية تحرش البرابرة الجرمان على الإمبراطورية الرومانية، التي ظلت طيلة القرن الثالث الميلادي عرضة لهجماتهم، إلى أن دخلوا روما وعاثوا فيها فسادا.

كان للقوى الكبرى التي تعاقبت على احتلال شبه جزيرة إيبيريا، تأثير كبير على ساكنتها، إذ أصبحوا يقلدون المحتل (الإغريق، الفينيقيين، القرطاجيين، الرومان) في طقوسه التعبدية وفي نمط معيشته، وبخاصة اللباس [3].

كما أن الرومان سعوا إلى رومنة شبه جزيرة إيبيريا، بترسيخ لغتهم وعاداتهم ونمط معيشتهم، ومن غير المستبعد أن يكونوا قد اختلطوا بالسكان الذين سبقوهم إليها.

وخلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين خرجت أعداد هائلة من القبائل الجرمانية المتبربرة من موطنها في شمال شرق أوروبا، تحت ضغط قبائل الهون أوالهياطلة [4]، وتدفقت على على الجهات الغربية لقارة أوروبا، ودخل بعضها، مثل السويف [5] (Suevos) والآلان [6] (Alanos) والوندال [7] (Vandalos)، شبه جزيرة إيبيريا.

ب) دخول البرابرة الجرمان شبه جزيرة إيبيريا:

في حوالي سنة 406 م دخلت مجموعة من البرابرة الجرمان الشرقيين، والمتمثلة في قبائل

---

[1] ـ سيزار ترايانوس هادريانوس أغسطس، الإمبراطور 14، حكم بين 117 و138م، وُلد في طالقة Italica بمقاطعة إشبيلية سنة 76م، تخلى عن السياسة التوسعية التي انتهجها سلفه، وشجع الصناعة والآداب والفنون، كما اهتم بتنظيم الإمبراطورية وإحكام حدودها. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1 p 43- 44

[2] ـ ماركوس أوريليوس، امبراطور وفيلسوف روماني، حارب البرابرة الذين اخترقوا الإمبراطورية الرومانية من الشمال. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 3 - p 188 lettre C.

[3]- Depping - op. cit - p 95.

[4] ـ الهون أو الهياطلة، (Huns) أقوام آسيوية جاؤوا من سيبيريا أو من منغوليا، اجتازوا الفولغا، ودفعوا أمامهم شعوبا متبربرة، متبربرة، وهاجموا الإمبراطورية الرومانية مع بداية ق 5م، ونهبوها. ينظر: عبد الوهاب الكيالي ـ الموسوعة السياسية ـ دار الهدى للنشر والتوزيع ـ د. ت ـ ج 7ص 193 – مادة الهون.

[5]ـ السويف قبائل جرمانية، موطنها الأصلي منطقة بحر البلطيق، في شمال أروربا. ينظر: Lucien Renard - op. cit - p 44.

[6]ـ الآلان سلالة قوطية، كانوا يسكنون قديما المناطق الواقعة بين نهري الفولغا والدون. ينظر: Encyclopedie ou dictionnaire résonné - mis en ordre et publié par M. Diderot- a Berne et a Lausanne - chez les sociétés typographique - 1781 - Tome 2 - p 2.

[7]ـ الوندال قبائل من سلالة جرمانية، موطنها الأصلي على ضفاف نهر الفستولا (Vistule)، شمال بولونيا حاليا. ينظر: Lucien Renard - op. cit - p 45.

السويف، وقبائل الآلان، والوندال، وهؤلاء الأخيرين كانوا منقسمين إلى مجموعتين هما الأسدينغ (Asdingos) والسيلينغ (Silingos)، بلاد افرنجة أو غالة، وظلوا يتحينون الفرصة المواتية للعبور إلى شبه جزيرة إيبيريا، ولم يتسن لهم ذلك إلا في سنة 409 م، عندما رفعت قبائل البشكنس (Vascons)، المكلفة من طرف الرومان بحراسة الممرات الواصلة بين إفرنجة وشبه جزيرة إيبيريا عبر جبال البرت، لواء التمرد عن الإمبراطورية الرومانية [1].

وقدر بعض المؤرخين عدد أفراد القبائل التي عبرت بحوالي مائتي ألف (200 000) نسمة [2]، أمعنوا في قتل الأهالي، وإحراق المزروعات، وتخريب المنشآت، ونتج عن ارتفاع عدد القتلى، ظهور الأوبئة مثل الطاعون، الذي ساهم في هلاك عدد كبير من سكان هسبانيا. ومما زاد في انتشار هذا المرض على نطاق واسع، إقبال الحيوانات على أكل الجِيَف، فساهمت بذلك في انتقاله إلى الإنسان [3].

وفي سنة 411 م، وبعد أن تعب الغزاة من القتل والنهب، وخافوا ألا يبقى في شبه الجزيرة من يحكمون، اتفقوا على اقتسامها بينهم، فكانت منطقة بيطي أو بطيكا من نصيب الوندال السيلينغ، فحملت هذه المنطقة إسمهم، وأصبحت تسمى واندالوسيا (Vandalucia)، أما مقاطعتا لشدانية أو لوزيتانيا (Lusitania) وقرطاجنة فكانتا من نصيب الآلان، وحصل السويف والوندال الأسدينغ على جليقية وليون[4] (Leon) وقشتالة [5] القديمة (Castilla vieja)، بينما بقيت مقاطعة طركونة (la Tarraconaise) مستقلة، يحكمها عدد من النبلاء الرومان، المنشقين عن الإمبراطورية [6].

[1] - Lucien Renard - op. cit - p 45.
[2] - Denis Menjot - Les Espagnes médiévales 409 – 1474 - Hachette Livre – 2001 - p 9.
[3] - Bleye Pedro - op. cit - p 336.
[4] ـ مدينة ليون قاعدة مدن قشتالة وهي عامرة وبها رجال محاربون ولهم معاملات وتجارات بالمكاسب والنتاج ولأهلها همة ونفاسة. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ص 731.
[5] ـ قشتالة عمل من الأعمال الأندلسية قاعدته قشتالة، سمي العمل بها، وقالوا: ما خلف الجبل المسمى الشارات في جهة الجنوب يسمى إشبانيا، وما خلف الجبل من جهة الشمال يسمى قشتالة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 483.
[6] - Denis Menjot - op. cit - p 9.

وعلى إثر هذا التقسيم عاشت شبه جزيرة إيبيريا هدوءا مؤقتا، لم يعمر طويلا، إذ ظهرت قبائل القوط (Goths) الجرمانية المتبربرة، وبدأت تزحف من شرق القارة الأوروبية نحو غربها، مخلفة خرابا ودمارا كبيرين وراءها.

والقوط قبائل جرمانية، كانت تتجمع، قبل القرن الرابع الميلادي، قرب منابع نهر الفستولا، موطنهم الأول، ثم انتقلوا إلى جنوب ووسط اسكندنافيا، ثم تحولوا إلى سواحل البلطيق، ثم انحدروا جنوبا واستقروا بين نهر تيزا (Theiss) ونهر الفستولا، أي في المجر وسلوفاكيا وجنوب بولونيا حاليا [1].

وأمام خطر الهون أو الهياطلة، اضطر القوط إلى ترك أراضيهم، وانقسموا إلى مجموعتين كبيرتين، إحداهما واجهت الهون، وانهزمت واضطرت إلى الخضوع لهم، واستقرت في منطقة بانونيا (Pannonia)، وهؤلاء هم القوط الشرقيون (Ostrogoths)، أما المجموعة الثانية، وهم القوط الغربيون (Wisigoths)، ففضلوا عدم مواجهة الهون، واتجهوا غربا نحو أراضي الإمبراطورية الرومانية، وتدفقوا على نهر الدانوب (Danube) سنة 376 م، وقدر عددهم بحوالي 000 40 نسمة، منهم 8000 مقاتل [2].

وفي 409 م تمكن القوط الغربيون، بقيادة زعيمهم ألاريك (Alaric) (395 ـ 410 م)، من مهاجمة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وعاثوا فيها فسادا، ثم انسحبوا بعدما أخذوا معهم غالا بلاسيديا (Galla Placidia) أخت الإمبراطور الروماني هونوريوس [3] (Honorius) (384 ـ 423 م)، والتي تزوجها أطاولف (Athaulf) (410 ـ 415 م) خليفة ألاريك على قيادة القوط.

استقر القوط بقيادة أطاولف في أربونة [4] (Narbonne)، ثم قرر الدخول إلى شبه جزيرة جزيرة إيبيريا، بتشجيع من الإمبراطور هونوريوس، الذي كان يريد الإنتقام من الجرمان الذين

---

[1] - Lucien Renard - op. cit - p 46 - 47.

[2]- PIRENNE Henri - Mahomet et Charlemagne - presses universitaires de France - Paris - 1992 - p 8.

[3] ـ هونوريوس ابن ثيودوسيوس، أول إمبراطور للغرب منذ 395 م، اقتسم الإمبراطورية مع أخيه أركاديوس بعد موت أبيهما، وقد تعرضت إمبراطوريته في عهده لهجمات البرابرة الجرمان, ينظر: - Dominique et Michèle Frémy - quid 1992 - édition Robert Laffont - p 992

[4] ـ أربونة آخر الأندلس ممّا يلي فرنجة، بينها وبين قرطبة ألف ميل. ينظر: ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد الهمذاني (ت 340هـ/ 951م) ـ البلدان ـ تحقيق يوسف الهادي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط1 ـ 1416 هـ/ 1996م ـ ص 134.

استولوا عليها، إلا أنه توفي فيها مقتولا من طرف بعض أتباعه سنة 415 م، وخلفه أخوه واليا أو فاليا (Wallia ou Vallia) (415 ـ 418 م) [1].

استطاع فاليا أن يكسب ثقة الإمبراطورية الرومانية، خاصة بعد أن أعاد غالا بلاسيديا إلى روما [2]، فعقد مع الإمبراطور الروماني اتفاقا سنة 416 م، يقضي بتزويد القوط بكميات هامة من القمح، والإعتراف بفاليا وجيشه كمحاربين تابعين للإمبراطورية، ومنحه مقاطعة أقطانية أو أكيتانيا (Aquitaine) [3]، وفي مقابل ذلك يقوم القوط بتخليص شبه جزيرة إيبيريا من السويف والآلان والوندال [4].

وعملا بالإتفاق المبرم بينه وبين الإمبراطور الروماني، قام ملك القوط فاليا بالتوغل في شبه جزيرة إيبيريا، ومهاجمة الوندال السيلينغ المتمركزين في مقاطعة بيطي الواقعة في الجنوب، والتي تشتهر بغناها بالمواد الأولية والأراضي الزراعية، كما كانت تضم عددا معتبرا من الأسر الرومانية النبيلة المالكة لامتيازات اقتصادية هامة [5]، فسحق الوندال، ولجأ ما تبقى منهم إلى السويف المتمركزين في جليقية.

ثم توجه القوط إلى لشدانية، وألحقوا بالآلان هزيمة ساحقة، وقتلوا ملكهم " أطاكس" (Atax)، ولكنهم عادوا إلى أقطانية سنة 418 م [6]، وتركوا السويف والوندال الأسدينغ متحصنين بالمناطق الجبلية الشمالية الغربية لشبه جزيرة إيبيريا.

إلا أن الوندال قاموا بهجوم على السويف، حلفائهم السابقين، مما اضطر هؤلاء إلى الإحتماء بالمناطق الجبلية الوعرة، فاستغلت القوات الرومانية المتمركزة في شبه جزيرة إيبيريا، مستعينة بالقوط، هذا الوضع، وأعلنت الحرب على الوندال، غير أن هؤلاء الأخيرين استطاعوا بقيادة جندريك أو غندريش (Gunderich) أن يلحقوا بها هزيمة بالقرب من طركونة، ثم نهبوا قرطاجنة وجزر البليار، واستولوا على إشبيلية [7]، وبها توفي ملكهم غندريش سنة 428 م،

---

[1]- Lucien Renard - op. cit - p 48.
[2] - ibid - p 49.
[3] ـ أكيتانيا هي منطقة في جنوب فرنسا، محصورة بين نهر اللوار وجبال البرت. ينظر: le grand dictionnaire historique, tome 1[er] - lettre A - p 230
[4]- Denis Menjot - op. cit - p 8.
[5]- ibid - p 9.
[6]- Lucien Renard - op. cit - p 50.
[7]- ibid - p 51.

وخلفه أخوه جنصريك [1] (Genseric) (428 ـ 477 م) [2].

استطاع جنصريك، في ماي من سنة 429 م، أن يحقق حلم الوندال المتمثل في العبور إلى شمال إفريقيا، وهو حلم قديم ظل يراودهم منذ عهد قائدهم ألاريك [3] (Alaric) (395 ـ 412 412 م) [4]، وبذلك تخلصت شبه جزيرة إيبيريا من الوندال بصفة نهائية

3) مملكة القوط في شبه جزيرة إيبيريا:

أ) بداية احتكاك القوط بشبه جزيرة إيبيريا:

استغل السويف عبور الوندال إلى شمال إفريقيا، وقاموا بالتوسع في المنطقة الشمالية الغربية، وسيطروا على عدة مدن، أبرزها إفراغة [5] (Braga أو Fraga)، التي اتخذوها عاصمة لهم، وأصبحت لشدانية وجليقية وجزء هام من بلاد البشكنس تحت سيطرتهم، أما منطقة قرطاجنة والساحل الشرقي لشبه جزيرة إيبيريا فكانت تحت سيطرة الرومان، بينما ظل القوط يفرضون سيطرتهم على مداخل جبال البرت.

وبعد اعتلاء ريشيار [6] (Rechiair)(448 ـ 456 م) عرش مملكة السويف، تزوج، في سنة سنة 449 م، بابنة ملك القوط ثيودوريك الأول [7] (Theodoric I) (418 ـ 458 م)، واستغل

---

[1] ـ جنصريك أو جنسريق ملك القوط في إسبانيا، انتصر على ملك السويف، وعبر على رأس ثمانين ألف (80000) شخص إلى شمال إفريقيا بطلب من الكونت بونيفاسيوس، الوالي الروماني على هذه المقاطعة. ثم أسس جنصريك هناك مملكة واسعة. ينظر: .Le grand dictionnaire historique - Tome 3 - lettre G - p 33

[2]- Lucien Renard - op. cit - p 52.

[3] ـ ألاريك الأول، ملك القوط، خلف تيودوز الأكبر، وهاجم إيطاليا سنة 409 م، ليتخذها معبرا نحو إفريقية، إلا أنه توفي قبل تحقيقه لهذا الحلم. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1 - lettre A - p 74

[4] - Encyclopédie ou dictionnaire raisonné des sciences - tome 2 - p 10

[5] ـ إفراغة مدينة بالأندلس غربي لاردة، بينهما ثمانية عشر ميلاً، وهي على نهر الزيتون، حسنة البناء لها حصن منيع لا يرام وبساتين كثيرة لا نظير لها. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 48.

[6] ـ ريشيار، ملك السويف في إسبانيا، لم يحترم المعاهدات التي أبرمها مع الرومان، هُزم على يد أخي زوجته ثيودوريك الثاني سنة 456م، وقتله في نفس السنة. ينظر: .le grand dictionnaire historique - tome 7 - lettre R - p 51

[7] ـ ثيودوريك الأول ملك قوطي خلف فاليا، شارك إلى جانب الرومان والسويف في معركة Chalon-sur-Marne لرد زحف زحف الهون نحو جبال البرت، وتوفي سنة 451. ينظر: - Le grand dictionnaire historique - par Luis MORERI 18ème édition - Amsterdam, Lhaye, leyden, Utrecht - 1740 - tome 8 -p 88 - lettre T.

ريشيار هذه المصاهرة وتوسع على حساب أراضي الإمبراطورية الرومانية في شبه جزيرة إيبيريا، إذ قام
بنهب مدينتي لاردة وسرقسطة في مقاطعة طركونة [1].

إلا أن التحالف بين القوط والسويف لم يدم طويلا، إذ اضطر ملك القوط ثيودوريك الثاني [2] (Theodoric II) (453 ـ 466 م) إلى الدخول في حرب ضد ريشيار والقضاء عليه سنة 456 م [3]، وبذلك أظهر السويف خضوعهم للقوط، وكفوا عن أعمال التخريب.

وبمجرد مقتل ثيودوريك الثاني، اعتلى أخوه أوريك أو إفاريك [4] (Euric ou Evaric) (466 ـ 484 م) عرش مملكة القوط الغربيين، ولقب نفسه ملكا سنة 467م [5]، وأرسل قواته إلى إلى شبه جزيرة إيبيريا لمحاربة السويف والرومان على حد سواء، واستطاع قهرهم، والسيطرة على جل أجزاء هسبانيا ابتداء من 473 م [6]، وربطها بمملكة القوط الواسعة في أكيتانيا، والتي كانت مدينة طلوشة [7] (Toulouse) عاصمة لها.

بعد وفاة أوريك، خلفه ابنه ألاريك الثاني [8] (Alaric II) (484 ـ 507 م)، الذي كان عليه أن يواجه خطر الفرنجة، بقيادة ملكهم كلوفيس الأول [1] (Clovis I)(481 ـ 511 م)،

[1] - Denis Menjot, op. cit, p 10.

[2] ـ ثيودوريك الثاني، ابن ثيودوريك الأول، اغتال أخاه ثورسمند وانتزع الملك منه سنة 453 م، وسيطر على أربونة، ثم توجه نحو ماردة، إلا أنه تراجع. قتل سنة 466 م، واستلم الحكم أخوه يوريك. ينظر: المرجع نفسه ـ والصفحة نفسها.

[3] - le grand dictionnaire historique ـ tome 7ـ lettre R ـ p 51.

[4] ـ أوريك ملك القوط في إسبانيا، أخ ثيودوريك الثاني، هزم الرومان والسويف وسيطر على أجزاء واسعة من شبه جزيرة إيبيريا. ينظر: le grand dictionnaire historique - tome 1 - p 475. - lettre E

[5] ـ حسين مؤنس ـ فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711ـ 456م) ـ العصر العصر الحديث للنشر والتوزيع ودار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2002 ـ ص 17.

[6] - Lucien Renard ـ op. cit ـ p 56.

[7] ـ ـ طولوشة في إقليم بربنصة هي مدينة حسنة نبيلة لها قرى ومزارع جميلة. ينظر: الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 739. 739.

[8] ـ ألاريك الثاني من الملوك البيزنطيين المحنكين، ساس القوط مدة 23 سنة، شهدت خلالها إسبانيا هدوءا غير مسبوق، كما أنه وضع قوانين مكتوبة لفض النزاعات بين أفراد مملكته. وفي عهده فقد القوط ممتلكاتهم في غاليا، واضطروا إلى الإكتفاء بشبه جزيرة إيبيريا. ينظر: Nouveau dictionnaire pour servir de supplement au dictionnaire des arts et des métiers - par une société de gens de letters - Paris et Amsterdam – 1776 - tome1 - p 247

الذين سيطروا على أجزاء واسعة من غاليا، وبدؤوا يتقدمون نحو ممتلكات القوط في الجنوب، مما اضطر هؤلاء الأخيرين إلى مواجهتهم، في حرب فاصلة، سنة 507 م، انتهت بانهزام القوط، ومقتل ملكهم ألاريك، وتراجعهم إلى ما وراء جبال البرت [2].

بعد هذه الهزيمة، اضطر القوط بقيادة جيزالريك [3] (Gesalric)(507 ـ 511 م) ثم أماليك [4] (Amalaric) (511 ـ 531 م) إلى الإنسحاب إلى شبه جزيرة إيبيريا، ونقل عاصمة مملكتهم من طلوشة إلى برشلونة (Barcelone). وبذلك ظهرت مملكة القوط في إسبانيا.

ب)استقرار القوط في شبه جزيرة إيبيريا، وإقامة دولتهم بها:

بعد فقدهم لممتلكاتهم في شمال جبال البرت، اضطر القوط إلى التراجع نحو الجنوب، والإكتفاء بحكم شبه جزيرة إيبيريا، فاتخذوا في بداية الأمر مدينة طلوشة عاصمة لهم، ثم انتقلوا، في عهد ملكهم ثيوديس (Theudis)(531 ـ 548 م)، إلى طليطلة لما تتميز به من موقع استراتيجي، إذ تتوسط شبه جزيرة إيبيريا كلها، ومنها يمكنهم مراقبة كافة جهات شبه الجزيرة، والإتصال بها، إضافة إلى حصانتها الطبيعية التي تتميز بها [5].

وكانت بداية فترة حكم ثيوديس، فاتحة عهد ملوك القوط المنتخبين في إسبانيا، والذي دام من 531 إلى 586 م، إذ كان الملك يُنتخب، من طرف مجموعة من كبار رجال المملكة والأمراء، مدة حياته [6]. وقد تداول على ملك إسبانيا خلال هذه الفترة ستة ملوك، كان عليهم حماية ممتلكاتهم من الشمال، من خطر الفرنجة، الذين حاولوا اقتحامها سنة 543 م، ومن خطر

---

[1] ـ كلوفيس الأول (467ـ 511م) أول ملوك فرنسا الفرنج (481 ـ 511م) من قبيلة سيكامير الجرمانية، كان وثنيا ثم اعتنق المسيحية. ينظر: le grand dictionnaire historique - tome 1- p 205- lettre C

[2]- Ibid - p 205 – 206 - lettre C

[3]ـ جيزالريك، ابن ألاريك من زواج غير شرعي، انتخب ملكا على القوط سنة 507 م، هزم من طرف كلوفيس ملك الفرنج، الذين انتزعوا من القوط أربونة بصفة نهائية. توفي طريدا شريدا في أربونة. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 3 - lettre G - p 42.

[4]ـ أماليك، خلف جيزالريك، تزوج ابنة كلوفيس ملك الفرنج، إلا أنه حاول إرغام زوجته على اعتناق المذهب الأريوسي، مع استعمال القوة أحيانا، فشكت ذلك إلى إخوتها، فقدموا إلى إسبانيا للإنتقام لها، وهزم أماليك أمام شلدبيرت، أخي زوجته، وقتل في برشلونة. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1 - lettre A - p 134

[5]ـ حسين مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 20.

[6]ـ نفس المرجع ـ ص 22.

البيزنطيين الذين افتكوا نوميديا [1] وموريطانيا الطنجية [2] من الوندال، لذلك عبروا مضيق جبل طارق واحتلوا سبتة لفترة زمنية [3]، كما كان عليهم مواجهة الثورات الداخلية التي أصبحت تقض مضاجعهم، خاصة خلال فترة حكم أخيلا (Agila) [4] (549 ـ 554 م)، وكانت أبرز هذه هذه الثورات تلك التي قادها أتناجيلد [5] (Athanagildo) الذي اتخذ قرطبة معسكرا له، وكان قد قد تلقى مساعدات عسكرية من طرف البيزنطيين المتمركزين في نوميديا وموريطانيا، مقابل أن يتخلى لهم عن بعض الأجزاء من إسبانيا [6]، واستطاع ثوار قرطبة، سنة 551 م، الإنتصار على أخيلا، الذي اغتيل سنة 554م، وخلفه أتناجيلد [7] (554ـ567 م).

تمكن أتناجيلد من استعادة عدد من المناطق التي سيطر عليها البيزنطيون، كما حسن علاقاته مع الفرنجة، إذ زوج ابنتيه من أميرين من أمرائهم، واستطاع أن يكفل لبلده الأمن والإستقرار.

إلا أن أهم الأعمال التي تجدر الإشارة إليها في هذه الفترة، قيام الملك ليوفيجيلد [8] (Leovigilde) (572 ـ 586 م) بتوحيد أجزاء شبه جزيرة إيبيريا سياسيا، فانتزع ما كان متبقيا بأيدي البيزنطيين مثل مالقة وشذونة وقرطبة، وأخضع البشكنس لسيطرته، وقضى على مملكة

---

[1] ـ نوميديا هي البلاد المحصورة بين قرطاجة والمغرب (أي الجزائر حاليا)، سميت بذلك نسبة إلى الفرس الذين دخلوا تونس قديما، وظلوا يتنقلون فيها، فسموا النوماد، ثم استولوا على المناطق الشرقية للجزائر حاليا، فسميت نوميديا نسبة إليهم. ينظر: مبارك الميلي ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ 1406هـ/ 1986م ـ ج 1 ص 83.

[2] ـ موريطانيا اسم أطلقه الرومان على المنطقة المحصورة بين بلاد البربر شرقا، والمحيط الأطلسي غربا، والبحر المتوسط شمالا= = وجيتوليا جنوبا، وكانت مقسمة إلى ثلاثة أقسام، موريطانية الطنجية، والقيصرية، والسطيفية. ينظر: Le grand dictionnaire historique - op. cit - tome 3 - lettre M - p 471.

[3]- Rosseeuw St Hilaire - op, cit - p 211 – 212.

[4]ـ أخيلا أو أغيلان (Aguilaine)، ملك قوطي عرف بعدائه الشديد للكاثوليك، كثرت في عهده الثورات الداخلية. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1- lettre A - p 57.

[5] ـ أتناجيلد، أحد أبرز ملوك القوط في إسبانيا، ارتكب خطأ جسيما باستنجاده عسكريا بالبيزنطيين، إلا أنه استعاد المناطق التي سيطر عليها البيزنطيون، وصاهر ملوك الفرنجة، وحقق لبلاده الأمن والإستقرار. ينظر: Dictionnaire pour servir de supplement au dictionnaire des sciences - Paris - Amsterdam - 1776 - tome 1- lettre A - p 668

[6]- Lucien Renard - op. cit- p 61.

[7]- Rosseeuw St Hilaire – op. cit - p 213.

[8] ـ عن حياة ليوفيجيلد بالتفصيل، يمكن العودة إلى: Encyclopédie ou dictionnaire raisonné - Lausanne et Berne – 1782 - tome 19 - p 822

السويف، وضم أراضيها إلى مملكته، وقمع أتباع المذهب الكاثوليكي، ومن بينهم ابنه هرمينجلد (Herminigilde)، ونقح وأثرى القوانين التي كانت سارية قبل حكمه [1].

وإذا كان الملك ليوفيجيلد قد وحد شبه جزيرة إيبيريا سياسيا، فإن ابنه الذي خلفه على عرش المملكة ريكاريد الأول [2] (Recaredo I) (586 ـ 601 م) وحدها مذهبيا، إذ تحول من المذهب الأريوسي [3]، الذي كان عليه القوط منذ اعتناقهم المسيحية، إلى المذهب الكاثوليكي، الذي كان عليه غالبية سكان مملكته، مما أثار غضب الأريوسيين وقاموا بعدة ثورات، إلا أن ريكاريد استطاع تسكينها [4].

تتابع تعاقب الملوك القوط على عرش المملكة، مع ميل غالبيتهم إلى دعم الكنيسة والمذهب الكاثوليكيين، فقد أظهر سيسبوتو [5] (Sisebuto) (612 ـ 620م) ميله إلى الثقافة الرومانية، وعمل على نشرها بين رعاياه [6]، وكان من بين الملوك القوط المتعصبين للمسيحية، إذ إذ خَيَّر اليهود بين تركهم دينهم واعتناق المسيحية أو مغادرة مملكته، فاضطر ثمانون ألفا [7] أو تسعون ألفا [8] منهم إلى إظهار المسيحية وإبطان اليهودية، بينما فضل آخرون ترك شبه جزيرة إيبيريا إلى غيرها من المناطق [9].

---

[1]- Rosseeuw St Hilaire – op. cit - p 229.

[2] ـ ريكاريد الأول ملك من ملوك القوط، يتميز برجاحة العقل والورع وحسن الخلق، حكم خلال قرن ميزه الجهل والبربرية، اهتم بسعادة رعاياه. للمزيد ينظر: Nouveau dictionnaire pour servir de supplement au dictionnaire des sciences des arts et des métiers - Paris et Amsterdam - 1777- tome 4 - p 581

[3] ـ المذهب الأريوسي مذهب من مذاهب الديانة المسيحية، ينسب إلى أريوس (ت 336م)، ويقول بأن الله هو القديم، وأن عيسى المسيح عليه السلام مخلوق. ينظر: الشهرستاني، أبو الفتح محمد (ت 548هـ/ 1153) ـ الملل والنحل ـ تحقيق أبي محمد محمد فريد ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ د. ت ـ ج 1 ص 229.

[4]- Lucien Renard - op. cit - p 69.

[5] ـ سيسبوتو ملك قوطي أثنى عليه المؤرخون لطيبته وشجاعته وكرمه وحبه للأدب، افتك عدة مناطق من البيزنطيين، أظهر تعصبا مفرطا للمسيحية، إذ أجبر اليهود على التنصر. ينظر: Le grand dictionnaire historique - Paris 1732 - tome 6 - p 282- Lettre S.

[6]- Rosseeuw St Hilaire – op. cit – p 284.

[7]- Lucien Renard - op. cit - p 73.

[8]- Rosseeuw St Hilaire – op. cit - p 283.

[9]- ibid - p 283.

تميزت الفترة الممتدة من وفاة سيسبوتو إلى غاية الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا، بكثرة المؤامرات المحاكة من طرف زعماء القوط للظفر بالتاج، كما تجذر فيها المذهب الكاثوليكي، وتعصب له السكان، وبذلك أصبحت هذه المنطقة من أهم معاقله [1].

4) أوضاع شبه جزيرة إيبيريا قبيل الفتح الإسلامي:

أ) الأوضاع الإجتماعية:

سعى القوط، منذ سيطرتهم على شبه جزيرة إيبيريا، إلى تكريس الطبقية، ورغم قلة عددهم، مقارنة بالعناصر السكانية الأخرى المكونة للمجتمع، إذ لم يتجاوز عددهم مائتي ألف نسمة في بلاد بلغ عدد سكانها تسعة ملايين [2]، بل يذهب البعض إلى القول بأن عددهم بلغ عشرة (10) ملايين [3]، إلا أنهم فرضوا هيمنتهم على هذه العناصر، لأنهم حرصوا على أن يحتفظوا لأنفسهم بمركز الشعب الحاكم، مما كان له أثر سيء على مصير دولتهم هناك [4]، إذ أدى ذلك إلى كثرة الفتن والثورات، التي تسببت في تراجع عدد السكان [5].

أما الطبقات التي كونت مجتمع شبه جزيرة إيبيريا أيام القوط، فتمثلت في:

ـ الطبقة العليا، وهي الطبقة المسيطرة على الحكم في البلاد، وكانت تتكون من الملك والنبلاء القوط، الممثلين في الدوقات (Les ducs) وهم حكام المقاطعات، والقمامسة (Les comtes) وهم حكام المدن، وكذا الذين ينحدرون من عائلات نبيلة [6]. استولى هؤلاء على ضياع واسعة مثلت ثلثي الأراضي الرومانية، بينما احتفظ النبلاء الرومان بالثلث الباقي [7]، مع

---

[1]ـ مؤنس حسين ـ المرجع السابق ـ ص 22.

[2]ـ كرباج جورج ـ "عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي" ـ **مجلة آفاق عربية** ـ العدد 11ـ السنة 9 ـ تموز 1984 ـ ص38

[3]- André Clot - l'Espagne musulmane: VIII – XV siecle - édition Perrin - 2eme édition – 2004 - p 228.

[4]ـ الجبالي خالد حسن حمد ـ الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي وحتى سقوط الخلافة (92 ـ 422هـ) 422هـ) ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ د. ت ـ ص 26.

[5]ـ غيشار بيار ـ " التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة، من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر (دراسة شاملة) " ـ **في الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط1 ـ كانون الأول/ ديسمبر 1998 ـ ج2 ص964.

[6]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 327 – 328.

[7]ـ عبادة كحيلة ـ تاريخ النصارى في الأندلس ـ دار الكتاب الحديث ـ ط1 ـ 1414 هـ/ 1993م ـ ص 11.

مع إعفاء هذه الممتلكات من الضرائب [1]. وكان لأفراد هذه الطبقة صلة بالملك، كما أن أصحابها محاطون بالخدم المسلحين [2].

ـ طبقة رجال الدين: وكانت الكنيسة بقساوستها تشكل طبقة أخرى تتمتع بالثراء العريض والإقطاعيات الواسعة التي كانت معفاة من الضرائب مثل النبلاء تماما [3]، وكان نفوذ أفراد هذه الطبقة غير محدود، فإلى جانب نفوذهم الديني، كان لهم نفوذ سياسي، استمدوهما من تدين الشعب الإسباني، إذ كانوا يشاركون، إلى جانب النبلاء، في انتخاب الملك، وبعد ذلك يقومون بمباركته، كما كانوا يتدخلون في الأمور العسكرية [4].

ـ الطبقة الوسطى وهم سكان المدن يعرفون باسم كوريالس (Curiales) (أو صغار الملاك) [5]، الذين يملكون عقارا يزيد عن 25 فدانا ولا ينتمون للطبقة ذات الإمتيازات، يضاف إليهم الحرفيون والتجار [6]، فقد كان أفراد هذه الطبقة في أشد حالات الضيق من جراء الضرائب الضرائب الرومانية [7]، وازداد حالهم سوءا في ظل الحكم القوطي، إذ تحملوا عبء الإنفاق على على الدولة بتأدية الضرائب المجحفة [8]، فساءت أوضاعهم، وباتوا، نتيجة ذلك، يعيشون تحت رحمة الأقوياء في حال هي وسط بين الحرية والرق [9]، ولم يصبح بمقدورهم بيع أراضيهم دون

---

[1] ـ العبادي ـ في تاريخ المغرب والأندلس ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ د. ت ـ ص 49.

[2] ـ الجبالي ـ المصدر السابق ـ ص 25.

[3] ـ العبادي ـ المرجع السابق ـ ص 50.

[4] ـ نعنعي عبد المجيد ـ تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ د. ت ـ ص 19.

[5] ـ دوزي رينهرت ـ المسلمون في الأندلس ـ الجزء الأول: المسيحيون والمولدون ـ ترجمة حسين حبشي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1994م ـ ص 28 // حسين مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 39

[6] ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص 28.

[7] ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص 28.

[8] ـ محمد عبد الله الحماد ـ التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية ـ في **السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات** ـ القسم الثالث: الحضارة والعمارة والفنون ـ مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض ـ ط1 ـ 1417هـ/ 1996م ـ صص 147 ـ 175 ـ ص 150.

[9] ـ مؤنس حسين ـ المرجع السابق ـ ص 33.

ترخيص من الإمبراطور، بسبب عبء الضرائب، وتحولت أعداد كبيرة منهم إلى عبيد، وأدى ذلك إلى انخفاض عدد أفراد الطبقة الوسطى [1].

ـ الطبقة الدنيا كانت تتكون من عامة أفراد المجتمع الذين ليست لا يملكون أراضي زراعية، ولذلك كانوا يشتغلون في أراضي النبلاء ورجال الدين، بل كانوا مرتبطين بالأرض التي يشتغلون بها، وينتقلون معها إذا بيعت أو انتقلت إلى ملكية شخص آخر [2]، وكانوا محرومين من من عدد من حقوقهم نتيجة النظام الإقطاعي الذي كان مطبقا، والذي جعل قسما كبيرا من الناس عبيدا أو رقيق أرض (servi)، أو عمال أقرب إلى الرقيق (ingenui inferiores)، أو عبيدا (esclavi) [3].

وكان العبيد يشكلون نسبة لا يستهان بها من الطبقة الدنيا، إذ كان عددهم كبيرا جدا، حتى اقترح بعض الأعيان تمييز الرقيق بلباس خاص بهم، فرفض البعض الآخر اقتراحه [4]، وكان كل غني أو نبيل يمتلك الآلاف منهم، يكلفهم بالأعمال الشاقة، فكانوا أشد الطبقات بؤسا، يباعون أو يتهاداهم أصحابهم، ولذلك باتوا يترقبون فرصة الخلاص [5].

كما كان يفرض عليهم المشاركة في العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش القوطي، فأصبح عدد المجندين منهم فيه كبيرا، وهذا ما يعتقده البعض سببا من أسباب ضعف الجيش القوطي وانهيار دولة القوط [6].

ـ اليهود: رغم أنهم كانوا يتوزعون في انتمائهم بين الطبقة الوسطى والطبقة الدنيا، وكانوا موظفين في دواوين الحكومة، يمارسون أعمالا مالية وحسابية، إلا أنهم كانوا مكروهين من طرف بقية أفراد المجتمع، بسبب تعاطيهم الربا واختلاف ديانتهم عن المسيحية [7].

---

[1] ـ العبادي ـ المرجع السابق ـ 50.

[2] ـ نفسه ـ ص50

[3] ـ مؤنس حسين ـ المرجع السابق ـ ص 543 // جورج كرباج ـ المرجع السابق ـ ص40

[4] ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص29.

[5] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 39.

[6] ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص 40 // حسين مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 40.

[7] ـ العبادي ـ المرجع السابق ـ ص 50.

واستغل بعض ملوك القوط هذا الكره للتنكيل باليهود، تقربا من رجال الدين المسيحيين ومن عامة أفراد المجتمع، وبذلك تعرض اليهود لحملة من الإضطهاد بدأت منذ عهد الملك ريكاريد الأول، حين أصدر المجمع الكنسي الثالث بطليطلة قوانين تمنع اليهود من الزواج من النصرانيات، ومن امتلاك العبيد والخدم، ومن ترديد الترانيم خلال مراسيم الدفن [1].

وكان لهذه القوانين تأثير كبير على الحياة الإجتماعية والإقتصادية لليهود، لأن أثرياء اليهود كانوا في حاجة ماسة إلى خدم وعبيد لتسيير ممتلكاتهم التجارية أو الزراعية.

ثم أصدر الملك القوطي سيسبوتو سنة 613 م، مجموعة قوانين، أبرزها القانون رقم 55، الذي يخير فيه اليهود بين التنصير أو مغادرة شبه جزيرة إيبيريا [2]، كما تقرر فصل أبنائهم عن أسرهم إذا حاول آباؤهم ختانهم، وأن اليهودي المُعَمَّد ليس له الحق في التجارة مع أقرانه الكافرين، وأن يطرد اليهود من جميع الوظائف [3]. فاضطر أكثر من تسعين ألف من اليهود إلى الإعلان، مرغمين، عن اعتناق الديانة المسيحية وفق المذهب الكاثوليكي [4]، أما الذين رفضوا ذلك، فصودرت ممتلكاتهم وأجبروا على مغادرة أراضي مملكة القوط نحو العدوة المغربية أو بلاد غاليا [5].

نَعِم اليهود بقليل من الراحة والهدوء وبحرية نسبية في أداء أنشطتهم الإقتصادية بعد وفاة سسيسبوتو سنة 620 م وإلى غاية تولي ريثيسفنتو أو ريثسوينتو (Recesvinto ou Recesuinto) [6] (31 ـ 52هـ/ 652 ـ 672 م) عرش مملكة القوط، ، إلا أن قوانين صدرت في عهد هذا الملك تدعو إلى التشديد على اليهود الذين عُمِّدوا في عهد الملك سيسبوتو، لأن عددا

[1] ـ الخالدي خالد يونس ـ اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس ـ رسالة دكتوراه ـ الطبعة الإلكترونية الأولى ـ 1429 هـ/ = = 2008م ـ ص 39.

[2]- Le grand dictionnaire historique - tome 4 - lettre S - p 282.

[3]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 284.

[4]- ibid - p 283.

[5]ـ الخالدي ـ المرجع السابق ـ ص 41.

[6]ـ ريثيسفنتو ملك قوطي، ولاه أبوه خندسفنتو، الذي تقدم به العمر (87 عاما)، رئاسة الحكومة سنة 649 م، ليتحمل معه أعباء الحكم، عرف بتدينه وحكمته. ينظر: Nouveau dictionnaire pour servir de supplement au dictionnaire des sciences - op. cit - p 582 -583.

منهم ترك الديانة المسيحية وعاد إلى ديانته الأصلية. فقد منع عنهم الختان والإحتفال بالشاباط والأعياد اليهودية الأخرى.[1]

وأمر الملك وامبا أو بامبا[2] (Wamba ou Bamba) (52 ـ 60هـ/ 672 ـ 680 م)، الذي خلف ريثيسفنتو، بطرد اليهود غير المنصرين من البلاد، فتوجهوا جنوبا إلى شمال إفريقيا وشمالا إلى ناربونة[3].

وفي عهد إخيكا[4] (Egica) (68 ـ 82هـ/ 687 ـ 701 م) تم اكتشاف مؤامرة من تدبير يهود الأندلس، تتمثل في اتصالهم بإخوانهم الذين هاجروا إلى المغرب، والتنسيق معهم لمساعدة المسلمين على فتح الأندلس[5]، ونتيجة لذلك تعرض اليهود لأكبر وأخطر نكبة في شبه جزيرة إيبيريا، تمثلت في القانون الذي أصدره المجمع الكنسي السابع عشر لطليطلة سنة 75 هـ/ 694 م، والذي نص على استعباد جميع يهود الأندلس، بما فيهم المنصرين المنافقين، وأوصى من يملكونهم بمنعهم من القيام بالشعائر اليهودية، وبفصل ألأطفال اليهود البالغين سبع سنوات عن أسرهم، ليربوا تربية مسيحية وتزويجهم فيما بعد من مسيحيات[6].

وبعد وفاة إخيكا، خلفه ابنه غيطشة[7] (witiza) (82 ـ 90هـ/ 701 ـ 709م) الذي تسامح مع اليهود، وأذن لهم بالعودة إلى شبه جزيرة إيبيريا، ومنحهم عددا من الإمتيازات[8].

---

[1]- Henri Pirenne - op. cit - p 58.

[2]ـ وامبا خلف ريثيسفنتو، واجه عدة ثورات، منها ثورة البشكنس وتمرد حاكم نيم Nimes، تخلى عن الملك لإيرفيغيو سنة 680 م، وعاش بعد ذلك في دير مدة سبع أو اثني عشر سنة. ينظر: Le grand dictionnaire historique - op. cit - tome 1 - lettre B - p 345.

[3]ـ الخالدي ـ المرجع السابق ـ ص 45.

[4]ـ إخيكا أو إيجيكا، تزوج ابنة الملك إرفيغو (Erwig) الذي سبقه، عرف بتشدده تجاه اليهود. ينظر: Le grand dictionnaire historique - op. cit - tome 1 - lettre E - p 403.

[5]ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 543.

[6]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 352.

[7]ـ غيطشة حكم إلى جانب أبيه مدة خمس سنوات، قبل أن يتولى العرش، يعرف بقساوته وانحلاله الخلقي وخشيته ثورة الشعب، وتبقى كيفية وفاته مجهولة. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 8 - lettre V - p 145 // Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 364.

[8]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 361.

مما سبق يتضح مدى معاناة اليهود من اضطهاد القوط لهم، فأصبحوا يبحثون، بأي ثمن، عمن يخلصهم من هذا الجحيم، وهذا ما يفسر ترحابهم بالفتح الإسلامي للأندلس، ومشاركتهم، إلى جانب الحاميات المسلمة، في حراسة المدن المفتوحة.

الزواج: أصدر الملوك القوط والمجامع الكنسية، مجموعة من القوانين تنظم الزواج، إذ اشترطت هذه القوانين قبول أولياء الزوج والزوجة بالزواج، وإلا حُرِم الزوجان من الميراث، وعرضا لعقوبة أخرى أكثر صرامة [1]، وحددت قيمة المهر بحيث لا يجب أن يتعدى عُشْر ثروة الزوج، كما منعت زواج الحر من الأمة والعكس، وحددت عقوبة ذلك بحرقهما حيَّيْن [2]، وإذا تزوج عبد بأمة ملك لسيد آخر، تقاسم السيدان أبناء المتزوجَيْن [3].

كما منعت هذه القوانين الخيانة الزوجية وجعلت عقوبتها استعباد مرتكبيها، وتشددت في منع الزواج على رجال ونساء الكنيسة [4]

وضع الملك إخيكا قانونا يمنع ويحرم الزواج بين القوط واللاتين وجعل عقوبته الموت [5]، الموت [5]، وهذا ما يوضح عزوف القوط عن الإختلاط بعناصر المجتمع الأخرى، ونأيهم بأنفسهم بأنفسهم عنها.

وعموما فإن هذه القوانين كرست التمايز الطبقي والعنصري داخل المجتمع القوطي، كما أنها لا تعتبر العبيد بشرا، بل أشياء لا إحساس ولا إنسانية لهم.

ب)الأوضاع الإقتصادية:

منذ أن استقر القوط في شبه جزيرة إيبيريا، ووضعوا أيديهم على أراضيها الخصبة، أخذوا عن سكانها ميلهم إلى النشاط الزراعي، والدليل على ذلك الكم الكبير من القوانين التي أصدروها، والهادفة إلى تنظيم هذا القطاع [6].

فقد ملك نبلاء القوط ونبلاء الرومان الملكيات الواسعة، والتي كانت تضم ورشات عديدة، يأوي بعضها نسوة يقمن بغزل الصوف، بينما يقوم العبيد والعمال في بعضها الآخر

---

[1]- Ibid - p 410.
[2]- Ibid - p 411.

[3]ـ الخالدي ـ المرجع السابق ـ ص 26.

[4]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 415.

[5]ـ الخالدي ـ المرجع السابق ـ ص 26.

[6]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 435.

بأعمال مختلفة، لها علاقة مباشرة بالزراعة [1]. وكانت غالبية ملاكيها تقيم في المدن في معسكرات تعيش من إتاوات وضرائب فرضوها على الزراع وضعاف أهل المدن [2]، وبذلك شكلت هذه الملكيات الركيزة الأساسية لاقتصاد شبه جزيرة إيبيريا على عهد القوط.

وإلى جانب الملكيات الكبرى، وُجدت ملكيات صغرى يملكها فلاحون صغار يعيشون تحت رحمة الأقوياء في حال هي وسط بين الحرية والرق [3]،

وفيما يخص خدمة الأرض، فإن الملاكين الكبار الذين لم يكن بوسعهم استغلال أراضيهم، كانوا يتركونها إلى أشخاص من طبقات أدنى، يسمون عمار الأرض (Curiales أو Privati)، يستغلونها مقابل إتاوة يُتفق عليها سلفا، مع احتفاظ المالك بملكية أرضه، وأحقية رفع الإتاوة أو استعادة أرضه متى شاء [4].

وكان عمار الأرض هؤلاء مرتبطين بالأرض، إذ لم يكن بإمكان السيد صاحب الأرض بيعها بدون عمارها، وكانوا يدفعون للدولة ضرائب شخصية وينخرطون في سلك الجيش [5].

إلى جانب الزراعة، لعبت التجارة والمدن دورا معتبرا في الحياة الإقتصادية لمملكة القوط في شبه جزيرة إيبيريا، فموقع هذه الأخيرة المطل على البحر الشامي من جهة الشرق والجنوب، وعلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) من الشرق، سمح لها بالتواصل تجاريا مع سواحل إفريقيا الشمالية وسواحل إيطاليا وسواحل غاليا، ناهيك عن الإمبراطورية البيزنطية، انطلاقا من سواحل لشدانية (البرتغال) وجليقية [6].

ومن أهم المنتوجات المتبادلة آنذاك، الحبوب والزيت اللذان كانا يصلان شبه جزيرة إيبيريا من نوميديا وموريطانيا (تونس والجزائر والمغرب الأقصى حاليا) [7]، والعبيد الذين كان

---

[1]- Henri Pirenne - op. cit - p 52.

[2]- مؤنس - المرجع السابق - ص 33.

[3]- نفسه - ص 33.

[4]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 436.

[5]- دوزي - المرجع السابق - ج1 - ص 29.

[6]- Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 434.

[7]- Henri Pirenne - op. cit - p51.

يؤتى بهم من المناطق التي تسكنها الشعوب المتبربرة الوثنية، وبخاصة من روسيا وانجلترا، باعتبار أن الكنيسة تمنع استعباد المسيحيين [1].

وكانت هسبانيا بدورها تصدر السمك المملح والزيت والجلود القرطبية والقمح والخمور إلى المناطق الواقعة شمال جبال البرت وإلى بيكارديا [2] (Picardie) في أقصى شمال غاليا [3].

والملاحظ أن التجارة الخارجية في مملكة القوط الغربيين كانت حكرا على تجار أجانب، كانوا يُحاكمون، في حالة حدوث نزاع، من طرف قضاة أجانب يسمون (*Telonarii*) [4].

أما التجارة الداخلية فكانت قليلة النشاط، إذ أن كل مزرعة كانت تنتج ما يكفيها من المحاصيل الزراعية، زيادة على انخفاض القدرة الشرائية للطبقات الإجتماعية غير النبيلة، ولذلك فإن أغلب عمليات التبادل التجاري الداخلي كانت تتم بالمقايضة [5].

ورغم غنى أراضي شبه جزيرة إيبيريا بالمعادن، إلا أن الصناعة بها كانت ضعيفة إلى حد الإنعدام، عدا بعض الحرف التقليدية المرتبطة بالزراعة أو المعتمدة على المنتوجات الزراعية، مثل الحدادة لصنع بعض الأدوات الفلاحية، والصناعة النسيجية المعتمدة على الصوف كمادة أولية. ويعود إهمال القوط للصناعة إما لعدم مبالاتهم أو لفقدانهم المهارة [6]، كما أنهم لم يستغلوا تجربة الرومان في استغلال خيرات هسبانيا المعدنية.

ج) الأوضاع السياسية:

كانت الملكية القوطية انتخابية، إذ كان الملك ينتخب من طرف مجلسين، أولهما مجلس ديني، وهو مجلس القساوسة الكاثوليكيين، أو ما يسمى بالمجمع الكنسي لطليطلة، وثانيهما مجلس مدني وهو مجلس النبلاء. وبعد انضمام المجلس الثاني إلى الأول، تكوَّن مجلس واحد، بمثابة برلمان، يضم رجال الكنيسة من مطارنة وقساوسة إضافة إلى النبلاء. وتتمثل مهام هذا المجلس في

---

[1]- Ibid - p 67.

[2]ـ بيكارديا مقاطعة في أقصى شمال فرنسا، كانت تابعة قديما إلى بلجيكا، عاصمتها مدينة أميان (Amiens). ينظر: Le grand dictionnaire historique, tome 7, lettre P, p 206.

[3]- Denis Menjot ـ op. cit ـ p 31.

[4]- Rosseeuw St Hilaire ـ op. cit ـ p 435.

[5]- Denis Menjot ـ op. cit ـ p 31.

[6]- Rosseeuw St Hilaire ـ op. cit ـ p 437.

انتخاب الملك من بين القادة العسكريين الكبار، وإصدار القوانين، والنظر في المسائل الهامة، والحكم فيها [1].

وقد أقر المجمع الكنسي الرابع لطليلة سنة 28 هـ/ 633 م انتخاب الملك من طرف النبلاء والقساوسة، كما أقر المجمع الكنسي الخامس لطليلة سنة 31هـ/ 636م النظام الإنتخابي، على أن يكون الملك من نبلاء القوط، وأن لا يكون من رجال الدين [2].

وحافظ الملوك القوط على نفس النظام الإداري الروماني القديم، إذ كان الملك يعين مجموعة من الأعوان يساعدونه في مهامه، يأتي على رأسهم الدوق (duce)، وهو حاكم مقاطعة أو إقليم (provinciae) يتولى فيها المهام المدنية والعسكرية والقضائية، يضاف إليه القومس (comes أو comites)، وهو حاكم مدينة (civitate)، يعمل تحت إشراف الدوق، ويقوم بنفس المهام التي يقوم بها هذا الأخير على مستوى مدينته، وكان لكل منهما مجموعة من المساعدين

يساعدونهم في مهامهم [3].

ورغم أن الملكية كانت انتخابية، إلا أن الملوك القوط استبدوا بالحكم، وأصبحت العادة أن يعتلي العرش أقواهم بحد السيف [4]، وازدادت الأوضاع سوءا مع منتصف القرن السابع الميلادي، حيث أصبح الملوك القوط عاجزين على حل مشاكل هسبانيا المتراكمة، وبخاصة بعد اعتزال الملك وامبا الحكم سنة 60 هـ/ 680 م [5]، إذ كثرت المشاكل السياسية.

فقد واجه إخيكا، منذ اعتلائه عرش مملكة القوط سنة 68 هـ/ 687 م، أزمات خطيرة، كانت أولها المنازعات التي قامت بينه وبين ورثة سلفه الملك إرفيغو [6] (Ervigo) (60 ـ 68 هـ/

[1]ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ 35.

[2]- Denis Menjot ـ op. cit ـ p 23.

[3]ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 34 // Rosseeuw St Hilaire - op. cit - p 328.

[4]ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 35.

[5]ـ نعنعي ـ المرجع السابق ـ ص 20.

[6]ـ إرفيغو ملك قوطي ابن رجل إغريقي يسمى أرطباس نفاه الأباطرة البيزنطيون. يقال أن إرفيغو ناول سلفه الملك وامبا سُمًّا، وتولى الملك بعده. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1 - lettre E - p 444

هـ/ 680 ـ 687 م)، بعد أن أعاد الأموال، التي أخذها أفراد عائلة إرفيغو ظلما، إلى أصحابها من حزب الملك وامبا.

أما المؤامرة الثانية فتتمثل في محاولة رئيس أساقفة طليطلة سيسبرتو (Sisberto) بالتعاون مع أتباع إرفيغو، اغتيال إخيكا، إلا أن المؤامرة كُشفت، واكتفى المجمع الكنسي لطليطلة سنة 73 هـ/ 693 م بإقالة رئيس الأساقفة من منصبه [1].

كما نظر المجمع الكنسي لطليطلة سنة 75 هـ/ 694 م في مؤامرة أخرى من تدبير يهود هسبانيا الذين اتصلوا بإخوانهم في المغرب الإسلامي، بهدف تسهيل دخول المسلمين إلى شبه جزيرة إيبيريا، وبالتالي الإطاحة بدولة القوط. وسلط المجمع عقوبات صارمة على اليهود، تمت الإشارة إليها سابقا [2].

وكشف إخيكا مؤامرة أخرى تمثلت في محاولة بعض أعدائه خلعه وتنصيب مكانه تيودوفريدو (Teodofrido) ابن الملك شندفستنو [3] (Chindasvinto)(20ـ31هـ/ 641ـ652 م)، فألقى إخيكا القبض على تيودوفريدو وسمل عينيه، فلجأ هذا الأخير، مع ابنه لذريق [4] (Rodrigo)، إلى قرطبة أين أنهى بقية حياته.

وكان إخيكا قد حاول تحويل الملكية الإنتخابية إلى وراثية، فعين ابنه غيطشة دوقا على جليقية، وبعد وفاته، قدم غيطشة إلى طليطلة وتولى الملك، قبل أن يوافق له المجمع الكنسي لطليطلة على ذلك. ثم أراد بدوره أن يعهد بالملك لابنه وقلة (Achila)، مما أثار حفيظة رجال الدين والنبلاء [5].

---

[1]ـ العبادي ـ المرجع السابق ـ ص 51.

[2]ـ تمت الإشارة إلى هذه المؤامرة والعقوبات المسلطة على اليهود في ص 28 و29.

3ـ شندسفنتو ملك القوط في إسبانيا، دعا إلى عقد مجمع طليطلة السابع سنة 647 م، عهد بولاية العهد لابنه ريشسفنتو الذي خلفه بعد موته. ينظر: Le grand dictionnaire historique - tome 1 - lettre C - p 153

[4]ـ لذريق آخر ملوك القوط الغربيين في إسبانيا، هلك خلال معركة وادي لكة بينه وبين طارق بن زياد سنة 92هـ/ 711م.
ينظر: Nouveau dictionnaire pour servir de supplément aux dictionnaires des sciences - tome 4- lettre R - p 661.

[5]ـ العبادي ـ المرجع السابق ـ ص 51.

وفي سنة 90 هـ/ 709 م ثار رجال الدين والنبلاء ضد غيطشة، وانتخبوا لذريق (90 ـ 92 هـ/ 709 ـ 711م)، الذي ثار ضده أبناء غيطشة الثلاث وقلة، وهو أكبرهم، وألمند (Olmundo) وأرطباس (Ardabasto)، وساعدهم رئيس أساقفة إشبيلية أوبة (OppaS)، وانقسمت البلاد إلى حزبين، الأول مناصر لأبناء غيطشة، والثاني مناصر للذريق.

وكان على لذريق أن يواجه عدة ثورات، أهمها تلك التي تزعمها أبناء غيطشة الذين ظلوا يتحينون الفرصة للإنتقام لأبيهم، واسترداد الملك، إضافة إلى ثورات الأقاليم مثل ثورة البشكنس.

وهكذا نرى، مما تقدم، أن إسبانيا فقدت وحدتها السياسية، كما فسدت حياتها الإجتماعية، في الوقت الذي ظهرت فيه العدوة المغربية المقابلة كقوة متماسكة.

وفي سنة 92هـ/ 711م، وبالتنسيق مع يوليان حاكم سبتة، اتفق أبناء غيطشة مع موسى بن نصير، على مساعدة المسلمين على الدخول إلى الأندلس، مقابل الإطاحة بحكم لذريق، وتمكينهم من استعادة ممتلكاتهم ومكانتهم [1]. وفي رمضان سنة 92 هـ/ 711م دخل المسلمون، بقيادة طارق بن زياد، الأندلس، وقضوا، في معركة وادي لكة، على لذريق وجيشه ودولة القوط في الأندلس.

---

[1]ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 126.

شكلت الأندلس ظاهرة اجتماعية فريدة في الغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى؛ فرغم أن الفاتحين المسلمين شكلوا أقلية عددية بالنسبة لسكانها الأصليين، إلا أنهم استطاعوا إخضاع الأندلس لسيطرتهم، وامتزجوا بسكانها، مما أدى إلى ظهور عناصر جديدة، ساهمت كلها في تكوين المجتمع الأندلسي.

أ) العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي:

يصعب أحيانا على الباحث تحديد مقاييس التصنيف الإجتماعي لسكان الأندلس، وكثيرا ما يختلط الأمر بين المضمون الإثني – الطائفي، والمضمون الطبقي، فعسكريا يمكن تقسيمهم إلى سكان أصليين مغلوبين وفاتحين طارئين وصقالبة مرتزقين، ودينيا إلى مسلمين وغير مسلمين [1].

إلا أن ليفي بروفنسال يقسم سكان الأندلس إلى مجموعتين، الأولى تتكون من العرب والبربر والصقالبة والسودان، ويسميهم الأجانب (Allogènes)، والثانية تتكون من الأسالمة أو المسالمة والمولدين [2]، والمسيحيين واليهود، وهم بذلك أصحاب البلاد أو الأهالي [3]، وهذا التقسيم في رأينا ينطوي على نظرة عنصرية.

أما ابن الأحمر، فقد قسّم سكان الأندلس إلى أربع مجموعات هي:

- بنو هاشم: وهم الذين وفدوا من الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر وبرقة وإفريقية والمغرب الأقصى.
- سادات العرب وجراثيمهم ومواليهم الوافدين على الأندلس من نفس المناطق التي وفد منها بنو هاشم.
- البربر: وقدموا إلى الأندلس من إفريقية والمغرب.
- السكان الأصليون: وقد قسّمهم إلى نصارى ويهود، وهؤلاء، حسب رأيه، إما أنهم

1ـ الطاهري أحمد ـ " المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، انحلال الروابط القبلية والطائفية " ـ **مجلة بحوث** ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المحمدية ـ المغرب ـ العدد الأول ـ 1988 ـ ص 130.

2– لا يفرق ليفي بروفنسال بين الأسالمة والمولدين. - Levy Provencal – Histoire de l'Espagne Musulmane - édition Maisonneuve et Larose- Paris- 1ère édition- 1999- T 3 p 180.

3- Ibid – p 167- 185.

أسلموا بعد الفتح، أو أنهم تعرضوا للسبي [1].

نلاحظ مما سبق أن ابن الأحمر يقسم العرب إلى فئتين، تتمثل الأولى في بني هاشم، ويقصد بهم القرشيين، وتشمل الفئة الثانية سادات العرب وجراثيمهم ومواليهم، ولم يذكر النصارى واليهود الذين ظلوا متمسكين بدياناتهم في الأندلس في ظل الحكم الإسلامي، وهذا مخالف لما دلت عليه الوثائق والمصادر، وقد رآه ليفي بروفنسال في البداية، غريبا [2]، ثم اعتبره مطابقا للواقع، لأن الإسلام، حسب رأيه، لا يساوي في الحقوق والواجبات بين الذين أسلموا صلحا والذين أسلموا عنوة [3].

والتقسيم الديني الذي يقسم سكان الأندلس إلى مجموعتين كبيرتين، هما المسلمون وغير المسلمين، والذي اعتمده مجموعة من المؤرخين [4]، يبدو في نظرنا الأقرب إلى الموضوعية، وهو الذي سنعتمده في دراستنا للعناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، رغم أن البعض يعتبره تقسيما خاطئا، ينطوي على نظرة عنصرية [5].

أولا: العناصر المسلمة:

1) العــرب:

أطلقت المصادر والمراجع اللاتينية عدة تسميات على العرب خاصة والمسلمين عامة، فقد أطلقت المصادر الكارولنجية لفظ سراسيني (Sarraceni) على عرب الأندلس والمغرب [6]، ومنها جاءت كلمة (Sarasins أو Sarrazins)، كما سمتهم المصادر المسيحية الهَاجَريين (Agareniens) نسبة إلى هاجر(Agar) زوجة إبراهيم عليه السلام، وبني إسماعيل

---

[1]- ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر (ت 807هـ/ 1404م)- بيوتات فاس الكبرى- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط 1972- ص23.

[2]- Provençal Levy - op. cit - t 3 - p 172.

[3]- Ibid - p 180.

4- ذنون طه عبد الواحد - دراسات أندلسية- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط1- جوان- 2004م- ص73// مؤنس حسين - فجر الأندلس- الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدّة- ط2- 1405هـ-1985م- 416.

[5] ـ بوتشيش القادري ـ أثر الإقطاع في تارخ الأندلس السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري حتى ظهور الخلافة (250 ـ 316) ـ منشورات عكاظ ـ الرباط ـ 2011 ـ ص 135.

[6]- Pierre Guichard - "Les debuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798-813) "- In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée** - N°35 - 1983 - p 68.

(Ismaelites) نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام [1].

كما تسميهم مصادر أخرى المور (Les Maures)، نسبة إلى موريطانيا (المغرب الأوسط والأقصى) التي فتحوها ونشروا الإسلام فيها، ومنها عبروا إلى الأندلس[2]، وهذه التسمية تطلق على المسليمن كلهم عرب وبربر.

وتطلق بعض المصادر الإسلامية الوسيطية تسمية العرب على المسلمين الفاتحين، على اختلاف أجناسهم [3].

ويعتبر العرب أهم عنصر من العناصر الطارئة على الأندلس؛ فقد دخلوها على دفعات متلاحقة وبأعداد معتبرة، فأول مجموعة منهم دخلت الأندلس مع طارق بن زياد قدر عددها بحوالي ثلاث مائة رجل [4]، وهو عدد قليل جدا بالنسبة لجيش طارق الذي كان قوامه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، وكان من بين هؤلاء العرب، عبد الملك بن عامر المعافري[5] الجد الأعلى للمنصور بن أبي عامر، وقد تولى السيطرة على الجزيرة الخضراء (Algeciras).

أما المجموعة الثانية فدخلت مع موسى بن نصير سنة 93هـ/ 712م، في جيش اختلف المؤرخون في تعداده، حيث قدروه بين عشرة آلاف رجل[6]، وثمانية عشر ألف رجل[7]، وعشرين وعشرين ألف رجل[8]، ومهما بلغ الاختلاف في عدد أفراد هذا الجيش، فإن الثابت أن غالبيتهم غالبيتهم كانت من العرب، وخاصة اليمنية وقبائل عربية أخرى، على رأسهم الصحابي

---

[1]- Le grand dictionnaire historique, tome 6, Lettre S, p 99.

[2]-Pierre Guichard - op. cit - p 68.

[3]ـ ابن حيان ـ المقتبس ـ نشره شالميتا ـ المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط ـ مدريد 1979 ـ ص 276 ـ وسيشار إليه لاحقا بالقطعة الرابعة.

[4]– ابن خلدون عبد الرحمن – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر– دار الكتب العلمية– بيروت – ط 1– 1413هـ/ 1922م– ج4 ص141.

[5]– ابن بسام– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة– تحقيق إحسان عباس– دار الغرب الإسلامي– ط 1– 2000– ج 4 ص 40. 40.

[6]– المقري – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب– تحقيق إحسان عباس– دار صادر– بيروت– ط 1 – 1997م– ج1 ص277.

[7]– المقري ـ المصدر السابق– ج 1 ص269.

[8]- Gustave le Bon – la civilisation des arabes – édité par S.N.E.D – Algerie – page 202.

المنيذر الإفريقي[1]، ومجموعة من التابعين نذكر منهم حبيب بن أبي عبيدة الفهري[2]، وحنش بن عبد الله الصنعاني [3].

وهاتان المجموعتان أصبحتا تعرفان فيما بعد بالعرب البلديين، وإليهما يمكن إضافة طالعة الوالي الحر بن عبد الرحمن الثقفي (تولى من ذي الحجة 97 هـ/ 716م إلى رمضان 100هـ / 719م) التي بلغ عدد أفرادها أربعمائة رجل من وجوه إفريقية [4]، إلا أن بيار غيشار يرى أن الأربعمائة هؤلاء يمثلون قادة لمجموعات يمكن تقدير عدد أفرادها ببضعة آلاف [5].

أما المجموعة الثالثة من العرب، فدخلت مع بلج بن بشر بن عياض القشيري، وقد فاق عدد أفرادها الإثني عشر ألفا، وعُرفوا بالطالعة الأولى من الشاميين [6]، ودخلت المجموعة الرابعة، وهي الطالعة الثانية من الشاميين، مع أبي الخطار الكلبي إلا أن عددهم لم يزد على ثلاثين رجلا [7].

وعند دخول طالعة بلج بن بشر الأندلس تضايق بهم العرب البلديون وطلبوا من أبي الخطار الكلبي أمير الأندلس إخراجهم من قرطبة وقالوا لهم:"بلدنا يضيق بنا فاخرجوا عنا" [8]، ففرقهم في البلاد، وأنزل أهل دمشق إلبيرة، وأهل حمص إشبيلية، وأهل قنسرين جيان، وأهل الأردن رية[1] (Rayo) ومالقة، وأهل فلسطين شذونة، وأهل مصر تدمير[2].

---

[1]- المنيذر مصغرا رجل من أصحاب النبي ﷺ سكن إفريقية، وقيل إنه دخل الأندلس. ينظر: العسقلاني ابن حجر – الإصابة في تمييز الصحابة – تحقيق علي محمد البجاوي- دار الجيل بيروت- ط1- 1412هـ/ 1992م- ج6 ص227.

[2]- حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري (ت124هـ/ 742م) دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وشارك في قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وقتل في إحدى المعارك ضد البربر. ينظر: الحميدي- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى -1417هـ/ 1997م – ص175 رقم 393.

[3]- حنش بن عبد الله الصنعاني (ت100هـ/ 718م) تابعي من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دخل الأندلس مع موسى بن نصير، وبنى جامع سرقسطة. ابن الفرضي- تاريخ علماء الأندلس- صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية ـ بيروت – ط1 ـ 1427هـ/ 2006م- ج 1 صص123- 126 ـ رقم 391.

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق، ج 3 ص 14.

[5]- Pierre guichard, : Structures Sociales Orientales et Occidentales dans l'Espagne Musulmane, édition Mouton, Paris La haye, 1977, p 218.

[6]- المقري- المصدر السابق- ج3 ص22.

[7]- ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1989 م- ص32.

[8]- نفسه- ص30.

ورغم اتخاذ بعضهم زوجات من أهل البلاد، إلا أن العرب حافظوا على تنظيمهم وتماسكهم القبلي، فقبيلة بلي مثلا، والتي كانت مستقرة في شمال قرطبة، ظلت إلى غاية القرن الخامس الهجري(11م) محافظة على أنسابها، متمسكة ببعض عاداتها كإقراء الضيف وعدم أكل إلية الشاة [3]، واستطاع العرب بفضل تنظيمهم القبلي، احتواء الأجناس الأخرى.

وقد انقسم العرب الذين دخلوا الأندلس إلى بلديين، وهم الذين دخلوا مع طارق بن زياد وموسى بن نصير، أما الذين دخلوا بعد هؤلاء، مع بلج بن بشر وأبي الخطار الكلبي، فعرفوا بالشاميين [4].

ويبدو أن الشاميين كانت لهم حظوة في الأندلس، إذ كانوا يسمون السادة، وكان منهم الديوان والكتبة، وكان اللواء الغازي منهم يرزق مائتي دينار، بينما يرزق اللواء الغازي من البلديين مائة دينار، كما كان الشاميون مُعفون من العشر في حين كان البلديون يؤدونه [5].

ونقل العرب انقسامهم إلى يمنية ومضرية، من المشرق الإسلامي إلى الأندلس، أين اندلعت بين هذين الفريقين صراعات، تحولت إلى صدامات مسلحة بدأت بدخول أبي الخطار الكلبي إلى الأندلس سنة 125هـ/ 743م، وتواصلت إلى غاية سنة 399هـ/ 1008م [6]، بالإضافة إلى الوقائع التي كانت للعرب مع المجموعات البشرية الأخرى المكونة للمجتمع الأندلسي.

وعموما فقد بلغ عدد العرب الداخلين إلى الأندلس خلال السنوات الأولى للفتح الإسلامي، حوالي خمسين ألف رجل، دخلها معظمهم بنسائهم [7].

[1]ـ ريه كورة من كور الأندلس في قبلي قرطبة نزلها جند الأردن من العرب، وهي كثيرة الخيرات. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 279 ـ 280.

[2]- المقري- المصدر السابق- ج1 ص237.

[3]- ابن حزم - جمهرة أنساب العرب- تحقيق عبد السلام هارون- ط5- 1982م- دار المعارف القاهرة- ص443.

[4]- ابن الخطيب لسان الدين- الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية بيروت- ط1- 1424هـ/ 2003م- ج1 ص19.

[5]- المصدر نفسه- ص20-21.

[6]ـ المقري - المصدر السابق- ج1 ص 426.

[7]- Pierre Guichard –'' Les Arabes ont bien envahi l'Espagne: Les structures sociales de l'Espagne musulmane '' - In: **Annales Economies, Sociétés, Civilisations** - 29e année, N. 6 – 1974 - p 1502.

يضاف إلى هؤلاء عدد آخر من العرب دخلوا الأندلس فرادى وجماعات لأغراض مختلفة، وبخاصة بعد قيام دولة بني أمية هناك، واستتباب الأمور لهم.

ومن الأمثلة على ذلك، وفود عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم من مصر في عشرة فرسان من أبنائه على عبد الرحمن الداخل 140هـ/ 757م ، فولاه الداخلُ إشبيلية[1]. ومن المؤكد أن يكون عبد الملك هذا وبنوه قد اصطحبوا معهم نساءهم وذراريهم مشكلين مجموعة يفوق عددها بكثير الإحدى عشر رجلا الذين ذكرهم ابن الأبار.

وفي عهد عبد الرحمن الأوسط وفد على الأندلس عدد من بني مروان فكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم، فاستقروا وتناسلوا وتكاثروا حتى أصبح لأحدهم نسل كثير عرفوا ببني السعيدي بإشبيلية [2].

كما وفد على الأندلس، سنة 333هـ/ 945م أي في عهد عبد الرحمن الناصر، عدد من بني مروان، فأحسن إليهم الخليفة الأموي وأكرم منزلتهم، فاستقروا في الأندلس وفشا نسلهم فيها [3].

ناهيك عن الأدباء والشعراء والفقهاء والأطباء والمغنين العرب الذين ظلوا يتقاطرون على الأندلس من المشرق وإفريقية، طيلة عهد الدولة الأموية، وكثيرا ما كانوا يجدون كل عوامل الإستقرار بها، من ترحاب الحكام بهم، وملاءمة الأجواء العلمية والسياسية والإجتماعية.

ولم يتفق المؤرخون حول أفراد الجيش الفاتح للأندلس، أَدَخلوا بنسائهم أم من دونهن، وهل اتخذوا زوجات لهم من الأهالي؟.

فبعضهم ذهب إلى أن الفاتحين المسلمين كلهم دخلوا عزابا من دون نساء، واتخذوا من نساء من الأهالي زوجات لهم، ومن هؤلاء حسين مؤنس [4]، وهم يعتمدون في ذلك على الأمثلة الواردة في المصادر، من بينها زواج عبد العزيز بن موسى بن نصير من إيخيلونا (

---

[1]ـ ابن الأبار القضاعي ـ الحلة السيراء ـ تحقيق حسين مؤنس ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط2 ـ 1985 ـ ج1 ص 56.

[2]ـ ابن حيان ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/ 1973م، ص 96 ـ 97 ـ سيشار إليه لاحقا بالقطعة الثانية.

[3]ـ ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 40.

[4]ـ مؤنس ـ المصدر السابق ـ ص 408.

Egilona) المسماة في المصادر الإسلامية أم عاصم أو أيلة، أرملة لذريق [1]، قائد الجيش المنهزم أمام طارق بن زياد، وزياد بن النابغة التميمي الذي اتخذ إحدى بنات الأمراء القوط زوجة له [2]. وتواصلت هذه الظاهرة طوال الوجود الإسلامي في الأندلس، ومست شرائح مختلفة من المجتمع.

إلا أن ذلك لا يمنع من القول بأن الفاتحين المسلمين دخلوا الأندلس بزوجاتهم وذراريهم، اعتمادا على قرائن من بينها عدم تلميح أي مصدر من المصادر الوسيطية التي أرخت للأندلس إلى أن الفاتحين دخلوها بدون زوجات، كما أن طارق بن زياد اصطحب معه جاريته أم حكيم [3]، واصطحب موسى بن نصير معه، عند دخوله الأندلس، نساءه وبناته [4].

ومن المؤرخين الذين يرفضون رفضا قاطعا الأخذ بفكرة دخول الفاتحين دون نساء، المؤرخ الفرنسي بيار غيشار [5]، الذي اعتمد على بعض القرائن أبرزها اصطحاب بعض الوافدين على الأندلس زوجاتهم وبناتهم منهم يوسف الفهري والي الأندلس، كانت معه أخواته وأمهاته [6]، وعبد الملك بن عمر بن مروان الملقب بالمرواني وجزي بن عبد العزيز بن مروان اصطحبا معهما أولادهما وبناتهما [7]، وأن عثمان بن عفان ﷺ عندما ندب المسلمين لغزو إفريقية أعانهم بألف بعير، يُحمل عليها ضعفاء الناس [8]، ورأى غيشار بأن هؤلاء الضعفاء لا يمكن أن يكونوا سوى النساء والصبيان.

كما يعتمد المؤرخ الفرنسي على عبارة لكاتب إيطالي يحمل اسم بول دياكر (Paulus Diaconus) المتوفى في نهاية القرن الثامن الميلادي، الذي كتب، بعد دخول العرب إلى غاليا

---

[1] ـ ابن عذاري ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ تحقيق كولان وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط2، 1400هـ/ 1980م ـ ج2 ص 23.

[2] ـ مجهول ـ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط2 ـ 1410 هـ/ 1989 م ـ ص 28.

[3] ـ الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 223 ـ مادة الخضراء.

[4] ـ ابن قتيبة الدينوري، أحمد بن عبد الله بن مسلم (ت 322هـ/ 934م) ـ الإمامة والسياسة ـ تحقيق علي شيري ـ دار الأضواء للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م ـ ج2 ص 93 ـ 94.

[5]- Pierre Guichard – op. cit - p 1502.

[6] ـ مجهول أخبار مجموعة ـ ص 85.

[7] ـ نفسه ـ ص87.

[8] ـ ابن عذاري ـ البيان المغرب ـ تحقيق كولان وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط3 ـ 1983ـ ج1،ص 9.

الوسطى بحوالي نصف قرن، بأنهم دخلوها بنسائهم وأبنائهم، وكأنهم ينوون الإستقرار بها بصفة دائمة [1].

إضافة إلى كل ذلك فإن الفاتحين، عربا وبربرا، دخلوا الأندلس واستقروا بها على شكل قبائل وعشائر، يدل على ذلك أسماء الأماكن التي سكنوها، والتي حمل كل منها اسم القبيلة أو العشيرة التي سكنته، مع العلم أن العربي والبربري كثيرا ما يفضل الزواج من قريباته أي من نساء القبيلة أو العشيرة، لذلك حافظت بعض القبائل في الأندلس على نظامها الداخلي، مثل قبيلة بلي التي عاصرها ابن حزم [2]، زيادة على أن الديانة الإسلامية تبيح لأتباعها التسري بالجواري وسبايا الحروب [3]، وتبيح لهم أيضا تعدد الزوجات [4]، فعمير بن سعيد اللخمي، الذي تزوج بسارة القوطية، كانت له زوجات غيرها [5].

مما سبق يمكننا القول بأن غالبية الفاتحين المسلمين للأندلس، وكذا المسلمين الذين دخلوا بعد الفتح، اصطحبوا معهم زوجاتهم وذراريهم، ولم يمنع ذلك من اقتران عدد محدود من الفاتحين بنساء من الأهالي.

مواطن استقرارهم:

يذهب بعض المؤرخين اللاتينيين المحدثين إلى القول بأن العرب الفاتحين استحوذوا على الأراضي الخصبة والمسقية، وتركوا الأراضي القاحلة الجدباء غير الصالحة للزراعة للبربر، رغم أن هؤلاء الأخيرين كانوا السباقين إلى الدخول إلى الأندلس، ومن بين هؤلاء المؤرخين نذكر ليفي بروفنسال [6] وخوليان ريبيرا إي تراقو [7].

---

[1]- Pirere Guichard – op. cit – p 1502.

[2] ـ ابن حزم – المصدر السابق- ص443.

[3] ـ سورة النساء ـ الآية 25.

[4] ـ سورة النساء ـ الآية 3.

[5] ـ ابن القوطية ـ المصدر السابق ـ ص 21.

[6] - Levy Provençal - Histoire de l’Espagne Musulmane, op. cit - tome 1- p 83- 84 et 87.

[7]- Julian Ribera y Tarragô - Disertaciones y opùsculos, - Madrid – 1928 - vol II - p. 210-244.

بينما تؤكد المصادر الإسلامية الوسيطية على أن استيطان الفاتحين المسلمين في الأندلس، من عرب وبربر، قام على استحسان ما يلائم كلا منهم، فبعضهم فضل الإستقرار في البوادي والمفاوز [1]، بينما استقر معظمهم بالحواضر [2].

وتجمع العرب في الأندلس حسب التنظيم القبلي لهم، بحيث استقرت كل قبيلة بعشائرها في مكان خاص بها، أصبح فيما بعد يسمى باسم هذه القبيلة، مثل جزء البكريين، وجزء اللخميين، وجزء خشين، وإقليم همذان، وإقليم بني أسد، وإقليم بني أوس، وإقليم كنانة [3].

وأهم مراكز استقرار العرب في الأندلس أثناء وبعد الفتح الإسلامي هي قرطبة ونواحيها، وإشبيلية ونواحيها، وإستجة[4] (Ecija)، وريُّه، وقبرة[5] (Cabra)، والجزيرة الخضراء، الخضراء، وإلبيرة، وجيان، ومالقة، وتدمير، وسرقسطة وضواحيها، وشذونة، وقرمونة[6] (Carmona)، ولبلة[7] (Niebla)، ومناطق أخرى عديدة. أما العرب الذين استقروا في مناطق بعيدة عن المدن فقد اتخذوا لأنفسهم حصونا وقلاعا مثل حصن مراد[8] بين إشبيلية وقرطبة،

---

[1]- المقري - المصدر السابق- ج1 ص 276.

[2]- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص 25.

[3]- العذري أحمد بن عمر بن أنس الدلائي - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك - تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد 1965- ص20، 30، 92، 120.

[4]ـ إستجة اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب من قرطبة. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 143.

[5]ـ قبْرَة كورة من أعمال الأندلس تتصل بأعمال قرطبة من قبليها. ينظر:الحموي ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 17.

[6]ـ قَرمُونَة مدينة بالأندلس في الشرق من اشبيلية، وبينها وبين استجة خمسة وأربعون ميلاً، وهي مدينة كبيرة قديمة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 461.

[7]ـ لَبْلَة قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 172.

[8]ـ الإدريسي ـ نزهة المشتاق ـ ج2 ص 573.

وقلعة بني سعيد أو قلعة يحصب أو قلعة يعقوب[1](Alcala la Real) في إقليم إلبيرة[2]، وقلعة خولان بين الجزيرة الخضراء وإشبيلية[3]، وقلعة أيوب[4] (Caltayud).

مما سبق يلاحظ أن الشواطئ الشرقية والجنوبية وسهل قرطبة، كانت أكثر الأماكن اكتظاظا بالعرب في الأندلس، لأن هذه الأماكن تشبه بلادهم في المشرق[5]، إضافة إلى الأودية الكبرى ومنطقة طليطلة وواد الإبرو[6].

إلا أن عدد العرب ظل في تزايد مستمر، وانتشروا في كافة أنحاء الأندلس انتشارا واسعا، إذ لم تخل منهم ناحية من نواحيها، فبالإضافة إلى المناطق المذكورة آنفا، سكن العرب وسط وغرب الأندلس مثل قلمرية [7] (Coimbra) وشنترين وأشبونة [8].

2) البربـــر:

كان البربر السباقين إلى دخول الأندلس، إذ أن الجيش الذي دخل بقيادة طارق بن زياد كان يتكون من اثني عشر ألف (12000) رجل[9]، كلهم من البربر عدا مجموعة من العرب يتراوح عدد أفرادها بين ستة عشر (16) وثلاث مائة (300)رجل.

وبمجرد وصول خبر انتصار جيش طارق على لذريق آخر ملوك إسبانيا إلى أسماعهم حتى تسارع البربر نحو الأندلس بأعداد كبيرة، كل حسب ما تيسر له من وسيلة، حتى أن بعضهم عبر المضيق على مجرد قشر من خشب[10]، نتيجة لقرب المسافة بين العدوتين، ولِما

---

[1] ـ قلعة بني سعيد وتعرف بقلعة يحصب، قبيلٍ من اليمن نزل بها عند فتح الأندلس. ينظر: المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 330.

[2] ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ـ ج 3 ص 440.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 295.

[4]ـ قلعة أيوب بالأندلس بقرب مدينة سالم، وهي مدينة رائعة البقعة حصينة شديدة المنعة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 469.

[5] ـ عمر فروخ، محاضرات في الحضارة العربية، ص12.

[6]- Pierre Guichard- " Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane"- In: **Mélanges de la Casa de Velázquez**- Tome 5, 1969 - p 106.

[7] ـ قُلُمْرِيّة مدينة بالأندلس، من بلاد برتقال، وهي على جبل مستدير في نهاية من الحصانة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ـ ص 471.

[8] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 409.

[9]– المقري ـ المصدر السابق – ج1 ص231، 232.

[10]– نفس المصدر– ج1 ص259.

كانت تتمتع به الأندلس من عوامل جذب، ذكرنا بعضها في الفصل التمهيدي، وبذلك أصبحوا يشكلون أكثر العناصر الفاتحة عددا. وكانت كتامة وزناتة وهوارة ومصمودة ومديونة ومكناسة ومطغرة أولى القبائل البربرية التي دخلت الأندلس [1].

وتواصل تدفق البربر على الأندلس خلال الحكم الأموي لها، إذ كان الحكام الأمويون يستعينون بهم لكسر شوكة العرب أحيانا، ولتدعيم الفرق العسكرية قصد مواجهة حملات المسيحيين في الشمال.

فبعد أن سيطر الأمير عبد الرحمن بن معاوية، الملقب بالداخل (138 ـ 172 هـ/ 756 ـ 788م)، على الأندلس، استقدم عددا معتبرا من البربر من العدوة المغربية، وبخاصة من بني الخليع وبني وانسون الزناتيين [2]، وشكل منهم ومن العبيد جيشا قوامه أربعين ألف رجل، استطاع به تسكين العرب اليمانية الذين حاولوا الأخذ بثأر زعيمهم العلاء بن مغيث اليحصبي [3]، وتوطيد الحكم لنفسه ولورثته من بعده [4].

وخلال القرن الثاني الهجري (8م) عبرت إلى الأندلس قبائل بربرية، أبرزها بنو ذو النون الذين استقروا بالقرب من طليطلة، وبنو الأفطس الذين استقلوا ببطليوس إبان ملوك الطوائف [5].

ولما تولى الحكم بن هشام، الملقب بالربضي، الإمارة (180 - 796هـ/ 206 - 822 م)، ثار عليه عمه سليمان بن عبد الرحمن المعروف بالشامي، الذي جيَّشَ جيْشا من البربر، وعبر به

---

[1]- ابن خلدون- المصدر السابق- ج6 ص126- 141- 224// ليفي بروفنسال- " نص جديد عن فتح العرب للمغرب"- للمغرب"- صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد- المجلد الثاني العدد1 و2- 1373هـ/ 1954م- ص224.

[2] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 430.

[3]ـ العلاء بن مغيث اليحصبي (ت 146 هـ/ 763 م) خرج على عبد الرحمن الداخل بباجة Beja ولبس السواد (شعار العباسيين) وخطب للمنصور العباسي. فقاتله عبد الرحمن الداخل وقتله، وأرسل رأسه إلى مكة ليوضع أمام سرادق أبي جعفر المنصور هناك. خير الدين الزركلي ـ الأعلام ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط 15 ـ مايو 2002 ـ ج4 ص 245

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 36 ـ 37// ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ صححه محمد يوسف الدقاق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1ـ1407هـ/ 1987ـ ج5 ص 178ـ 179.

[5]ـ سحر السيد عبد العزيز سالم ـ " الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط (دراسة سياسية ـ ادبية ـ اجتماعية) " ـ في الغرب الإسلامي والغرب المسيحي ـ تنسيق محمد حمام ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط ـ المملكة المغربية ـ1995 ـ ص 47.

إلى الأندلس، وتمالأ مع أخيه عبد الله المعروف بالبلنسي، وقاتلا ابن أخيهما الأمير الحكم الربضي، إلا أنهما هُزما، وقُتل سليمان سنة 184هـ/ 800م [1].

ففي إطار صراعه مع الفاطميين الشيعة في المغرب، استعان الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300 ـ 350هـ/ 913 ـ 961م) ببربر العدوة المغربية، إذ جلب عددا كبيرا منهم إلى قرطبة، واستعملهم في حروبه، وساهموا بذلك في توطيد الحكم له، وفرض هيبته على ملوك الأمم المجاورة له، كما استعان بهم في إنتاج أحسن أنواع الخيول الأندلسية، [2].

ولما تولى الحكم المستنصر الخلافة (350 ـ 366 هـ/ 961 ـ 977م) توافدت على الأندلس أعداد هامة من البربر، ففي جمادى الآخرة سنة 362هـ/ مارس 973م وصل إلى قرطبة وفد من البربر يتكون من سبعين رجل من أعيان قبيلة مصمودة فارين من حرب حسن بن قنون الحسني [3-4]، ومما لاشك فيه أن هؤلاء الأعيان اصطحبوا معهم زوجاتهم وأولادهم.

وفي رمضان من السنة المذكورة، دخل العدوة الأندلسية عدد جم من قبائل البربر، المنحرفين عن الحسن بن قنون، والملقين بالطاعة للخليفة الأموي، فتقبلهم هذا الأخير وسمح لهم بالإقامة في قرطبة [5].

وفي أواخر دولته، سمح الخليفة المستنصر لجيش ضخم من البربر قارب تعداد أفراده سبعمائة فارس، أغلبهم من البرازلة، بالعبور إلى الأندلس، والإستقرار بها، وتم إدماجهم في جيش الأندلس، وفرض لهم العطاء [6].

---

[1]ـ ابن حيان ـ السفر الثاني من كتاب المقتبس ـ تحقيق محمود علي مكي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ د. ت ـ ص 93 إلى 100 ـ سيشار إليه لاحقا بالقطعة الأولى.

[2]ـ ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 257.

[3] ـ ابن حيان ـ المقتبس في أخبار بلد الأندلس ـ تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ 1965 ـ ص 96 ـ سيشار إليه لاحقا بالقطعة الخامسة.

[4] ـ الحسن بن القاسم قنون الادريسي (ت 375 هـ/ 985 م) آخر أمراء الدولة الإدريسية الثانية ولي بعد أخيه (أحمد) سنة 348 هـ/ 959م، تقلب في ولائه بين أمويي الأندلس والفاطميين، قُتل على يد جيش المنصور بن أبي عامر. ينظر: أبو العباس الناصري ـ الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ـ تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ 1418 هـ/ 1997م ـ ج1 ص 253 ـ 260.

[5]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 115.

[6] ـ المصدر نفسه ـ ص 192 ـ 193.

ومن الأعمال التي قام بها الحاجب محمد بن أبي عامر المنصور بعد توليه مقاليد السلطة في الأندلس (366 ـ 392هـ/ 977 ـ 1002م)، أنه قضى على العصبية العربية، بأن استقدم رجالا من القبائل البربرية، زناتة وصنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرها، الضاربة في العدوة المغربية، و كون منهم جيشا جديدا، وقدّمهم، وأخّر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم، وظل المنصور يعتمد اعتمادا شبه كلي على هذا الجيش في غزواته [1].

ونتيجة لذلك ازداد اندفاع البربر نحو الأندلس عامة وقرطبة خاصة، مما أدى إلى ارتفاع عدد ساكنتها، فضاقت الأرباض، وضاق المسجد الجامع عن استيعاب هذا العدد، واضطر المنصور إلى الزيادة في المسجد الجامع سنة 377هـ/ 987م [2].

مع العلم أن الحركة بين الأندلس والمغرب، في الإتجاهين، لم تتوقف أبدا، مما سمح بعبور أعداد غير محدودة من البربر إلى الأندلس لأغراض مختلفة، فرادى أو في جماعات صغيرة، نذكر منهم، على سبيل المثال، أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد، الذي طلب من عبد الرحمن الناصر أن يسمح له بالعبور إلى الأندلس بهدف الجهاد، فكان له ما أراد، وعبر إلى الأندلس، على الأرجح مع أسرته، وتوفي بها في إحدى المعارك سنة 348 هـ / 959م [3].

وقد تميزت من بين البربر مجموعة من البيوتات، نذكر منها بني الزجالي الوزراء، وبني دليم، وبني زروال، وبني يحي بن كثير، وبني جهور، وبني رزين، وبني عزون، وبني عميرة [4]، مما مما يوضح الدور السياسي والثقافي الذي لعبه البربر في الأندلس، يضاف إلى ذلك الدور العسكري المتمثل في مشاركتهم في الفتح الإسلامي للأندلس، وقيامهم بعدد من الثورات، وبالأخص دورهم في الفتنة التي شهدتها الأندلس من 399 إلى 422هـ/ 1008 إلى 1031م.

وفي المجال الاقتصادي، ساهموا في تنشيط الحياة الاقتصادية باحترافهم مجموعة من المهن، فأما سكان الأرياف منهم فقد احترفوا الزراعة وما اتصل بها من حرف، أما سكان الحواضر فقد مارسوا حرفا مختلفة مثل البناء ومواده، وصناعة الأواني وغيرها [5].

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 397.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ج1 ص 548.

[3]ـ الناصري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 253.

[4]- ابن حزم- المصدر السابق- ص 200 - 201.

[5]- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص24.

ورغم أن البربر يشبهون العرب في عدد من الخصائص مثل طريقة العيش، والمحافظة على التنظيم القبلي، إلا أنهم لم ينقلوا صراعاتهم إلى الأندلس، ولم يسجل التاريخ حروبا قبلية بربرية على أرضها، مثلما كان الشأن بالنسبة للعرب، ولكن المصادر تحتفظ لنا بعدد كبير من الثورات، سواء التي قام بها البربر ضد أطراف مختلفة أو تلك التي كانت لهم فيها مجرد مشاركة إلى جانب طرف من الأطراف المتنازعة.

مواطن استقرارهم

كان استقرار البربر في الأندلس بالأماكن التي تلائم طبائعهم، فمن كان منهم من أهل الحاضرة، استقر في المدن، ومن كان أهل البادية استقرّ في القرى [1]، وبما أن النشاط الغالب على حياتهم الاقتصادية هو رعي السوائم، فإن غالبية البربر استقرت بالمناطق الجبلية الرعوية والصحاري [2].

ويتضح من خلال تحديد ابن حزم لأماكن استقرار القبائل البربرية، أنها توزعت على كافة أنحاء الأندلس [3]، حتى أن بعض الأماكن اتخذت أسماء القبائل البربرية التي استقرت بها، مثل قصبة كورة جيان التي كانت تسمى أوربة [4]، مما يدعو إلى الاعتقاد أن استقرارهم بالأندلس كان وفق ما استحسنوه من أماكن.

ومن أبرز المناطق الأندلسية التي تركز فيها البربر بعد الفتح، النواحي الشمالية، أو ما تعرف بالثغور، إذ استقرت بها قبائل بربرية عديدة، حتى شكل العنصر البربري أغلبية ساكنة هذه المنطقة، ونعتهم ابن حزم بأمراء الثغر [5]، كما استقروا بقرطبة، وشكلوا مع العرب الفاتحين الذين استقروا معهم بها، مجموعة البلديين[6]، منهم أسلاف يحيى بن يحيى الليثي[7]، الذين كان موطنهم بداخل قرطبة[1].

---

[1]- المصدر نفسه – ص25.

[2]- ابن عذاري – المصدر السابق- ج2 ص7.

[3]- ابن حزم- المصدر السابق- ص من 498 – 502.

[4]- الحموي ـ المصدر السابق ـ مج 2 ص 109.

[5]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 499.

[6] ـ ابن القوطية ـ المصدر السابق ـ ص 32.

[7] ـ يَحيَى بن يَحْيَى بن كَثِير الليثي بالولاء، بربري من مصمودة، أشهر فقهاء الأندلس، أخذ الموطأ عن الإمام مالك بن أنس، ولازمه حتى آخر أيامه، وهو الذي أدخل إلى الأندلس موطأ مالك منقحا، وهو صاحب أشهر رواية له، توفي سنة 234هـ/

كما تشير المصادر إلى وجود تجمعات سكانية هامة من البربر في المناطق الغربية، وبخاصة في فحص البلوط[2](Val de pedroches)، الذي ينسب إليه منذر بن سعيدالبلوطي[3]، وجبل البرانس، نسبة إلى البربر البرانس، مما يدل على أن هذه المنطقة كانت مأهولة من طرف أعداد كبيرة من البربر[4].

ومن مظاهر ارتفاع أعداد البربر في المنطقة الغربية، تأسيسهم لمدن والإستقرار بها، منها مدينة قصر أبي دانس[5](Alcacer de Sal)، وسيطرتهم على مدن هامة مثل مدينة ماردة (Merida)[6]، وقورية[7](Coria)[8]. وعموما فالمناطق الواسعة الممتدة غرب طليطلة، في مجملها، كانت مأهولة من طرف البربر[9].

ولم يقتصر استقرار البربر في الأندلس على المنطقة الغربية، بل استقرت أعداد منهم في مناطق أخرى، منها الجنوب، إذ تواجدت قبائل منهم في إستجة[10]، وفي منطقة الجزيرة الخضراء وُجد مكان يحمل اسم جوز البربر، كما وُجدت بها قلعة جزولة (Alcalà de los Gazules) نسبة إلى قبيلة جزولة البربرية، قرب شذونة[11]، وحملت منطقة في مقاطعة قادش اسم برنس،

848م. ينظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد قَايْماز (ت 748هـ/ 1347م) ـ سير أعلام النبلاء ـ دار الحديث- القاهرة ـ 1427هـ/ 2006م ـ ج 8 ص 517، رقم 1705.

1 ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 156.

2 ـ فحص البلوط بالأندلس، بينه وبين قُرْطُبة مرحلتان أو ثلاث منه القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي، ومن هذا الفحص جبل البرانس، وفيه معدن الزئبق. ينظر الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 435.

3ـ مُنذِر بن سعيد البَلُّوطي ثم الكزني، قاضي الجماعة بقُرْطُبَة، ينسب في البَرْبَر. كان عالماً باختلاف العلماء، وخَطيباً بليغاً وشاعراً، توفي سنة 355هـ/ 966م. ينظر: الخشني محمد بن الحارث (ت 366هـ/ 976م) ـ قضاة قرطبة ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري، القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ ط2 ـ 1410هـ/ 1989 ـ ص 237.

4ـ سحر السيد عبد العزيز سالم ـ المرجع السابق ـ ص 45.

5ـ يقع هذا القصر غرب الأندلس ، ينسب إلى جد بني دانس بن عوسجة. ينظر:ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 501.

6ـ ماردة كورة واسعة في الأندلس بين الغرب والجوف من قرطبة. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ مج4 ص194.

7 ـ قورية مدينة من نواحي ماردة بالأندلس، وهي بينها وبين سمّورة. ينظر: المصدر نفسه ـ مج 4 ص 100.

8 ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 501.

9- Pierre Guichard - " Le peuplement de la région de Valence " – op. cit – p 115.

10 ـ ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ص 268 ـ رقم 997.

11 ـ Pierre Guichard - Structures Sociales Orientales et Occidentales dans l'Espagne Musulmane - édition Mouton - Paris La haye – 1977- 252 .

ونفس الإسم أُطلق على جهة تقع على الحدود بين مقاطعة إشبيلية وقرطبة[1]، كما سكن بنو مهلب الكتاميون بضواحي إلبيرة[2]. ونزلت بالجزيرة الخضراء أعداد كبيرة من البربر حتى كادت كادت هذه الناحية أن تكون مقصورة عليهم، لكثرة من نزلها من بطونهم وعشائرهم[3].

ولم تخل المناطق الشرقية من البربر، إذ أن عددا من الأماكن حملت أسماء قبائل بربرية، مما يوحي بأنها كانت مأهولة من طرف هذه القبائل، منها، على سبيل المثال، قرية أوربة من قرى جيان[4]، كما سكن بنو رزين، وهم من قبيلة هوارة، بالسهلة ـ موسطة بين الثغر الأعلى والأدنى بقرطبة ـ [5]، أما بنو زنون، وهم أسرة بربرية، عربت إسمها إلى بني ذي النون[6]، فكانت فكانت أوليتهم بسيطرة جدهم ذي النون على حصن أقليش[7] (Ucles)، في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م)[8].

من ذلك يمكننا القول أن البربر لم يتجمعوا في منطقة واحدة محدودة، بل توزعوا على كل أنحاء الأندلس، ولم يضطرهم العرب إلى سكنى الجبال والمراعي، بل سكن بعضهم مناطق اشتهرت بخصوبة أراضيها ووفرة المياه بها، مثل سهلة بني رزين وفحص البلوط [9].

3 ـ الأسالمة أو المسالمة والمولدون:

الأسالمة أو المسالمة هم أهل البلاد من المسيحيين واليهود الذين اعتنقوا الإسلام، بعد استعرابهم واطلاعهم على مقومات هذا الدين الجديد، وقد بلغ بعضهم شأنا كبيرا في ظل الحكم الإسلامي، وأوكلت إليهم مناصب ذات أهمية كبيرة، مثل أيوب بن عبد ربه الذي ولاَّه

---

[1] - Ibid - p 252 .

[2] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 501.

[3] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 253.

[4] ـ الحموي ـ المصدر السابق ـ مج1 ص 222.

[5] ـ ابن بسام الشنتريني، علي أبو الحسن (ت 542هـ/ 1147م) ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط1 ـ 2000 ـ مج 3 ـ ص 84.

[6] - Pierre Guichard - op. cit - p 151.

[7] ـ أقليش مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، بناها الفتح بن موسى بن ذي النون، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة 160 هـ/ هـ/ 777م ، واختارها داراً له. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 52.

[8] ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 4 ص 102.

[9] ـ الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم (ت 346هـ/ 957م) ـ المسالك والممالك ـ تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني ـ الشركة الدولية للطباعة ـ القاهرة ـ 2004 ـ ص 36.

الحكم الربضي قضاء إشبيلية [1]، كما وصل بعضهم الآخر إلى درجة عالية في العلم مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي ملأ إشبيلية علما وبلاغة ولسانا [2].

والواقع أن أغلب المعتنقين الأوائل للإسلام من الإسبان، كانوا ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية الدنيا، مثل العبيد ورقيق الأرض، لأنهم رأوا فيه خلاصا لهم من المتاعب واللامساواة التي عانوها خلال حكم القوط[3]، كما أن احتفاظ بعض هؤلاء الأسالمة بأسمائهم الإسبانية القديمة بصيغة الجمع، مثل بني أنجلين (Angelino)، وبني شبريق (Savarico) الإشبيليين، وبني لنق (Longo)، وبني القبطرنة (Kabturno)، وغيرهم دليل على أن عملية التحول إلى الإسلام كانت تتم في إطار جماعي.

إلا أن ليفي بروفنسال قسم الأسالمة إلى مجموعتين، الأولى أسلمت صلحا أي طواعية، والثانية أسلمت عنوة[4]، معتمدا في ذلك على الإشارة التي وردت في كتاب ابن الأحمر[5]، ولكننا ولكننا لم نجد، في المصادر الأندلسية التي اطلعنا عليها، ما يدل على اختلاف وضع الإسبان الذين فتحت أراضيهم عنوة عن أولئك الذين فتحت أراضيهم صلحا، بل إن الأهالي الذين أسلموا عوملوا كمسلمين دون تمييز، والذين بقوا على ديانتهم فقد عوملوا كأهل ذمة.

أما المولدون فهم أبناء الأسالمة، أو أبناء المسلمين الذين اقترنوا بزوجات إسبانيات مسيحيات، ورغم أن المصادر الأندلسية تفرق بشكل واضح بين الأسالمة، والمولدين[6]، إلا أن ليفي بروفنسال يرى أن المولدين هم النصارى الذين تحولوا إلى الإسلام[7]، أي أنه لا يفرق بينهم وبين الأسالمة.

---

[1]- ابن الآبار- التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس- دار الفكر- بيروت 1415هـ/ 1995م- ج1 ص164- رقم الترجمة 524.

[2]- ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص201- رقم 649/ الحميدي- المصدر السابق- ص232- رقم الترجمة 557.

[3]- حسين مؤنس- المرجع السابق- ص430.

[4]- Levy provençal – op.cit –T 3 p180

[5]- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص23.

[6]- ابن الآبار- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة الطبعة الثانية 1985- ج1 ص38.

3-Levy provençal – op.cit –T 3 p180

وفي الوقت الذي فضلت فيه بعض أسر المولدين الاحتفاظ بالأسماء التي كان يحملها أسلافهم قبل إسلامهم، مثل بني شبرقة، وبني أنجلين، وبني زدلف[1]، سعت أسر أخرى إلى اقتناء أسماء عربية، مثل بني قسي وبني الجريح[2].

كان عدد المولدين كبيرا خلال السنوات الأولى للفتح بسبب إقبال السكان الإسبان على الإسلام، وأخذوا يتزايدون حتى صاروا، يشكلون في أوائل عهد الدولة الأموية، غالبية سكان الأندلس[3].

وقد مكنهم ذلك من لعب دور هام في الحياة الاقتصادية عامة، وفي القطاع الزراعي خاصة[4]، إذ زاولوا، زيادة على الفلاحة، تربية الماشية وصيد الأسماك، أما في المدن فقد مارسوا مارسوا حرفا مختلفة، أبرزها التجارة[5].

إضافة إلى دورهم البارز في الحياة الثقافية، فقد ظهر من بينهم عدد من الشخصيات العلمية، نذكر منها أبا الوليد محمد بن عمر الفقيه الأديب[6]، وأبا عبد الله بن محمد بن علي بن أحلي المتكلم[7]، وعبد الله العبلي شاعر المولدين[8]، كما وصلت شخصيات منهم إلى مناصب سياسية هامة، من بينهم نصر الخصي الذي خصاه الحكم الربضي، وكان محظيا عنده وعند ابنه عبد الرحمن، وهو ابن أحد أسالمة قرمونة [9]، وعمروس عامل الحكم الربضي على طليطلة [10].

---

[1]- ابن حيان- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس- اعتنى بنشره الأب ملشورم أنطونية وبولس كتنر الكتبي- باريس 1937- ص16 ، ص76 ـ سيشار إليه لاحقا بالقطعة الثالثة.

[2]- المصدر نفسه- ص76 ، ص86.

[3] ـ العبادي ـ " صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا في العصور الوسطى" ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 26 ـ 1993 – 1994 ـ ص 11.

[4]- ابن الأحمر- المصدر السابق- ص 24.

[5] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 435.

[6]- ابن الابار – المصدر السابق – ج 2 ص 202- رقم 143.

[7]- المصدر نفسه – ج 2 ص 314 – رقم 168.

[8]- ابن سعيد المغربي- المغرب في حلى المغرب- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف القاهرة- الطبعة الثالثة 1955م- = = ج2 ص125- رقم الترجمة 440/ ابن حيان- المصدر السابق- ص63.

[9]- ابن حيان- القطعة الثانية من المقتبس – ص15.

[10]- ابن خلدون- المصدر السابق- ج4 ص152.

واختفى مصطلحا الأسالمة والمولدين من المصادر الأندلسية مع نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الهجري، أي مع وصول عبد الرحمن الثالث إلى السلطة، واستتباب الأوضاع في الأندلس، وزيادة امتزاج واختلاط سكانها، وتحولهم إلى أندلسيين دون تمييز [1].

مراكز تجمعهم:

رغم أن المولدين تواجدوا في كافة أنحاء الأندلس، إلا أن هناك مناطق اختصت بهم لأنها ضمت أعدادا كبيرة منهم، من هذه المناطق طليطلة التي قام مولدوها بعدة ثورات، واستعصت على عدد من الأمراء الأمويين، منهم الحكم الربضي، الذي اضطر إلى الإستعانة بعمروس بن يوسف المعروف بالمولد، وإعمال الحيلة للفتك بعدد كبير منهم، قدره البعض بأكثر من خمسة آلاف [2]، مما يسمح لنا بالقول بأن هذه المدينة كانت تضم عددا كبيرا جدا من المولدين.

كما تعتبر مدينة وشقة أحد مراكز تجمع المولدين، حتى أن بعض أعيانها كان لهم شأن كبير لدى الحكام الأمويين، مثل عمروس بن يوسف، المذكور أعلاه، الذي استقدمه الحكم الربضي من بلده وشقة [3]، والقاضيَيْن محمد بن سليمان بن محمد بن تَلِيد المُعَافِريّ المتوفى سنة سنة 295هـ/ 908م [4]، وعبد الله بن الحَسَن المَعْروف: بابن السَنَدِيّ المتوفى سنة 335هـ/ 946م [5]، اللذين كانا شديدَيْ التعصب للمولدين، ويعود تعيينهما قاضيين على وشقة، إلى كون أغلب سكانها من المولدين، ولم يكن بإمكانهما التعصب للمولدين في وسط عربي أو بربري.

إلى جانب طليطلة ووشقة، تعد مدينة بطليوس إحدى قلاع المولدين، إذ لجأ إليها عبد الرحمن بن مروان بن يونس المعروف بابن الجليقي الماردي، الذي تعصب في دعوته للمولدين على العرب، واتخذها دار مملكته [6]، مما يوحي بأن هذه المدينة كانت مأهولة من طرف أعداد كبيرة من المولدين.

---

[1]- Simonet – op cit – p XVI.

[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من كتاب المقتبس ـ ص 114.

[3] ـ المصدر نفسه ـ ص 108.

[4] ـ الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ تحقيق ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي ـ مدريد 1991 ـ ص 168.

[5] ـ ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج 1ص 210- 211 ـ رقم 687.

[6] ـ ابن حيان ـ القطعة الثالثة من المقتبس ـ ص 15.

يضاف إلى ذلك مجموعة من المدن كانت معاقل للثوار القائمين بدعوة المولدين خلال إمارة محمد بن عبد الرحمن الثاني (238 ـ 273هـ/ 852 ـ 886م) وابنيه المنذر (273 – 275هـ/ 886 – 888م) وعبد الله (275 ـ 300هـ/ 888 ـ 912م)، منها ببشتر(Bobastro) قاعدة الثائر عمر بن حفصون وأبنائه، ومدينة شوذر (Jodar) بكورة جيان (Jaen) التي ثار بها خير بن شاكر القائم بدعوة المولدين والعجم على العرب سنة 277هـ/ 890م [1]، وإشبيلية [2] وكورة إلبيرة [3]، وغيرها من المناطق.

– موالي من إفريقية والمغرب: أغلبهم من البربر الذين دخلوا مع طارق بن زياد سنة 92هـ/ 711م، وبعده، وأهم بيوتات الموالي البربر في الأندلس، بنو الزجالي الوزراء، وبنو زروال، وبنو يحي بن كثير، وبنو جهور، وبنو رزين، وبنو عميرة [4]، بالإضافة إلى مجموعة من الأفارقة الذين كانوا يعرفون بالسودان [5].

– موالي من أصول محلية إسبانية، بعضهم أسلم على يد الأمويين في الشام مثل بني قسي، والبعض الآخر أسلم في الأندلس مثل بني بارون وبني غومس وبني غرسية وبني قارلة وبني مرتين [6].

ويبدو أن الموالي لم يكونوا في نفس درجة الحظوة، فموالي رسول الله ﷺ مثل زونان الفقيه[7]، وموالي عثمان بن عفان ﵁ مثل إدْرِيس بن عُبَيْد الله بن إدْريس بن عُبيد الله[8]، وموالي وموالي ابنته رملة مثل جعفر بن يحيى بن إبراهيم بن مزين[9] ، وموالي الأمويين الذين كانوا يعرفون بموالي قريش أو الشاميين، كانوا مقدمين على غيرهم من الموالي[10]، وزادت منزلتهم

1 ـ المصدر نفسه ـ ص 24.
2 ـ المصدر نفسه ـ ص 74 و 84.
3 ـ نفسه ـ ص 54.
4 – ابن حزم – المصدر السابق – صص 200 و201.
5 – المقري – المصدر السابق – ج1 ص262.
6 – مؤنس – المرجع السابق – ص 404.
7 ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 217.
8 ـ ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 72 ـ رقم 208.
9 ـ الضبي أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1203م) ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1989م ـ ج1 ص 314.
10 ـ ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 21 – 22.

علوا في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حتى سموا بالأبناء[1]. وفي ذلك يقول الأمير عبد الله بن محمد (275 – 300هـ/ 888 – 912م):

مَوَالِي قُريشٍ من قُريشٍ فَقَدِّموا مَوالِي قُريشٍ لا مَوالِي مُعَتَّبِ[2]

ورغم أن الموالي لم يكونوا يشكلون طبقة اجتماعية معينة، ولم يكونوا جنسا من الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، إلا أنهم لعبوا دورا كبيرا في تاريخ الأندلس السياسي والحضاري، وخصوصا في قيام دولة بني أمية هناك[3].

فقد تولى عدد من الموالي مناصب هامة، منهم الهيثم بن أصبغ، الذي كان رجلا من أعيان الموالي ورؤسائهم، وحاجبا للأمير الحكم بن هشام[4]، كما ظل أبناء بيت بني عبدة يتولون كبار المناصب إلى أيام المنصور بن أبي عامر[5]. وشكل الموالي جزءا من الارستقراطية الأندلسية، إذ كان عبد الله بن خالد من كبار موالي بني أمية، وكان يملك معظم قرية ألفتين بكورة إلبيرة[6]، وأبو عثمان شيخ موالي بني أمية كان يملك أراضي شاسعة جدا في قرية طرش من كورة إلبيرة[7]. وكان غالب، مولى عبد الرحمن الناصر، شيخ الموالي وفارس الأندلس، وعاملا للناصر وللحكم المستنصر على مدينة سالم [8].

ورغم ذلك، فقد كان بعض الموالي يستنكف عن ذكر ولائه[9]، وكان إذا ذكر أحدهم نسبه وولاءه، أثار ذلك تعجب المستمعين، خاصة إذا كان ولاؤه لامرأة[10].

مواطن تجمعهم:

[1] - Levy Provencal – Histoire de l'Espagne Musulmane - t 2 p126 et t 3 p 194.

[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية المقتبس ـ ص 196.

[3]– مؤنس– المرجع السابق– ص403.

[4] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 190.

[5] ـ مؤنس– المرجع السابق– ص 446.

[6]– ابن القوطية– المصدر السابق– ص35.

[7] ـ المصدر نفسه– ص35.

[8] ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ـ ج1 ص 201.

[9] ـ السِّلَفي، صدر الدين أبو طاهر (ت 576هـ/ 1180م) ـ معجم السفر ـ تحقيق عبد الله عمر البارودي ـ المكتبة التجارية التجارية – مكة المكرمة ـ د. ت ـ ص 334 ـ رقم 1124.

[10]ـ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص 20.

لم يقتصر تواجد الموالي في الأندلس على جهة معينة، بل تواجدوا في كل جهاتها، ورغم ذلك سجلت لنا المصادر جهات حوت عددا معتبرا منهم.

فقد تواجدت بقرطبة أعداد هامة جدا من الموالي، نذكر منهم بيوتات الموالي المشارقة المذكورة آنفا، باعتبار أن أفرادها كانوا يتولون المناصب العليا في الدولة، إضافة إلى بني يحيى بن كثير، البربر المصموديين الذين كان ولاؤهم لبني ليث[1]، وبيت أبي الحزم بن جهور الذين حكموا قرطبة زمن ملوك الطوائف[2].

وكانت جيان منزل ولد عكاشة بن محصن الأسدي[3-4]، كما ضمت عددا من موالي الأمير هشام الرضا (172 – 180هـ/ 788 – 796م)[5].

واستقبلت كورة إلبيرة أعدادا هامة من الموالي، وبخاصة الموالي المروانية، الذين كان يترأسهم كل من أبي عثمان عبيد الله بن عثمان، وعبد الله بن خالد، وهما من موالي عثمان[6]، إضافة إلى موالي بربر من قبيلة زواوة من كتامة[7].

وعموما، فإن الموالي لعبوا أدوارا حاسمة في تاريخ الأندلس، وبخاصة السياسي والثقافي، ولم يقتصر تواجدهم في الأندلس على جهة أو مدينة أو كورة، بل توزعوا على كل أنحائها.

5) الصـقـالـبـة:

يتميز الصقالبة ببشرتهم الحمراء وشعورهم الصهب[8]، كان يأتي بهم التجار اليهود إلى الأندلس صغارا من الجنسين، من بلاد الصقالبة[1]، ويربون تربية إسلامية عربية، ليُستعملوا في

---

1 ـ ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج2ص 158.

2 ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 446.

3 ـ عكاشة بن محصن الأسدي (ت 12 هـ/ 633م)، صحابي. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، قتله طليحة بن خويلد في حرب الردة. ينظر: ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/ 1071م) ـ الإستيعاب في أسماء الأصحاب ـ مكتبة مصر ـ د.ط ـ د.ت ـ ج3 ص 84.

4 - ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 190.

5 ـ مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 110.

6 ـ المقري ـ نفح الطيب ـ ج 3 ص 29.

7 ـ ابن حزم ـ جمهرة أنساب العرب ـ ص 501.

8 ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 526.

الخدمة العسكرية أو التسري، أو في خدمة الحريم بالنسبة للخصيان منهم [2]، وكان غالبية هؤلاء الصقالبة يخصون عند اقترابهم من الأندلس ولذلك عرفوا بالخصيان أو المجابيب[3].

وكانت عملية الخصاء تتم في مدينة خلف بجانة[4]، وتحديدا في فردان[5] (Verdun) باللورين (Loraine) أين كانت لهم مراكز مهمة للخصاء[6]، وكانت هذه العملية تتم بطلب من التجّار اليهود[7]، منهم التاجر اليهودي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي، الذي عاصر أحمد بن محمد الرازي[8]، وقد تعلّم قومٌ من مسلمي الأندلس هذه العملية، وصاروا يقومون بها، وبخاصة في مدينة ألمرية[9]، فقد أخصى الحكم بن هشام عددا من أبناء رعيته، ممن اشتهر بالجمال، ليصيرهم في خدمته[10].

وكان أول خصي استحجبه الأمراء الأمويون في الأندلس، منصور الخصي، الذي استحجبه عبد الرحمن الداخل[11]، ومن يومئذ ظل عددهم في ازدياد حتى بلغ، في عهد الخليفة

---

[1] ـ تقع بلاد الصقالبة Esclavonie حاليا في أوروبا، وتضم المجر وكرواتيا والبوسنة والهرسك وصربيا والتشيك وسلوفاكيا وبلغاريا ورومانيا. ينظر: Le grand dictionnaire historique, nouvelle edition de 1759, tome 4, Lettre E, p 187.

[2] ـ عنان محمد عبد الله ـ دولة الإسلام في الأندلس ـ مكتبة الخانجي، القاهرة ـ ط4 ـ 1417 هـ – 1997م ـ ج1 ص 249.

[3] ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ج1 ص 249.

[4] ـ المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م) ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ علق عليه محمد أمين الضناوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـط1 ـ 1424هـ/ 2003م ـ ص 194.

[5] ـ فردان مدينة في شمال شرق فرنسا، تقع على نهر الموز(Meuse) الذي يجري في السفوح الغربية لجبال اللورين، تتميز عن مدن المنطقة باتساعها وشدة حصانتها. ينظر: . Le grand dictionnaire historique, Tome 6, Lettre V, p 59

[6] ـ عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، الحياة الإقتصادية والإجتماعية ـ الدار التونسية للنشر ـ 1984 ـ ص 250.

[7] ـ ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت 367هـ/ 977م) ـ صورة الأرض ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ 1996 ـ ص 106.

[8] ـ مؤنس حسين ـ تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ط2 ـ 1986 ـ ص 76.

[9] - Charles Emmanuel Duffourcq - La Vie Quotidienne dans l'Europe Médiévale Sous Domination Arabe - 1ere édition - Hachette - 1978 - p 130.

[10] ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ تحقيق إحسان عباس ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ـ ط2ـ2007ـ مج1،ج2 ص 75.

[11] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 45.

عبد الرحمن الناصر، حوالي ثلاثة عشر ألف وسبعمائة وخمسين فتى (13750)[1]، ويذهب ليفي ليفي بروفنسال إلى القول بأن عددهم تجاوز، في قرطبة وحدها، خمسة عشر ألفا[2].

مكانتهم ودورهم:

ارتفع شأن الصقالبة، إذ أوكلت إليهم مهام حساسة، مثل الحجابة، وكان أعلاهم مرتبة أولئك الذين كلفوا بخدمة الحكام الأمويين، إذ كانوا يلقبون بالخلفاء، مثل نصر الفتى الخصي خليفة الأمير عبد الرحمن الناصر، كما تولوا مناصب الرياسة والقيادة، ففي عهد عبد الرحمن الناصر كان الفتى دري يتولى الشرطة العليا[3]، والفتى أفلح خطة الخيل[4]، والفتى قند الذي كان كان قائدا بطليطلة[5]. وفي عهد الحكم المستنصر، تولى الفتى فائق النظامي ديوان البرد والطراز، وتولى الفتى جوذر ديوان الصاغة والبيازرة[6]، وغيرهم مما يطول ذكره.

ولعب الصقالبة دورا مهما في الحياة السياسية في الأندلس خلال الفترة قيد الدراسة، فقد كانوا محل ثقة الحكام الأمويين، إذ عبر عن ذلك الحكم المستنصر بقوله: « هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم، وترفق في معاملتهم؛ فتسلم من معرتهم، إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم.»[7]، وازداد نفوذهم في الدولة الأموية بالأندلس، حتى بلغ بهم الأمر إلى تحديد حاكمها.

فقد استطاع نصر الخصي، كبير الفتيان الصقالبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206 – 238هـ/ 822 – 852م)، أن يستميل كبار رجال المملكة لكي يرشحوا محمد بن عبد الرحمن لولاية العهد بدل أخيه عبد الله[8].

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم، اجتمع كبار صقالبة القصر، وتشاوروا بينهم، واتفقوا على تسليم الإمارة لابنه محمد[1]، إلا أن هذا الأخير ارتاب للأمر، وتملكه الخوف من

---

[1] ـ المصدر نفسه ـ ج1 ص 567.

[2] ـ ليفي بروفنسال ـ المرجع السابق ـ ص 108.

[3] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص194.

[4] ـ نفس المصدر ـ ص 191.

[5] ـ نفسه ـ ص 214.

[6] ـ نفسه ـ ص 259.

[7] ـ نفسه ـ ص 259.

[8] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 106.

أن يكون الصقالبة ينوون الفتك به، وطلب من الفتى سعدون، وهو أحد صقالبة القصر، الذي جاءه ينعى إليه أباه ويبشره بالإمارة، أن يسمح له بمغادرة البلاد ويترك لهم الحكم. ومن ذلك يتضح لدينا مدى تحكم هؤلاء الصقالبة في زمام الأمور داخل القصر.

واستطاع الصقالبة جمع ثروات طائلة جراء وظائفهم والهدايا التي كانوا يحصلون عليها، حتى أن أحدهم، وهو الفتى دري، أهدى الخليفة الحكم المستنصر منية غراء، أنفق فيها أموالا طائلة، فأعجب بها الخليفة أيما إعجاب، واعترف أنه لم يشاهد لها مثيل[2].

ووُجِد عند مسرة الخصي، الفتى الكبير للأمير عبد الرحمن الأوسط، حين إلقاء القبض عليه، ثمانية آلاف دينار دراهم[3]، وهي ثروة طائلة، إذا علمنا بأن هذا الأمير أجرى على كل واحد من بني مروان، الذين وفدوا عليه، جراية شهرية قدرها ثلاثين دينارا[4]، ناهيك عن العقارات ومختلف الممتلكات الأخرى.

ومن جهة أخرى، كانت للصقالبة مساهمة في النشاط العلمي الذي شهدته الأندلس، بحيث ألف أحدهم، وهو حبيب الصقلبي، من فتيان الأموية، كتابا سماه " الإستظهار والمغالبة على من أنكر فضل الصقالبة ". وقد وصف ابن الأبار حبيبا هذا بأنه "من أَهْل الأدَب والاتصاف بالفهم والتيقظ "[5].

وكان في قرطبة، على عهد الدولة الأموية، عدد من الفتيان المجابيب الذين أخذوا نصيبأ وافرا من الأدب، منهم الفتى نجم الوصيف من فتيَان الأموية بقرطبة، كَانَ من أَهْل الْأَدَب وَالشعر[6].

ولعل أبرزهم فتى الحاجب المنصور بن أبي عامر، المسمى فاتنا، الذي ناظر صاعدا اللغوي[1] في حضرة مولاه، فقطع صاعدا وظهر عليه وبكته، مما يدل على أنه كان متبحرا في اللغة والأدب، كما كان هذا الفتى شغوفا بجمع الكتب ودراستها[2].

---

[1] ـ المصدر نفسه ـ ص 113 – 114.
[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 106 – 107.
[3] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 17.
[4] ـ المصدر نفسه ـ ص 96.
[5] ـ ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج1 ص 229 ـ رقم 760.
[6] ـ المصدر نفسه ـ ج2 ص 217.

وعموما فإن الصقالبة حُظوا بمكانة مرموقة، حتى أصبحوا أكثر الناس ملازمة للحكام الأمويين، ولذلك لقبوا بالأبناء والخلفاء، واستغلوا مركزهم هذا للتأثير في الحياة السياسية للأندلس.

كما نالوا، بفعل مركزهم، دنيا عريضة، وساهم بعضهم في النشاط العلمي للأندلس بشكل فعال، ولذلك كله يمكننا القول بأنهم شكلوا الأرستقراطية الحقيقية في الأندلس، وبأن تأثيرهم في الحياة السياسية كان أقوى من تأثير أية مجموعة سكانية أخرى.

6) السودان:

كان السودان من العناصر الأولى الطارئة على الأندلس، إذ بلغ عددهم سبعمائة (700) سوداني ضمن حملة طارق بن زياد[3]، إلا أن ابن الشباط نقل عن ابن أبي الفياض أن الأندلس لم يدخلها سودان عند الفتح، سوى رجل واحد بعثه طارق بن زياد، أثناء حصاره لمدينة قرطبة، ليأتيه بخبر الساقية التي تزود سكان المدينة بالماء الشروب[4]، كما يفهم من الرواية التي حققها حسين مؤنس، وهي لمؤلف مجهول، أن طارقا هو الذي حاصر قرطبة، وأنه كلف السودان بذبح بعض الأسرى من العلوج، وطبخهم والتظاهر بأكلهم حتى يدخل الرعب في نفوس الروم الآخرين[5]، إلا أن في هاتين الروايتين اضطراب كبير، بحيث أن المصادر، التي أرخت للفتح الإسلامي للأندلس، تجمع على أن الذي حاصر قرطبة وفتحها، إنما هو مغيث الرومي مولى عبد الملك بن مروان، الذي كان أحد القادة في جيش طارق[6].

---

[1] ـ صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغداذي اللغوي، يكنى: أبا العلاء. ينظر: ابن بشكوال ـ كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ـ تحقيق صلاح الدين الهواري ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2003م ـ ص 201.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 82.

[3] ـ مؤنس حسين ـ " رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، دعوة إلى ترديد النظر في الموضوع " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 18 ـ 1974- 1975 ـ ص 128.

[4] ـ ابن الشباط المصري التوزري (ت 681هـ/ 1282م) ـ " قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط " ـ تحقيق أحمد مختار العبادي ـ في **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 14 ـ 1967 – 1968 ـ ص 116.

[5] ـ مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص 128.

[6] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ج2 ص 10 // المقري ـ نفح الطيب ـ ج1 ص 261.

وظل عددهم جد محدود، لأن عدد الوافدين منهم على الأندلس كان قليلا جدا، بحيث كان التجار يأتون بهم، ضمن السلع التي كانوا يجلبونها من المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى الإفريقية، أي بلاد السودان، كما جيء ببعض منهم من المشرق مثل عابدة الرحمن، التي كانت جارية سوداء، أهداها محمد بن يزيد بن مسلمة المقيم بالشام إلى ابن عمه دحون حبيب بن الوليد بن حبيب المرواني[1]، الذي توجه إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فأعجب دحون بعلمها، إذ كانت تسند عشرة آلاف حديث، فقدم بها إلى الأندلس وتزوجها، فولدت له ابنه بشرا[2]. كما اتخذ محمد بن بشير[3] خادمة سوداء اسمها بلاغ، للخدمة والإستمتاع[4].

ومنذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، بدأ الحكام الأمويون يستكثرون من اقتناء السودان، فازداد عددهم بشكل ملفت للإنتباه، واتخذ منهم الخلفاء حرسهم الخاص، وأصبحوا يُستعملون في الإحتفال ببعض المناسبات مثل البيْعة، ومراسيم استقبال الوفود السياسية الأجنبية[5]. كما استعمل المنصور بن أبي عامر، عددا منهم في حمل البريد، وكانوا يسمون في الأندلس"الرقاصة"، وقد بلغ عددهم ألفين[6].

وخلال الفتنة التي عاشتها الأندلس (399 ـ 422هـ/ 1009ـ 1031م)، ازدادت أهمية السودان، وعظم دورهم، حتى أن القاسم بن حمود ابتاع منهم عددا كبيرا، وألف منهم جيشا، وقوَّدهم على أعماله، ولم يأمن إلى غيرهم، مما أسخط عليه البربر[7].

إضافة إلى أن بعض الأندلسيين امتلكوا، خلال هذه الفترة، خدما من السودان، فصاعد اللغوي، المذكور آنفا كان له خادم أسود يدعى كافور[1]، وفتن ابن زيدون[2] بجارية سوداء[3] كانت كانت لولادة بنت المستكفي[4].

---

[1] ـ ينظر: ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج1 ص 228 رقم 757.

[2] ـ ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج4 ص 240 رقم 665/ / ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 96.

[3] ـ ترجمته في: ابن الأبار ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 284 رقم 974.

[4] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 218.

[5] ـ مكي الطاهر أحمد ـ دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط2 ـ1397هـ/ 1977م ـص 17.

[6] ـ ابن الخطيب ـ تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ـ تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال ـ دار المكشوف ـ بيروت ـ ط2 ـ 1956م ـ ص 102.

[7] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 484.

وكان الرجال يقدِّرون في الجواري السودانيات صفات أنثوية لا يجدونها في غيرهن، وربما يكون ذلك سبب ميل ابن زيدون إلى الجارية السوداء، كما أن محمد بن بشير، المذكور أعلاه، كان إذا غشي جاريته السوداء المسماة بلاغ، وقضى وطره منها، دفع في صدرها بيده وقال: " يا بلاغ إن فيك لبلاغا إلى حين"[5]. وكان الأديب أبو حفص القعيني[6] قد شغف بجارية له سوداء ثم باعها، إلا أنه ندم وأراد استرجاعها، فرفض الذي اشتراها منه، وزعم أنها حامل، فقال فيها القعيني أشعارا عديدة[7].

ويقول أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني[8] في جارية سوداء اسمها عزة:

يَا عَزُّ عَزَّ الوَجْدُ صَـبْري بما أَصْبحتِ من حُسنكِ تُبْدِينَـهْ

ما أنـتِ إلاَّ لُعبـةٌ مَـا بَـدتْ للـمـرءِ إلاَّ أفـسـدتْ دِيـنَـهْ

وقَد أَفَدْتِ المِسْكَ فَخْرًا بأنْ أصـبـحَ يَـحْـكِيكِ وتَحْكِينَهْ

لاَ شكَّ إذْ لونُـكُمـا واحـدٌ أنَّكُما في الأصْـلِ مـن طِـينِهْ[9]

رغم ذلك، فإن بعض الأندلسيين نظر إلى السودان نظرة تقزز واشمئزاز، فقد قام الخليفة عبد الرحمن الناصر بتعليق أبناء السودان في ناعورة قصره، بدلا من الأقداس أو القواديس الغارفة للماء، فأهلكهم[10]، وهذه جريمة توضح مدى كره الخليفة الناصر للسودان، وعدم

[1] ـ ابن سماك العاملي، محمد بن محمد، أبو العلاء (ت 750هـ/ 1349م) ـ " الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة " ـ تحقيق محمود علي مكي ـ في **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 20 ـ 1979– 1980 ـ ص 71.

[2] ـ ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو العباس (ت 681هـ/ 1282م) ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1994 ـ ج1ص 139.

[3] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 205.

[4] ـ ترجمتها عند ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص534.

[5] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 218.

[6] ـ لم نعثر له على ترجمة، إلا بعض الأخبار التي أوردها ابن بسام في الذخيرة، ج 4 ص 214 و215 و216 و217.

[7] ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 4 ص 215.

[8] ـ أَبو الصَّلْت أمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني (460– 529 هـ/ 1068– 1135م)، أديب وفيلسوف وطبيب. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ/ 1363م) ـ الوافي بالوفيات ـ تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث – بيروت ـ 1420هـ/ 2000م ـ ج9 ص 229– 232.

[9] ـ العماد الإصفهاني، أبو عبد الله، عِمَاد الدِّين (ت 597هـ/ 1201م) ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ تحقيق محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ـ الدار التونسية للنشر ـ ط3 ـ 1986 ـ ج 1 ص 258.

[10] ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج1 ج2 ص 76 // ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 37.

إعارته أية أهمية لهم. كما وصف ابن صارة الشنتريني[1] غلاما أسود، جلس إلى جانبه، مكان غلام وسيم، بأنه جهنم وبليل مظلم:

مَضَت جَنَةُ المأْوَى وجاءَت جَهنَّمُ فَها أنا أَشْقى بعد مَا كنْتُ أنعَمُ
وما كان إلاَّ الشمسُ حان غروبُها فـأَعْـقَبها جُنْحٌ من الليلِ مُظلِمُ[2]

ولم يَرُقْ لبعض الأندلسيين زواج رجل أسود من امرأة بيضاء أو العكس، فلما علمت ولادة بنت المستكفي بأن ابن زيدون يميل إلى جاريتها السوداء، أرسلت إليه بأبيات شعرية، استنكرت فيها هذه العلاقة، وأبرزت له تفوقها على جاريتها:

لَو كنتَ تُـنْـصِفُ في الهوَى ما بينَنَا لمْ تـهْـوَ جـاريَـتي ولَم تَـتَـخَـيَّرْ
وتركتَ غُصْناً مُثمِراً بـجَـمـالِـــه وجَنحْتَ للغُصنِ الذي لَم يُثْمِرْ[3]

أما العامة فعبرت عن استهانتها بالإماء السوداوات بقولها: " سودَ زنَت، قال قلة انكسرت"[4]، أي أن زناهن شيء تافه، لا يُعبأ به، ذلك مما يبين بأن العامة الأندلسية لم تكن تولي أية أهمية لهذه الشريحة الإجتماعية.

ورأى شاعر آخر، أنه لا يجب على الرجل العاقل الميل إلى الزنجيات، اللواتي نعتهن بنعوت هابطة، إذ يقول:

إذَا مَالَ الفتَى لِلسُّودِ يَوْماً فَلاَ رَأْيٌ لَـدَيْـهِ وَلاَ رَشَـادُ
أَتَـهْوَى خُنْـفُسَاءَ كَأَنَّ زِفْتاً كَسَا جِلْداً لَهَا وَهُوَ السَّوَادُ
وَمَـا الـسَّوْدَاءُ إلاَّ قِدْرُ فُرْنٍ وَكَـانُونٍ وَفَـحْـمٌ أَوْ مِـدَادُ[5]

ودخل على قاضي الجماعة أبي العباس أحمد بن حمدين[6]، في مجلس حكمه، عبد أسود رفقة زوجة له بيضاء ليتحاكما إليه، فلما رآهما أنشد على البديهة:

---

[1] ـ ترجمته عند: ابن خلكان ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 93.

[2] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 420.

[3] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 205.

[4] ـ الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد القرطبي (ت 694هـ/ ـ أمثال العوام في الأندلس ـ تحقيق محمد بن شريفة ـ منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ـ د. ت ـ القسم الثاني ص 421، رقم 1831.

[5] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 571.

[6] ـ ترجمته عند: أبي الحسن علي النباهي ـ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ـ دار الآفاق الجديدة – بيروت ـ ط 5 ـ 1403هـ / 1983م ـ ص 103.

رأيْتُ غراباً على سَوْسَنَهْ وذاك دليلٌ لِـســـوءِ السَّنَهْ
فَيَا مِرْوَدَ الآبِنُوسِ افْتَخِرْ ويَا مِكْحَلَ العَاجِ زِدْ مَعُونَهْ[1]

وذهب الفقيه ابن عبد الرؤوف، صاحب رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، إلى تحريم الزواج من السودان، مستدلا بحديث موضوع، منسوب إلى النبي ﷺ، جاء فيه: " لا يشرك في نسبِهِ السودان "[2]، وقد بحثنا عن هذا الحديث في كتب المتون، ولم نعثر عليه.

ولم يكن المجتمع يقبل بسهولة ابنا أسودا نتاج زاوج رجل أبيض من أمة سوداء، فالأمِير أَرقم بن عبد الرَّحْمَن بن إِسْمَاعِيل[3]، من بني ذي النون ملوك طليطلة، إلا أنهم طاردوه لأنه كان أسود اللون، باعتبار أنه جاء من جارية سوداء، واقعها أبوه وهو في حالة سكر، ولذلك أنشد قائلا:

زَعَمتُم بأنّي لسْتُ فرعـاً لأصلــكُم فهَـلاًّ علِـمتُم أنـَّنِي عـنهُ أَرغَـبُ
وحسْبِي إذا مـا الـبيضُ لـم تَرعَ نسبةً بأنـنِي إلى سـيْفي ورُمحِي أُنْـسَبُ[4]

زيادة على كل ذلك، فإن العبيد السودان كانوا في أدنى مراتب عبيد الأندلس، إذ كان المملوك الجليقي مثلا يعادل مملوكين من السودان[5].

ومما سبق، أصبح بإمكاننا القول بأن الرقيق السودان كانوا مُزْدَرين من طرف المجتمع الأندلسي، حكاما ومحكومين، إذ كان الأندلسيون يتشاءمون منهم، ولا يرون فيهم إلا كل قبيح، وأوكلوا إليهم الأعمال الشاقة والمنحطة، مثل إيصال البريد، وحمل أسِرَّة الحكام، والقيام بأعباء البيوت.

ثانيا: العناصر غير المسلمة:

1) النصارى:

---

[1] ـ العماد الإصفهاني الكاتب ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ تحقيق آذرتاش آذرنوش ـ نقحه وزاد عليه محمد العروسي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ـ الدار التونسية للنشر ـ ط2 ـ 1986 ـ ج2 ص 296 –297.

[2] ـ ابن عبد الرؤوف ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ـ نشرها ليفي بروفنسال ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ـ 1955 ـ ص 80.

[3] ـ ترجمته عند: ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 12.

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 134.

[5] ـ ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي ـ كتاب الوثائق والسجلات ـ تحقيق بدرو شالميتا وفيدريكو كورينطي ـ مجمع الموثقين الجريطي ـ المعهد الإسباني العربي للثقافة ـ مدريد ـ 1983 ـ ص 55.

النصارى هم السكان الأصليون لشبه جزيرة إيبيريا، من أصول مختلفة، اصطلح على تسميتهم بالمستعربين، وظلوا يمثلون غالبية سكان الأندلس طيلة المدة التي بقاها الحكم الإسلامي هناك.

وقد توافدت على الأندلس أعداد من النصارى من جهات مختلفة، فمن المشرق الإسلامي على الأندلس، نذكر منهم راهب فلسطيني يسمى جورج (George) من مواليد بيت لحم[1]، نال شهرة كبيرة بين مسيحيي قرطبة خلال القرن الثالث الهجري (9م)[2]، ولابد أن تكون شهرته ناتجة عن طول مقامه بالمدينة. من المشرق المسيحي، وبالتحديد من بيزنطة، كهؤلاء العمال المهرة الذين استجلبهم الخليفة عبد الرحمن الناصر لتشييد قصره العظيم الذي سماه الروضة[3]، كما استجلب ابنه الحكم المستنصر، صناعا مهرة من بيزنطة لتزيين الزيادة التي بناها بالمسجد الأعظم بقرطبة، بواسطة الفسيفساء[4]. كما كان الشأن بالنسبة للراهب نيقولا الذي أرسله الإمبراطور البيزنطي أرمانيوس الأول (Romain I) (308-333هـ/ 920-944م)، إلى قرطبة ليساهم في ترجمة كتاب الأعشاب لديسقوريدس من الإغريقية إلى العربية، والذي كان قد أرسله نفس الإمبراطور هدية إلى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة 377هـ/ 948م، ورغم أن الراهب أنهى مهمته التي أرسل من أجلها، إلا أنه فضل الاستقرار في الأندلس إلى أن توفي بها في بداية عهد الخليفة الحكم المستنصر[5].

ومن الأرض الكبيرة (فرنسا حاليا)، وفد على الأندلس مسيحيون كانوا يعرفون بالفرنجة، وكان بعضهم يُتخذ كحرس خاص من طرف الحكام الأمويين، فقد أهدى الوزير جعفر المصحفي مائة مملوك فرنجي بأسلحتهم وخيولهم إلى المستنصر عند توليه الخلافة[6].

وساهمت التسهيلات التي منحها حكام الأندلس للتجار الأجانب غير المسلمين، والمتمثلة في منحهم شهادة أمان تتراوح مدة صلاحيتها بين أربعة أشهر وسنة، يتجولون

[1]- بيت لحم بقرب إيليا من أرض الشام. ينظر: الحميري - المصدر السابق - ص 123.

[2] -Duffourcq –op. cit- p86.

[3]- ابن خلدون- كتاب العبر- ج4 ص172.

[4]- ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص42.

[5]- ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص494.

[6]- المقري- المصدر السابق- ج1 ص382/ ابن خلدون- المصدر السابق- ج4 ص173.

بموجبها في كامل الأندلس دون أن تفرض عليهم الجزية[1]، في تدفق أعداد كبيرة منهم على الأندلس، وبالأخص من شمال شبه جزيرة إيبيريا وإيطاليا[2]، ولا يستبعد أن يكون بعضهم قد فضل الاستقرار في الأندلس، والاندماج في جماعات النصارى المحلية.

وانتقلت إلى الأندلس، خلال القرن الثالث الهجري(9م)، أعداد من المسيحيين البربر الأحفاد الروحيين للقديس أوغسطين(Saint Augustin (354-430م)[3]، وظلوا بالأندلس إلى نهاية القرن الخامس الهجري (11م)، حين بدأت أعداد منهم بالعودة إلى المغرب، بعد سقوط عدد من المدن الأندلسية الهامة في يد نصارى الشمال، في إطار ما سمي بحركة الاسترداد، وساهم بعضهم كمرتزقة في هذه الحركة ضد المسلمين[4].

مواطن استقرارهم:

رغم أن غالبية سكان شبه جزيرة إيبيريا كانوا يدينون بالديانة المسيحية قبل الفتح الإسلامي، أي أنهم كانوا يتوزعون على مختلف أرجائها، إلا أن مدنا مثل قرطبة وإشبيلية ومارِدة وطليطلة، كانت بمثابة مراكز لتجمعهم في الأندلس، لأنها كانت عواصم لملوك إسبانيا قبل الفتح[5]، ولكونها مراكز للثقافة الرومانية القوطية[6]، بالإضافة إلى خصائصها الجغرافية والدينية والسياسية التي تمتعت بها كل مدينة من هذه المدن.

أ) **قرطبة**: حوت قرطبة، باعتبارها حاضرة الأندلس، عددا هاما من النصارى، تجمع أغلبهم في حي المستعربين، الواقع آنذاك إلى الشرق من قصبة المدينة[7]، وهذا لا يعني أن الأرباض الأخرى خلت منهم، فوجود عشر كنائس موزعة على أنحاء قرطبة[8]، دليل على انتشارهم في المدينة وأرباضها من جهة، وعلى ارتفاع عددهم من جهة أخرى، نذكر من بين

---

[1]- أوليفيا ريمي كونستبل- التجارة والتجار في الأندلس- تعريب فيصل عبد الله- مكتبة العبيكان- الرياض الطبعة الأولى- 1423هـ/ 2002م- ص117.

[2]- المرجع نفسه- ص117.

[3] - Dufourcq – op cit – p 86.

[4]- Brahim Harakat – " la communauté chrétienne celles d'origines chrétienne en Espagne musulmane vues par les sources arabes " – in **l'occident musulmane et l'occident chrétien** – coordonné par Mohammed Hammam - publications de la faculté des lettres – Rabat 1995 – p 202.

[5] الحميري- الروض المعطار- ص59.

[6]- Isidro de las Cagigas – los Mozarabes –Instituto de Estudios Africanos – Madrid- 1947- t1 p59 .

[7]- Levy Provençal – op cit – t3 p 365.

[8] - Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p58.

هذه الكنائس، كنيسة شنت أجلح (Saint Aciscle) القريبة من قصبة المدينة[1]، وكنيسة القديسين (خوست وجانفي ومارسيل)، وأخرى في حي الطرازين[2].

وتشير وثائق إلى وجود أساقفة في جبال قرطبة خلال القرن 3هـ/ 9م[3]، مما يدل على وجود كنائس في أرياف قرطبة، منها كنيسة القديس مارتين، وكنيسة القديسة أولالي[4].

إضافة إلى هذه الكنائس، انتشر بقرطبة وضواحيها أكثر من تسعة أديرة، أشهرها دير أرملاط[5]، وكذا منازل للراهبات.

كما كان لثراء المدينة[6] واتساعها، وتعدد فرص العمل فيها، أثر إضافي في استقرار المسيحيين فيها، فربض شقندة مثلا، كان يضم عددا من التجار المسيحيين[7].

ب) طليطلة: كانت طليطلة عاصمة القوط، وحاضرة شبه جزيرة إيبيريا قبل الفتح الإسلامي، واشتهرت بكونها مقرا لكرسي المطرانية[8]، وبمناعة حصونها، حتى وصفها ابن حيان، بقوله: " إنها أم المعاقل، وقاعدة المدائن التي عظم في الأوائل خطرها وأعجز ملوك الأمم مرامها "[9]، مما جعلها مقصد عدد كبير من النصارى.

وعند فتح المسلمون لهذه المدينة، وجدوا بها عددا من الكنائس التي ظلت مفتوحة أمام المسيحيين، إلى غاية افتكاك النصارى لها من المسلمين سنة 478هـ/ 1085م، حينها أمكن إحصاء تسع كنائس، أهمها كنيسة جميع القديسين وهي أعظم كنائس طليطلة، وكنيسة القديسة مريم (Santa Maria)، وكنيسة القديسة ماريا دي ألفثين (Santa Maria de Alficen)، وهي كنيسة كبيرة، كانت مقر كرسي المطرانية الأندلسية[10].

---

[1] - Levy Provençal – op cit – t3 p 365.

[2] - ibid – t3 p225.

[3]- ميكيل دي إيبالزا- " المستعربون أقلية مهمة في الأندلس الإسلامية " ـ ترجمة يعقوب دواني ـ <u>الحضارة العربية في الأندلس</u> <u>الأندلس ـ جمع سلمى الخضراء الجيوسي</u> ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ط2 ـ 1999ـ ج1 ـ ص244.

[4] –Levy Provençal – op cit – t3 p225.

[5] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 37.

[6]- الحميري- المصدر السابق- ص456.

[7] –Levy Provençal – op cit – t1 p161.

[8] –Simonet – op cit – p124.

[9]- ابن حيان- القطعة الرابعة من المقتبس- ص272.

[10] - Simonet- op, cit- p 165.

ج) إشبيلية: تمتاز إشبيلية بعظمتها واتساعها[1]، وكانت تحظى بمكانة خاصة بين العجم[2]، فقد حوت هذه المدينة، عددا هاما من الكنائس، ظلت عشر منها مفتوحة للعبادة إلى غاية القرن السادس الهجري(12م)[3]، مما يوحي بوجود عدد كبير جدا من مرتادي هذه الكنائس، والتي من بينها كنيسة القديسة ربينة أو رفينة (Santa Ruvina أو Rufina)، التي اتخذ المسلمون جزءا منها مسجدا لهم، وكنيسة الماء التي تبعد عن إشبيلية بفرسخين[4].

يتضح من كل ذلك، أن المسيحيين كانوا يشكلون في هذه المدينة مجموعة مرتفعة العدد، بل إنهم مثلوا مع المولدين غالبية سكانها[5].

د) ماردة: وهي من المدن العريقة في الأندلس، وخلال حكم القوط ثم المسلمين، حافظت ماردة على أهميتها كمركز ديني، إذ كانت مركزا لكرسي مطرانية ماردة أو لشدانيا، والتي تتبعها اثنا عشر أسقفية[6].

ومما زاد من أهمية هذه المدينة، كونها عاصمة الثغر الأدنى، وأنها كانت تضم عدة كنائس، تم إحصاء أربع منها[7]، أشهرها كنيسة القديسة أولالي[8]، لذلك شكل المسيحيون نسبة نسبة مرتفعة من سكانها[9].

إلا أنه من الخطأ أن نقصر وجود المسيحيين في الأندلس على هذه المدن الأربع فقط، بل إنهم توزعوا على بقية المدن الأندلسية الأخرى، ومنها:

- بلنسية[10] (Valencia): والمعروفة بمدينة التراب[11]، وهي من الحواضر المقدسة في

1- ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج1 ص130.

2- الحميري- المصدر السابق- ص58.

3 - Simonet – op cit – p539.

4- ابن القوطية- المصدر السابق- ص75، (الفرسخ ثلاثة أميال والميل 1.603 كلم)

5- بوتشيش القادري – أثر الإقطاع في التاريخ الأندلسي السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري إلى ظهور الخلافة (250-316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م- ص295.

6 -Simonet – op cit - p 809.

7- Isidro de las Cagigas – op cit - T1 p 58.

8 - Simonet – op cit - p 306.

9- Levy Provençal – op cit – T1 p 208.

10 ـ بلنسية في شرق الأندلس، وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارات وبها أسواق وحط وإقلاع، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 97.

11- مؤنس- المرجع السابق- ص263.

الأندلس، ذات حركة اقتصادية نشيطة[1]، وجدت بها كنائس عدة، منها كنيسة سانتا ماريا دي لابيرتود، وكنيسة القديس بيسنت[2].

كما كانت هذه المدينة مركزا لكرسي أسقفية، تابعة لمطرانية طليطلة[3]، مما أدى إلى وجود وجود جماعات من المسيحيين، موزعين على مختلف أرباض المدينة، مثل ربض رايوسة، وربض الرصافة، وربض الكدية[4].

وعموما فإن مستعربي بلنسية عاشوا في هدوء وسلام، وتمتعوا بحرية العقيدة، وتسامح من طرف المسلمين، وكانت لهم أسقفية ترعى مصالحهم، وتنظم شؤونهم[5].

– كورة إلبيرة: ضمت هذه الكورة عددا معتبرا من المسيحيين، إذ أن أهل دمشق من العرب الشاميين، الذين دخلوا الأندلس في طالعة بلج بن بشر سكنوا هذه الكورة في غمار من الروم[6]، وتجمع نصارى هذه الكورة، في عدة تجمعات سكنية حول غرناطة، منها قسطالة ، وغرناطية، وبالومار، وألفونت، وأرنالش، ومونشطال، وقلمبيرة، وقنالش، ورريينة، وجطرون، ومالقة[7]، مما يدل على أن عددهم كان كبيرا في هذه الكورة.

وفي نهاية القرن الخامس الهجري(11م)، أرسل مسيحيو غرناطة سجلا إلى ألفونسو السادس، تضمن أسماء اثني عشر ألفا من مقاتليهم[8]، فإذا أضفنا إلى هؤلاء النساء والشيوخ والأطفال والرجال غير القادرين على حمل السلاح ورجال الدين، أمكن القول أن عددهم

---

[1]- الحميري- المصدر السابق- ص98.

[2] – Simonet – op cit - p 664.

[3]- Ibid – p 809.

[4] – Isidro de las Cagigas – op cit – t2 p 464

[5]- كمال السيد أبو مصطفى – تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي – 95 – 495هـ/ 714 – 1102م – مركز الإسكندرية للكتاب – ص238.

[6]- ابن الخطيب- الإحاطة في أخبار غرناطة- ج1 ص21// ابن بلقين عبد الله بن باديس بن حبوس – كتاب التبيان ـ تحقيق تحقيق أمين توفيق الطيبي ـ منشورات عكاظ ـ الرباط ـ 1995م – ص116// القادري بوتشيش- المرجع السابق – ص292 // Provencal–op.cit- T 1 p 343-344 \ De Las Cagigas - op.cit – T2 p 463.

[7]- ابن الخطيب- المصدر السابق- ج1 ص22.

[8]- المصدر نفسه- ج1 ص22.

كان يفوق بكثير العدد الوارد في الزمام، وكانت بعض القرى عامرة بهم دون غيرهم، مثل قرية فنيانة القريبة من وادي آش (Guadix) [1].

ومن بين الكنائس التي وُجدت في هذه الكورة، تلك التي كانت على بعد غلوتين [2] غلوتين [2] من غرناطة، والتي أمر المرابطون بتحطيمها، عقابا للمسيحيين على خيانتهم للعهد [3]، للعهد [3]، وكنيسة القديس اشتبان (San Esteban)، وكنيسة القديس بجنت (San Vicente)، وكنيسة القديس خوان باوتيستا (San Juan Bautista)، والتي شيدت مع نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي [4].

إلى جانب عدد من المدن الأخرى، والتي ضم بعضها مجموعات من المسيحيين وكنائس، كل ذلك يوضح مدى تسامح الحكام المسلمين تجاه أتباع المسيحية.

2)- اليهود:

وُجد اليهود في الأندلس قبل الفتح الإسلامي، وعانوا هم الآخرين من اضطهاد القوط، كما سبقت الإشارة إليه، وهذا ما يفسر ترحيبهم بالفتح الإسلامي، وبالتالي استعانة الفاتحين بهم لمراقبة المدن المفتوحة [5].

وقد عومل اليهود من طرف المسلمين معاملة حسنة، وأُعطُوا حرية تنظيم شؤونهم الاجتماعية والدينية، فكانت لهم بيَعهم التي يؤدون فيها شعائرهم الدينية، وارتقى بعضهم إلى مناصب سياسية هامة كالوزارة في كنف الحكم الإسلامي، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر إسماعيل بن يوسف بن النغريلة الذي كان وزيرا في دولة بني زيري بغرناطة [6]،

---

[1]- الحميري- الروض المعطار- ص441.

[2]- الغلوة: هي مقدار رمية سهم، ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة، والذراع 56 سم، أي أن الغلوة تساوي 184.80 مترا- محمد رواس قلعة جي وصادق قنيبي- معجم لغة الفقهاء- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط2-1408هـ/ 1988م- ص334.

[3]- ابن الخطيب- الإحاطة- ج1 ص21.

[4] –Simonet – op cit – p 540.

[5]- مجهول - أخبار مجموعة - تحقيق إسماعيل العربي - المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م - ص100// ابن عذاري - المصدر السابق - ج 2 ص12// المقري - المصدر السابق - ج1 ص263.

[6]- ابن سعيد- المغرب في حلى ـ ج2 ص114.

ويوسف بن حسداي الذي كان وزيرا في دولة بني رزين [1]، وحسداي بن إسحاق الذي استوزره الحكم المستنصر، والذي يعود له الفضل في تحقيق الإستقلالية ليهود الأندلس عن يهود المشرق [2] باستجلابه لمؤلفات يهودية من المشرق، وبذلك نشطت الحركة العلمية عندهم متأثرة بالحركة العلمية الأندلسية الشاملة في عهد المستنصر [3]، فظهرت منهم بيوتات أهمها آل حسداي الذين تخصصوا في الطب.

مواطن تجمعهم:

رغم صعوبة تحديد عدد اليهود الذين كانوا يعيشون في الأندلس، إلا أن البعض ذهب إلى تقدير عددهم، خلال النصف الأول من القرن 5هـ/ 11م، بحوالي عشرين ألف أو ثلاثين ألف يهودي [4]، نعموا بالأمن في ظل الحكم الإسلامي، فارتفع عددهم وازدادوا ثراء، وانتشروا في عدد من أنحاء الأندلس، وتميزت أحياؤهم بشوارعها الضيقة جدا، ومزودة بمداخل تغلق ليلا، تعرف باسم الدروب [5]، وكانت هذه الدروب تصل بين بيوت اليهود، وفي داخل هذه الأحياء توجد بعض الحمامات والمعابد وساحات صغيرة [6]، وفي بعض المدن الأخرى، فإن بيوت اليهود كانت متاخمة لبيوت المسلمين وبيوت المسيحيين [7]، كما كان عليه الحال في مدينة قرطبة [8]. وأهم المدن الأندلسية التي ضمت عددا معتبرا من اليهود:

---

[1] ـ المصدر نفسه- ج2 ص441.

[2] ـ ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم موفق الدين، أبو العباس (ت 668هـ/ 1270م) ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة – بيروت ـ 1965ـ ص 498.

[3]- المصدر نفسه- ص498.

[4] - Duffourcq _ op. cit _ p 187

[5] ـ توريس بلباس ليوبولد ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ترجمة إليو دورو دي لابينيا ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2003م ـ ص 314.

[6] ـ علي أحمد ـ " اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى " ـ **مجلة آفاق الثقافة والتراث** ـ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ السنة الخامسة ـ العدد 17 ـ محرم 1418هـ/ مايو 1997م ـ ص 60.

[7] ـ س. د. جواتياين ـ دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ـ تعريب عطية القوصي ـ وطالة المطبوعات الكويت ـ ط1 ـ 1980 ـ ص 151.

[8] ـ عبد الوهاب خلاف ـ المرجع السابق ـ ص 266.

ـ اليسانة (Lucena) وهي مدينة منيعة، سورها من أعظم الأسوار [1]، ويطوف بها حفير عميق مملوء ماء، ولا يسكنها غير اليهود، لذلك اعتُبرت مدينتهم [2]، وهم أغنياء مياسير أكثر غنى من اليهود الذين ببلاد المسلمين، وهذا ما دفعهم إلى الحذر من الأجانب وإحكام تحصين المدينة، وكان يرأسهم واحد منهم يوافق عليه حاكم الأندلس، ففي عهد عبد الرحمن الناصر سُجل الحجاج بن متوكل اليهودي على قسامة قومه في هذه المدينة [3].

ـ غرناطة: عندما فتح المسلمون غرناطة، وجدوا بها عددا من اليهود فضموهم إلى قصبتها [4]، ثم تزايد عددهم فيها حتى أصبحت تعرف بأغرناطة اليهود [5].

ـ قرطبة: كان لليهود بقرطبة حي خاص بهم يقع في الجهة الجنوبية الغربية منها، قريباً من قصر الخلفاء والجامع الكبير [6]، وكانت لهم مقبرة خاصة عرفت بمقبرة اليهود، مجاورة لمقبرة للمسلمين [7]، كما كانت لهم دور عبادة مسماة بالشنوغة [8]، مما يوحي بأن عددهم كان كبيرا في هذه المدينة.

إضافة إلى طليطلة التي وجد فيها طارق، عندما فتحها، عددا من اليهود [9]، وازداد عددهم بها، في ظل الحكم الإسلامي، حتى أصبح لهم حي خاص بهم داخل المدينة [10]، وُصفت طركونة بمدينة اليهود [11]، كما وصفت بذلك مدينةَ بيانة [12] (Baena) [13].

---

[1] ـ مجهول ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ـ تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ـ دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ط1 ـ 1399هـ/ 1979 ـ ص 80.

[2] ـ الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 571.

[3] ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 149.

[4] ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ م1، ص19.

[5] ـ الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 45.

[6] - عبادة كحيلة ـ تاريخ النصارى في الأندلس ـ دار الكتاب الحديث ـ ط1 ـ 1414هـ/ 1993م ـ ص46–47.

[7] ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 295.

[8] ـ ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى (ت 486هـ/ 1093م ـ ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير سير الحكام ـ تحقيق يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ 1428هـ/ 2007م ـ ص 493.

[9] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 12.

[10] ـ تنظر خريطة عند: Levy Provençal – op.cit – T 3 p 353.

[11] ـ الإدريسي ـ المصدر ـ ج2 ص 555.

[12] بيانة بالأندلس من أعمال قرطبة كثيرة المياه، ولها حصن منيع. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 119.

[13] ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 105.

هذه إذن هي العناصر البشرية المكونة للمجتمع الأندلسي، إلا أن كل عنصر من هذه العناصر يختلف أفراده عن بعضها البعض من حيث المستوى الاجتماعي، وعلى أساس ذلك يمكن تقسيم المجتمع الأندلسي إلى ثلاث فئات أو طبقات اجتماعية حسب المفهوم الحديث.

البناء الطبقي للمجتمع الأندلسي:

هناك شبه إجماع على تقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث، وهي خاصة الخاصة، أو ما اصطلح على تسميتها حديثا بالطبقة الأرستقراطية، ثم الطبقة الوسطى أو البرجوازية، ثم طبقة العامة أو الطبقة الكادحة.

وهذا ما جاء على لسان الفضل بن يحيى، الذي صنف الناس إلى "ملوكٍ قدَّمهم الإستحقاقُ، ووزراءَ فضَّلَتهم الفطنةُ والرأيُ، وعِلْيَةٍ أنْهضَهم اليَسارُ، وأوساطٍ ألحقهم بهم التأدبُ، والناس بعدهم زبد جُفـْءٌ، وسيْلٌ غُـثـْءٌ، لُكَعٌ ولُكَاعٌ، ورَبيطَةُ اتّضاعٍ، همُّ أحدِهم طَعْمُه ونومُه " [1]

1) الطبقة الخاصة (أو ما تعرف حاليا بالأرستقراطية):

تشكلت هذه الطبقة من أفراد الأسرة الأموية الحاكمة، بدءاً بالخليفة ونسله وإخوانه، فكان الأمير أو الخليفة، يقوم، بعد مبايعته، بتحسين الأوضاع الإجتماعية لأفراد أسرته، الذين هم في حاجة إلى مساعدة، والرقي بهم إلى مصاف طبقته [2].

تكونت من مختلف الأجناس المشكلة للمجتمع الأندلسي، ولم تكن محصورة في العرب وحدهم، كما ذهب إلى ذلك ليفي بروفنسال [3]، غير أن الارستقراطية الحقيقية في الأندلس تكونت أساسا من الموالي الذين كانت غالبيتهم من غير العرب، إذ كانوا يشكلون الفئة المتنفذة للأرستقراطية الأندلسية [4].

[1] ـ الهمذاني، ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت 340هـ/ 951م) ـ البلدان ـ تحقيق يوسف الهادي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط1 ـ 1416هـ / 1996م ـ ص 57.

[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 194 – 195.

[3]- Provençal – op. cit - T3 p 189

[4] - Pierre Guichard – structures sociales orientales et occidentales dans l'Espagne musulmane – édition mouton Paris lahaye 1977 – page 201.

وتألفت الارستقراطية الأندلسية من ملكيتها للأراضي الزراعية، لأن المجتمع الأندلسي كان ذا طابع إقطاعي [1]، وبذلك شكل الملاكون الكبار، بالإضافة إلى الأمراء والحكام ورجال الدولة والتجار الكبار والأعيان قمة هذه الفئة، بسبب امتلاكهم للثروة والجاه والنفوذ السياسي.

كما ضمت هذه الطبقة مجموعة من النصارى الذين احتفظوا بممتلكاتهم مقابل دفع الجزية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أبناء غيطشة الذين استمروا، تحت الحكم الإسلامي، كأمراء إقطاع [2]، ومنهم أرطباس (Ardabast) أول قومس لنصارى الأندلس، كان يحوز أراضي زراعية واسعة جدا بلغت ألف ضيعة [3]، وإيخيلونا (Egilona) أيلُه أو أم عاصم، التي احتفظت بممتلكاتها، رغم زواجها من عبد العزيز بن موسى بن نصير [4]، بالإضافة إلى المسؤولين عن تنظيم حياة النصارى الدينية والاجتماعية مثل البطارقة والأساقفة والقضاة والقمامسة والموظفين السامين في الإدارة الإسلامية على شاكلة قومس بن أنتيان، وربيع بن تيودولفو، يضاف إليهم اليهود مثل آل حسداي والمولدين مثل نصر الخصي.

2- الطبقة الوسطى:

يوصي أبو الوليد الباجي [5] ابنيه بأن يكونا ضمن الطبقة الوسطى، لأنه يرى بأنها أسلم الطبقات [6]، وتكونت الطبقة الوسطى في المجتمع الأندلسي من التجار بأصنافهم، وموظفي الدولة التابعين، (أي الموظفين من الدرجة الثانية) والصناع والحرفيين وملاك الأراضي

---

[1]- مصطفى الشكعة- المغرب والأندلس- آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية- دار الكتاب الإسلامية- دار الكتاب المصري القاهرة- دار الكتاب اللبناني بيروت- ط1- 1407هـ/ 1987- ص49،50.

[2] ـ إبراهيم القادري بوتشيش ـ أثر الإقطاع في تاريخ الأندلس السياسي، من منتصف القرن 3هـ/ حتى ظهور الخلافة (250- 316) ـ منشورات عكاظ ـ الرباط ـ ص 71.

[3]- ابن القوطية- المصدر السابق- ص20.

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 281.

[5] ـ أبو الوليد الباجي(403 - 474 هـ/ 1012- 1081م) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي: فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث. أصله من بطليوس (Badajoz) ومولده في باجة (Beja). ينظر: ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العَكري (ت 1089هـ/ 1678م) ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ تحقيق محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق – بيروت ـ ط 1 ـ 1406 هـ/ 1986 م ـ ج5 ص 315 – 316.

[6] ـ جودة عبد الرحمن هلال ـ " مقدمة لوصية أبي الوليد الباجي لولديه " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ العدد الثالث ـ 1374هـ/ 1955م ـ ص 45.

الصغار [1]، بالإضافة إلى العلماء الذين جمع الكثير منهم بين العلم وممارسة النشاط التجاري [2]، وعموما الذين كانوا يعيشون في مستوى اجتماعي متوسط، ولو أن هذا المستوى يختلف ارتفاعا وانخفاضا باختلاف المهن التي كانوا يحترفونها، وبما أن المدن كانت مراكز ثقافية وتجارية، فقد تركزت غالبية هذه الفئة فيها.

ونظرا للدور الكبير الذي بات يلعبه العلماء عموما، والفقهاء خصوصا في توعية العامة وتنبيهها إلى مفاسد الحكام وتأليبها ضدهم، مثل دورهم في ثورة العامة القرطبية ضد الحكم الربضي سنة 189هـ/ 805م [3]، ودور أبي إسحاق الإلبيري، شاعر غرناطة في قيام سكان هذه المدينة بثورة ضد يهودها سنة 459هـ/ 1066م، بعد نظمه لقصيدته النونية المشهورة [4]، والأبيات التي نظمها الشاعر الغرناطي خلف بن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر [5]، معارضا معارضا ما قام به صاحب غرناطة باديس بن حبوس، من استيزاره لنصراني، بعد مقتل وزيره اليهودي [6]، فقد حاولت الخاصة، وتحديدا الحكام، التحالف مع هذه الطبقة بهدف شراء سكوتها، ومحاولة منع إمكانية تحالفها مع الطبقة الدنيا (العامة) فأغدق الحكام الأمويون على بعض الفقهاء بالضياع والمنيات الواسعة [7]. أما الطبقة الوسطى، فاستغلت هذا التحالف غير

---

[1]- صالح خالص- إشبيلية في القرن الخامس الهجري- دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الثقافية فيها- دار الثقافة بيروت- 1965م- ص51 و54.

[2]- تعج كتب التراجم الأندلسية، بأمثلة عن علماء جمعوا بين العلم والتجارة، نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الدهان الغرناطي ت 653هـ/ 1255م (المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص58)، ومحمد بن إبراهيم بن وهب القيسي من أهل طليطلة(ابن بشكوال- المصدر السابق- ص422 رقم1180)، وزكريا بن بكر بن أحمد الغساني(ابن الفرضي- المصدر السابق- ص130رقم455)

[3]- عبد الواحد المراكشي، محي الدين بن علي (ت 647هـ/ 1250م)- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق صلاح الدين الهواري – المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ ط1 ـ 1426هـ/ 2006م – ص25.

[4]- المقري- المصدر السابق- ج4 ص322.

[5]ـ خلف بن فرج الإلبيري، أبو القاسم، المعروف بالسميسر: (توفي سنة 480 هـ/ 1087م) شاعر هجاء، أصله من إلبيرة (Elvira) وبيته في غرناطة. ينظر: العماد الإصفهاني ـ المصدر السابق ـ ص 167 – 168 – 169.

[6]- أبو طاهر السلفي- المصدر السابق- ص83 و84.

[7]ـ ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج1 ص 172 ـ ترجمة رقم 558.

المعلن للحفاظ على امتيازاتها، وبذلك زال خطر هذه الطبقة على الحكام، واتجهت، في غالب الأحيان، نحو الهدوء والمسالمة وطاعة ولي الأمر [1].

3) طبقة العامة:

وهي الطبقة الدنيا في المجتمع، والمزدراة من طرف الطبقتين السابقتين، لذلك تُنعت بنعوت منها الغوغاء [2]، وهو ضرب من البعوض لا يؤذي [3]، كما تنعت بالدهماء السوداء [4]، ويسميها ابن حزم "الطبقة المتأخرة" [5].

وتتكون هذه الطبقة من التجار والحرفيين مثل الصوافين والعكارين والحرارين والشقاقين [6] والعمال الذين يعملون داخل الحمامات كالحلاقين والحكاكين والسراجين والطيابين [7] وكذا الحرفيين والمزارعين الصغار والأجراء والعاطلين والعبيد [8]، ومن شاكلهم من ذوي الدخل الضعيف، وتميزت بانخفاض مستواها المعيشي، وسرعة تأثرها بالأحداث السياسية كالحروب، إذ كانت أراضيها وممتلكاتها عرضة للنهب والتخريب [9]، كما كما تميزت بسرعة قابليتها للتمرد والقيام بالثورات، لذلك كانت بمثابة خطر يهدد الحكام [10].

كما كانت هذه الطبقة تتحمل الجباية الباهضة، مثل ضريبة الزيتون التي كانت من الضرائب الممقوتة، وكانت تشكل عبئا ثقيلا على كاهل العامة [11]، وضريبة العشور التي كان الموظفون الحكوميون يشتطون في جمعها، وكان ينجر عن ذلك هلاك عدد من ضعفاء

---

[1]- صالح خالص- المرجع السابق- ص72- 73.

[2]ـ ابن عذاري ـ البيان المغرب ـ ج2 ص 54.

[3]ـ الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن (ت 379هـ/ 989م) ـ لحن العوام ـ تحقيق رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة القاهرة ـ ط2 ـ 1420 هـ/ 2000م ـ ص 264

[4] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 76.

[5] ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج1 ص 371.

[6] ـ ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 383.

[7] ليوبولد توريس بلباس ـ " الأبنية الإسبانية الإسلامية " ـ تعريب علية إبراهيم العناني ـ في **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ـ مدريد** ـ العدد الأول ـ السنة الأولى ـ 1372هـ/ 1953م ـ ص 115.

[8]- امحمد بن عبود- المرجع السابق- ص22.

[9]- صالح خالص- المرجع السابق- ص48،47.

[10]- شوقي ضيف- ابن زيدون- دار المعارف مصر- الطبعة السابعة- د. ت- ص198.

[11]ـ دوزي ـ المسلمون في الأندلس ـ ترجمة حسين حبشي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1994 ـ ج2 ص 89.

الفلاحين، ونقمة البعض الآخر، على هؤلاء الموظفين خاصة، وعلى المسؤولين السامين عامة [1].

وفُرضت على العامة ضريبة أخرى عرفت بضريبة الحشود والبعوث [2]، تلزم بدفعها أوقات النفير، مما أثر سلبا على مقدراتها المالية، وساهم في فقرها وحرمانها [3]، ففي مدينة ألمرية مثلا، تم إحصاء ألفي فقير معدم [4]، ولذلك اضطر الأمير محمد إلى إلغاء هذه الضريبة، تخفيفا على الرعية.

كما حول ثقل الضرائب على العامة، بعض الفلاحين إلى فقراء معدمين، حتى غدا كثير منهم يلبسون الجلود والحصر، ويأكلون البقل والحشيش، واضطر عدد منهم إلى ترك أراضيهم والنزوح نحو المدن أو الهجرة نحو مناطق بعيدة [5].

وكثيرا ما كانت هذه الطبقة تتأثر سلبا جراء الجوائح، إما لضعف إمكانياتها المادية، أو لهشاشة وسائل الحماية لديها، أو لكليهما معا، إذ كانت عرضة لعدة مجاعات، منها تلك التي حدثت سنة 197هـ/ 813م، ذهب ضحيتها خلق كثير من الضعفاء والمساكين [6]، كما هلك عدد آخر من مساكين الأندلس، نتيجة مجاعة حلت بها خلال العقد الخامس من القرن الثالث الهجري (9م) [7]، زيادة على السيول التي كانت تجرف بيوت ضعاف الناس ومواشيهم وتودي وتودي بحياتهم [8].

ولم تسلم هذه الطبقة من التأثيرات السلبية لموجات القحط التي كانت تتعرض لها الأندلس بين الفينة والأخرى، والتي كانت تتسبب في نقص الإنتاج الزراعي وهلاك المواشي والسكان، وبخاصة من الطبقة الدنيا، الذين لا يستطيعون الحصول على ما يسد رمقهم [9].

---

[1] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 173.

[2] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 109.

[3]- ابن بلقين- المصدر السابق- ص139.

[4]- العذري- المصدر السابق- ص86.

[5] ـ ابن بسام الشنتريني ـ المصدر السابق ـ مج 3 ص 19.

[6] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 02.

[7] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 343.

[8] ـ نفس المصدر ـ ص 5.

[9] ـ نفسه ـ ص 1.

لهذا كله كان حكام الأندلس، خلال الفترة قيد الدراسة، يتدخلون للتخفيف من معاناة هذه الطبقة، كلما حلت بالأندلس جائحة من الجوائح، تارة بإفشاء الصدقات وتوزيع الأموال على الضعفاء والمساكين، مثلما قام به الأمير الحكم الربضي في مجاعة سنة 197هـ/ 813م [1]، 813م [1]، وتارة أخرى بتوفر الطعام لهم، وهذا ما فعله الأمير عبد الرحمن بن الحكم إثر مجاعة مجاعة شديدة شهدتها الأندلس سنة 207هـ/ 823م [2].

ويبدو أن الفقراء والمساكين شكلوا نسبة لا يستهان بها من عامة الأندلس [3]، وهذا ما دفع الحكام الأمويين إلى إنشاء ديوان للصدقات، يُعْنى بتفريق الصدقات الأميرية على هؤلاء الفقراء، في مناسبات معينة دينية مثل حلول شهر رمضان المعظم [4]، أو عيد الفطر [5]، أو في مناسبات عائلية مثل مرض أحد أفراد أسرة الحاكم، إذ أمر الحكم المستنصر، في رجب 363هـ/ أفريل 974م، بتوزيع الصدقات، أملا في شفاء ابنه هشام [6]، وعندما شُفي، أمر الخليفة بتوزيع الصدقات على الضعفاء والمحتاجين [7].

من خلال ما سبق، يتبين أن الخليفة المستنصر أولى نوعا من الرعاية والإهتمام بشريحة الفقراء، فإضافة إلى الصدقات التي ذكرنا أمثلة عنها، أمر ببناء دار الصدقة في غربي مسجد قرطبة الكبير [8]، كما ابتنى، قبالة بابه الغربي، بيوتا للفقراء [9].

واهتم نفس الخليفة بتعليم أبناء الفقراء والضعفاء، فأقام، في قرطبة وحدها، سبعة وعشرين مكتبا، ثلاثة منها حول المسجد الجامع، والباقي موزع على أرباض المدينة [10]، وعين

---

[1] ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 02.

[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 93.

[3] ـ ابن حيان ـ الثطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 76.

[4] ـ المصدر نفسه ـ ص 76 وص 226.

[5] ـ نفسه ـ ص 234.

[6] ـ نفسه ـ ص 152.

[7] ـ نفسه ـ ص 77 و 153.

[8] ـ نفسه ـ ص 19.

[9] ـ المقري ـ نفح الطيب ـ ص 555 – 556.

[10] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 240 – 241.

لها معلمين، جعل جرايتهم من عائدات حوانيت السراجين بسوق قرطبة، التي أمر بتحبيسها عليهم [1].

وسار الحاجب محمد ابن أبي عامر على خطى المستنصر، في الإهتمام بالضعفاء، إذ اغتنم مناسبة ختن أولاده، وختن معهم عددا كبيرا من أبناء الضعفاء والمحاويج [2]، كما قام بإلغاء ضريبة الزيتون، مما ساهم في زيادة شعبيته في أوساط العامة [3].

ويمكن أن يكون اهتمام الحكام الأمويين واعتناؤهم بالطبقة المحرومة اتقاء لثوراتها، إذ سبق لعامة قرطبة مثلا أن قامت بثورة في عهد الأمير الحكم الربضي، في رمضان سنة 202هـ/ مارس 818م. ويصف ابن سعيد عامة قرطبة خاصة بأنها أكثر فضولا، وأشد تشنيعاً وتشغيباً، ويضرب بهم المثل، من بين أهل الأندلس، في القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضى بأمورهم [4]، ووصفها أبو يحيى بن عبد المؤمن [5] حين سئل عن أهل قرطبة، فقال: " مثل الجمل إن خفّفت عنه الحمل صاح، وإن أثقلته به صاح ما ندري أين رضاهم فنقصده، ولا أين سخطهم فنتجنّبه " [6]، وتعدى تشنيع العامة الأندلسية إلى الفقهاء، إذ أنهم شتموا القاضي محمد بن يبقى بن زرب [7]، وهمُّوا بإيذائه، لولا أنه احتمى بإحدى القباب المبنية على قبر في مقبرة الربض، ثم استنجد بصاحب المدينة، وجريرته في ذلك أنه استسقى، فلم يُسقوا [8].

ويتضح، من خلال بعض الإشارات في المصادر، أن شريحة الفقراء من طبقة العامة، كانت تعاني شديد العناء على عهد الدولة الأموية، إذ كان غذاؤها الغالب القمح، والذرة

---

[1] ـ ابن حيان ـ المصدر السابق ـ ص 207.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 596.

[3] ـ دوزي ـ المرجع الاسبق ـ ج2 ص 89.

[4] ـ عن المقري ـ نفح الطيب ـ ج1 ص 154 – 155.

[5] ـ ولاه أخوه السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580 – 595هـ/ 1184 – 1199م)، ثم قتله بسبب طمعه في الخلافة. ينظر: عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 205.

[6] ـ المقري ـ المصدر السابق ج1 ص 462.

[7] ـ محمد بن يبقى بن زرب، أبو بكر (317 – 381 هـ/ 929 – 991 م)، ولي القضاء بقرطبة سنة 367هـ/ 977م. ابن فرحون، إبراهيم بن علي ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ـ دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ـ ج2 ص 230.

[8] ـ النباهي ـ المصدر السابق ـ ص 79.

العربية [1]، أو الإكتفاء بحساء من دقيق وكسور باردة [2]، بل أجبر عدد من الفقراء على التقاط الحمص المطبوخ الذي كان يُرمى من مطابخ قصور الحكام الأمويين [3]، أو تسول الأكل من بيوت علية الناس، وبخاصة في شهر رمضان [4].

وكان قضاة الجماعة وخطباء المساجد، يقومون، من حين لآخر، بتحسيس الناس بالوضعية الإجتماعية المزرية التي يعيشها الفقراء والمساكين، ويحثونهم على إيتاء زكواتهم خاصة، وصدقاتهم عامة، إلى هؤلاء المحتاجين، للتخفيف من معاناتهم، ومساعدتهم على تلبية بعض حاجاتهم [5].

وسكنت أغلب أسر الطبقة العامة في أحياء ذات منازل صغيرة جدا [6]، مما يدل على أن هذه الأحياء كانت شديدة الإكتظاظ بالسكان، وهذا ما يؤدي في العادة إلى انتشار مجموعة من الآفات الإجتماعية. واشتد فقر بعض هذه الأسر، حتى استحال عليها شراء الزيت للإنارة [7]، للإنارة [7]، بل أن بعض الفقراء لم يكونوا يجدون مأوى يأوون إليه، ولا كسوة يلبسونها، فكانوا فكانوا يبيتون في شوارع المدن وأزقتها [8].

أما بالنسبة للعبيد، فقد كان عددهم كبيرا في الأندلسي، مع اختلاف في مستواهم الاجتماعي تبعا لاختلاف أدوارهم، مما خولهم لعب دور هام في دعم سلطة الأرستقراطية وتمكين نفوذها السياسي والاقتصادي، ولا أدل على ذلك من المقولة المشهورة المنسوبة إلى الحكم الربضي، بعد انتهائه من إخماد ثورة الربض سنة 202هـ/ 817م: "ما استعدت الملوك بمثل الرجال، ولا حامى عنها كعبيدها" [9]، ولذلك استكثر الحكم من العبيد، وبالأخص

[1] ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 1 ص 137.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ج3 ص 339.

[3] ـ مجهول ـ " كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين " ـ تحقيق أمروزيو أويثي ميراندا ـ في **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلدان 9 و10 ـ 1961 – 1962 ـ ص 81.

[4] ـ ابن خاقان ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ تحقيق محمد علي شوابكة ـ دار عمار ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ/ 1983 ـ ص 254.

[5] ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 149 – 150.

[6] ـ توريس بلباس، المرجع السابق، ص 148.

[7] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص289.

[8] ـ الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص 61.

[9] – ابن سعيد المغربي– المصدر السابق– ج1 ص43.

النصارى الذين استعملهم كجنود مرتزقة، كما ارتفع عدد هؤلاء العبيد في الأندلس في عهد المنصور بن أبي عامر نتيجة السبي جراء الغزوات المتعددة التي قام بها هذا الحاجب.

ومع بداية تفكك العصبية القبلية القديمة في عهد ملوك الطوائف، أصبح اعتماد هؤلاء على العبيد كبيرا، فاستخدموهم كصناع وحرفيين وزراع وخدم داخل القصور، وتمتع بعضهم بمستوى حياة جيدة، ووصل عدد منهم إلى مراكز اجتماعية رفيعة [1].

مما سبق، نتوصل إلى مجموعة من الإستنتاجات، لعل أبرزها أن المجتمع الأندلسي كان مزيجا من عدة أجناس، شكل العرب ضمنها أقلية عددية، إلا أنهم استطاعوا إخضاع الأندلس سياسيا لسلطتهم، كما أضفوا عليها الطابع العربي، وبذلك تمكنوا من استيعاب العناصر الأخرى.

ورغم أن العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي اختلفت فيما بينها في بعض الجزئيات، وتباينت من حيث المستوى الثقافي والإجتماعي، إلا أنها اتفقت حول عدة جوانب، أبرزها اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ولغة تعليم وتعلم، إضافة إلى التعايش فيما بينها.

أثر التباين في المستوى الإجتماعي على الطبقة الدنيا بشكل سلبي، فاصبحت هذه الأخيرة أكثر الطبقات تأثرا بالجوائح والضرائب والنزاعات المسلحة، ورغم أن بعض الحكام الأمويين حاولوا التخفيف من معاناتها، باتخاذ مجموعة من الإجراءات، إلا أن جهودهم ظلت غير كافية.

عدم سعي الحكام الأمويين إلى إبعاد وتهميش أي جنس من الأجناس المكونة للمجتمع الأندلسي، إذ كان لكل جنس حظه من عناية واهتمام هؤلاء الحكام، فبعضهم قرَّبَ البربر واعتمد عليهم، والبعض الآخر فَضَّلَ الإعتماد على الصقالبة، بينما اسْتغَلَّ آخرون قوة السودان فجيشوهم، في الوقت الذي وصل بعض النصارى واليهود إلى مناصب عليا في الدولة.

---

[1]- صالح خالص- المرجع السابق- ص74.

يعتبر الحفاظ على النسل البشري واستمراره، ونشر الأمن والسلام بين الشعوب، من الأهداف السامية للدين الإسلامي، إذ يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " [1]، والمعروف أن الشعوب والقبائل إنما تتكون من الأسر، لذا أولى الإسلام عناية خاصة بالأسرة، فحث أتباعه على اتخاذ النساء، وحرم الرهبنة التي تدعو إليها المسيحية المحرفة، إذ يقول عز وجل: " فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ" [2]، ويقول النبي ﷺ: «... لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» [3].

وقد حدد الإسلام الطرق الشرعية لاتخاذ النساء، وهي الزواج والسبي وابتياع الجواري، وحرم ما عدا ذلك، ووضع شروطا، وحَدَّ حدودا، حفاظا على سلامة المجتمع من آفة الزنا، ودرءا لاختلاط الأنساب، وفي ذلك يقول الله عز وجل: " وَالذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ إِلاَّ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ إِبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ " [4].

1) تكوين الأسرة:

يتم تكوين الأسرة، التي تشكل الخلية الأساس في بناء المجتمع، عن طريق الزواج، ولذلك أقبل المسلمون، منذ فتحهم الأندلس وإلى غاية مغادرتهم لها، على الزواج، سواء من بنات ملتهم، أي من المسلمات، أو من المسيحيات من بنات شبه جزيرة إيبيريا، وهدفهم من وراء ذلك تكوين أسر والاستقرار هناك بشكل نهائي.

اختلفت نظرة الأندلسيين إلى الزواج بحسب اختلاف مركزهم الإجتماعي ووضعهم المادي، ويتضح ذلك من خلال بعض الأمثال وبعض النصوص المتناثرة في المظان التي اطلعنا عليها.

---

[1]ـ سورة الحجرات الآية 13.

[2]ـ سورة النساء الآية 3.

[3]ـ البخاري ـ المصدر السابق ـ كتاب النكاح ـ بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ ـ ج7 ص 2 رقم 5063.

[4]ـ سورة المعارج ـ الآيات 29- 30- 31.

فقد كان الآباء يحملون هَمَّ بناتهم منذ صغرهن، كما يعبر عن ذلك المثل العامي الأندلسي القائل: " إذا قالت البنت دَدَّ فكر لها في مَخَدَّ، وإن رفعت القدح لفمها تحتاج ما تحتاج أمها " [1]، فالقول هنا موجه للأب، الذي يبدأ في التفكير في تزويج ابنته، وجمع شورتها منذ نعومة أظافرها.

ويزداد هاجس الزواج بالنسبة للآباء كلما اقتربت بناتهم من سنه، وقد عبر الأندلسيون على ذلك ببعض الأمثال، منها: " مَنْ كَثُرُ بْنَاتُ، كانوا الكلاَبْ اخْتَانُ " [2]، وتحسروا على من مات وترك بنات بدون زواج: " وَيّْ على من مات وخَلَّى سبعَ بْنات" [3].

وكانوا يرون بأن على الأب أن يسعى إلى تحفيز الرجال على التقرب لخطبة بناته، فقالوا: " ثلاثة أشياء تشترى ولا تنباع: من بينها عريس للمرا "[4]، من ذلك أن الشاعر يحيى الغزال التقى، أثناء سفارته إلى الدولة البيزنطية [5]، بملكة الروم، فقال لها: " إن لي بنياتٍ أصاغرَ أُفرِغنَ في قالب قُبحِي، وكُسين جلابيب فقري، فإن عُنِّسْن لم يفارقنَ بيتي، فلو نثرتْ سيدتي عليهن من بعض قلائدها لنَفَّقْتُهن عند الرجال وقضت فيهن ذمامي..." [6]، يفهم من كلام يحيى يحيى الغزال أن قيمة الشورة، أي ما تحمله العروس معها إلى بيت زوجها، كانت مرتفعة، وكانت أحد الأسباب الرئيسة التي تحفز الرجال على الإقدام على الزواج.

وأشرف محمد بن أفلح، غلام الخليفة الحكم المستنصر وصاحب مدينة الزهراء، على الإفلاس، بسبب ارتفاع نفقات إقامة عرس ابنته، فلم يجد من يُقرضه مالا، لذا قصد المنصورَ محمد بن أبي عامر ـ صاحب بيت المال آنذاك ـ وطلب منه مالا مقابل لجام محلى بقي معه، فرحب ابن أبي عامر بالطلب، وأعطاه وزن لجامه قطعا نقدية، استطاع بها أن يقيم العرس لابنته ويشورها [7]. مما يوضح أن نفقات تجهيز العروسة وزفها إلى بيت زوجها كانت ترهق

---

[1]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ القسم 2 ص 9 رقم 27.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ص 334 ـ رقم 1446.

[3]ـ نفسه ـ ص 452 رقم 1965.

[4]ـ نفسه ـ ص 169 رقم 753.

[5]ـ قام الغزال بهذه السفارة سنة 225هـ/ 840م، بتكليف من الأمير عبد الرحمن الأوسط، ردا على سفارة أرسلها الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس (214– 227هـ/ 829– 842) إلى الأندلس. ينظر: ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 350.

[6]ـ المصدر نفسه ـ ص 362.

[7]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 4 ص 47.

الأسر الموسرة، ناهيك عن الأسر المُقِلَّة.

وازداد هاجس الآباء حول مصير بناتهم في عهد الخليفة هشام المؤيد، بسبب ازدياد أعداد سبايا بنات الروم، وانخفاض أسعارهن، نتيجة الغزوات المتعددة التي كان يقودها الحاجب المنصور بن أبي عامر، فكان الأندلسيون يغالون فيما يجهزون به بناتهم، حتى أن بعضهم جعل الدار ضمن شورة ابنته، والهدف من ذلك هو تحفيز الرجال على الزواج منها، ولولا ذلك لم يتزوج أحد حرة في هذه الفترة [1].

أما العُزَّاب، فكان بعضهم ينظر إلى الزواج على أنه عذاب ومدعاة إلى الحاجة، وعبروا عن ذلك بالمثل القائل: " زَوْجُوهْ حَوْجُوهْ "، والمثل الآخر: " زَوْجُوهْ وتَرْكُوهْ في عْذَابَهْ " [2].

وفي المقابل، أقبل بعض شباب الأسر الفقيرة على الزواج من بنات أسر من مستواهم الإجتماعي، إيمانا منهم بأن الله عز وجل سيرزقهم ويساعدهم على تخطي صعوبات الحياة، مصداقا للآية الكريمة: " وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " [3]، ويعبر الأندلسيون عن ذلك بقولهم: بقولهم: " ازَّوَجْ يَفْتَحْ اللَّهْ عْلِيكْ " [4].

أما الفتيات فنظرن إلى الزواج على أنه خلاص من العنوسة، التي تعتبر انتقاصا من أنوثة المرأة، كما يسمح لهن بتكوين أُسَر وإنجاب الأبناء، ولذلك يقول المثل العامي الأندلسي: " زَوْجْ سُو خَيْرْ مِنْ فَقْدُ " [5].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن الأندلسيين لم يكونوا يتحرجون من تزويج أبنائهم وبناتهم في سن جد مبكرة، فقد أورد ابن الحاج مسألة فحواها أن رجلا خُطب في بنت له لم يتجاوز سنها ثماني سنوات، فرفض لصغرها، إلا أن البعض تدخل لديه وحشَّموه وهونوا عليه الأمر،

[1] ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 37.
[2] ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 235 رقم 1035 والشرح المتعلق بهذا المثل.
[3] ـ سورة النور ـ الآية 32.
[4] ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 24 رقم 82.
[5] ـ المصدر نفسه ـ ص 229 رقم 1007.

فقبل على شرط ألا يبني بها إلا بعد مرور أربع سنوات [1]، أي أنها ستزف حين تبلغ من العمر اثنى عشر سنة، كما تشير بعض الفتاوى إلى أن فتيات زُوِّجْن قبل البلوغ [2].

أما الشاب فكان يتزوج بمجرد تجاوزه حد الصبا [3]، أي بعد بلوغه سن الرابعة أو الخامسة عشر، وهذا ما يؤكده ابن حزم القرطبي، عند حديثه عن أخيه المسمى أبا بكر، الذي تزوج، وعاش مع زوجته ثمانية أعوام، وتوفي وعمره اثنان وعشرون سنة [4]، أي أن عمره لم يتجاوز الرابعة عشر عند زواجه ، والراجح أن زوجته كانت في مثل سنه، إن لم تكن تصغره.

أ) البحث عن الزوجة:

تبدأ أولى خطوات بناء الأسرة، بسعي الشاب إلى البحث عن زوجة تناسبه، تحمل مواصفات معينة خِلْقية وخُلُقية، فبعضهم كان يفضل الشقراوات، وقد عبرت العامة عن ذلك بقولها: " أَيْ هو النَّمْشْ، ثمَّ افتَّشْ " [5]، ومن بين الخاصة الذين ولعوا بالشقراوات، على سبيل سبيل المثال، ابن حزم القرطبي الظاهري، وأبوه، وعدد من الحكام الأمويين، حتى صارت الشقرة خِلْقة لازمت الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس [6].

وكان الأندلسيون يفضلون النساء الجميلات ولو كن غير مسلمات، فالوزير تمام بن عامر تزوج من أم الوليد بنت خلف بن رومان النصرانية التي كانت بارعة الجمال [7]، وأغلب الشباب المقبلين على الزواج كانوا يشترطون أن تكون العروس بكرا عذراء، إذ أن فقدان البنت لعذريتها قبل زواجها، يمس بشرفها وشرف أسرتها [8].

ومن الصفات التي لم يكن يحبذها الرجال في النساء، النحافة المفرطة [9]، فقالوا:"الشَّحْمَ

---

[1]ـ ابن الحاج ـ نوازل ابن الحاج ـ ورقة 76.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ورقة رقم 61.

[3]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ص 314 // ابن حزم ـ الرسائل ـ ص 259.

[4]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 259– 260.

[5]ـ نفسه ـ ص 107 ـ رقم 476.

[6] ـ نفسه ـ ج1 ص 130– 131

[7]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 182.

[8]ـ نوازل ابن الحاج ـ ورقة رقم 72.

[9]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 141.

زِينَ ومَنْ فَقَدْتُّ حزِينَ" [1]، إضافة إلى قصر القامة، وبخاصة إذا صاحبه سِمَنٌ [2].

أما بالنسبة للفتاة فلم يكن لها، على ما يبدو، ما تشترطه في من يتقدم لطلب يدها، إلا أنها كانت تفضل ألا يكون شيخا، وفي ذلك يقول الشاعر يحيى الغزال:

وخـيَّرَها أبـوها بيـن شـيْـخٍ كثيرِ المال أو حدَثٍ فقيــرِ
فقالتْ خُطَّـتَا خسْفٍ وما إن أرَى من خطْوةٍ للمُسْتَخيرِ
ولكِن إنْ عزمْتَ فكـلُّ شيءٍ أحبُّ إليَّ من وجْه الكبيرِ
لأنَّ المرءَ بـعد الفـقرِ يَـثْـرى وهـذا لاَ يـعودُ إلى صـغيرِ [3]

واستهجن المجتمع الأندلسي زواج الشيخ بالشابة، واعتبر ذلك بمثابة انتحار لها، وتضييع لشبابها، وهذا ما سجله الشاعر الغزال في أحد أشعاره، حيث يقول:

إنِّي لَأَرجُـو للـفتاةِ الـتِي تكونُ عندَ الشيخِ أنْ تُؤْجَرَا
حَقٌّ لها لوْ خَنَقَتْ نَفْسهَـا عنْدَ جميعِ النَّاسِ أنْ تُـعـذرَا [4].

ويرى نفس الشاعر أن الفتاة، وإن أرغمت على الزواج بالشيخ، فإنها لن تحبه وإن تظاهرت بذلك، إذ يقول:

وإذا ادَّعَيْنَ هوَى الكبيرِ فإنـما هو للـكبير خـديعـةٌ وقُرُونُ
وإذا رأيتَ الشيخَ يهوىَ كاعباً فَعَلَيْه من دركِ القُرُون دُيُونُ [5]

وعبرت الأمثال الشعبية، التي كانت متداولة في الأندلس، عن رأي العامة في هذا الأمر، فقد قالوا: " إذا ازَّوَجْ الشِّيخْ لَصْبِيَّ، يَفَرْحُ صُبْيَانْ القَرْيَ " [6].

كما لم يكن المجتمع الأندلسي ينظر بعين الرضى إلى رجل حر يتزوج أمةً، من ذلك أن يحيى بن أبي عبدة كان قد أحب جارية حبا شديدا، فقامت أمه ببيعها، وسعت إلى تزويجه من

[1]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 34 رقم 121.

[2]ـ المصدر نفسه ـ المثل رقم 122 ص 34، القائل:" أَيْ رُكْبْهَا، ثمَّ هي تُقْبْهَا"، وهو يدل على القصر المفرط، والمثل = = رقم 754 ص 169، القائل: " ثلاث أشياء هي مخسورة، الشحم في المرا القصيرة....

[3]ـ يحيى الغزال ـ ديوان يحيى بن حكم الغزال ـ تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط1 ـ 1413هـ/ 1993 ـ ص 62.

[4]ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 262.

[5]ـ ابن عبد البر ـ بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس ـ تحقيق محمد مرسي الخولي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1402هـ/ 1982م ـ القسم 2 ـ ص 42.

[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 1 رقم 3.

إحدى العامريات، فأدى ذلك إلى إصابته بالجنون [1]، وفي نفس السياق، يذكر ابن بشتغير في نوازله، أن حرا تزوج أمة، فعرض عليه أحد أقاربه أن يطلقها ويكتب له مقابل ذلك صكا بمائة دينار إذا أراد الزواج من امرأة حرة [2]، وإلى هذا المعنى يشير المثل العامي الأندلسي القائل:" لِسْ يدرِ أحدْ لاَ مْرَا قيمَه حتى يُتَّخَذْ مْعَ سُودَه" [3]، حتى أن بعض الفقهاء حرم الزواج من السودانيات، معتمدا على حديث نسبه إلى النبي ﷺ، ونصه: " لا يشرك في نسبِهِ السودان " [4]، " [4]، وهو ما لم نعثر على أثر له في كتب الحديث.

وبعد إعلان الشاب عن نيته في الزواج، يتم إرشاده، من طرف صديق أو أحد أفراد العائلة، إلى الأسر التي تضم بنات في سن الزواج تتناسب والشروط التي وضعها، أو أن يكون قد رآها في إحدى الأماكن العامة مثل سوق العطارين بقرطبة الذي كان ملتقى النساء [5]، أو في في سوق من الأسواق، أو أثناء زيارتها لمقبرة من المقابر [6]، أو عن طريق إحدى النسوة، وبخاصة وبخاصة العجائز، اللواتي يسعين إلى تزويج اليتيمات والفتيات من الأسر الفقيرة [7]، فإذا ما تم العثور على الفتاة المرغوبة، يُشرع في الخطوة الموالية، وهي الخطوبة.

ب) الخطوبة:

تتكفل أم الشاب، في العادة، بالإتصال بأسرة الفتاة لطلبها لابنها، ومعرفة الرد وبخاصة رأي الفتاة في ذلك [8]، أما إذا كان الشاب يتيما، فتضطلع بهذه المهمة نسوة من معارفه [9]، أو أو نسوة متطوعات، سخرن أنفسهن للسعي في تزويج الشباب والبنات الفقراء واليتامى [10].

---

[1] ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج 1 ص 243.

[2] ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ص261 // أحمد بن سعيد بن بشتغير (ت 516 هـ/ 1122م) ـ نوازل ابن بشتغير ـ دراسة وتحقيق وتعليق قطب الريسوني ـ ط1 ـ 1429هـ/ 2008 ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ص 391.

[3] ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 279 رقم 1204.

[4] ـ ابن عبد الرؤوف ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ضمن ثلاث رسائل في الحسبة ـ ص 80.

[5] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 121.

[6] ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 27.

[7] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 165.

[8] ـ المصدر نفسه ـ مج 1 ص 243.

[9] ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 3 ص 242.

[10] ـ نفسه ـ مج 1 ص 71.

وبعد موافقة البنت وأسرتها على الزواج، يصبح بإمكان الشاب رؤية الخطيبة قبل البناء بها، إما أن يلتقي بها في بيت أبيه بحضور أحد محارمها، على ما كان يفعله بعض الناس [1]، وإما وإما أن يتحيل لرؤيتها [2]، بعدما تتم الموافقة النهائية، يُشرع في الإتفاق بين الأسرتين على الصداق أو المهر.

والصداق شرط من شروط صحة الزواج، لقوله تعالى: "وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً" [3]، وبذلك يكون النكاح بدونه عبارة عن سفاح أي زنا [4]، وحُدد أقله برُبْع دينار عند مالك [5] أو ثلاثة دراهم كيلا أو قيمتهما مما يجوز بيعه " [6]، بينما لم يحدد أكثره، فكان بعض الأندلسيين يفتخر بما دفع في ابنته من مهر غالي، إذ أنشد عبد الْملك بن عمر بن مَرْوَان [7]، عندما زوج ابنته كنزة لهشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل:

لَعَمْري لقد أهدَيتُ بيضاءَ حُرَّةً إلى خيْرِ مَنْ أَغْلَى بأثْمانِها الـمهْرَا
لها حَسَبٌ يأبَى علَى كلِّ مُقرفٍ ويرضَى لَهَا تِلْك الخَـضَارمَةَ الزَّهْرَا
وآلَ أَبِي العاصي هُمْ نُظراؤهَا فَأَكْـرِمْ بِشَمْسٍ أُنْـكِحَتْ قَمَرًا بَدْرَا [8]

واعتاد الأزواج، خلال فترة الخطوبة، إرسال هدايا إلى زوجاتهم تتمثل في ألبسة مما يحتجنه، في كل فصل من فصول السنة، حتى أصبح هذا العرف بمثابة واجب [9].

---

[1]ـ الخشني ـ قضاة قرطبة ـ ص 55- 56.

[2]ـ نفس المصدر ـ ص 56.

[3]ـ سورة النساء ـ الآية 5.

[4]ـ الرجراجي، أبو الحسن علي (ت 633هـ/ 1236م) ـ منَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة ـ اعتنى به أبو الفضل الدّميَاطي وأحمد بن عليّ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط1 ـ 1428هـ/ 2007م ـ ج3 ص 452.

[5]ـ مالك بن أنس الأصبحي (الإمام) (ت 179هـ/ 795م) الموطأ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ ـ بيروت ـ 1406هـ/ 1985م ـ ج 2 ص 527.

[6]ـ أبو إسحاق الغرناطي (ت 579هـ/ 1183م) ـ الوثائق المختصرة ـ أعدها مصطفى ناجي ـ مركز إحياء التراث المغربي ـ الرباط ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م ـ ص 17.

[7]ـ هو عبد الْملك بن عمر بن مَرْوَان بن الحكم أَبُو مَرْوَان وَقيل أَبُو الْوَلِيد (توفي نحو 160هـ/ 777م)، دخل الأندلس سنة 140هـ/ 757م مع كل أفراد أسرته، في إمارة عبد الرحمن الداخل. ينظر: ابن لأبار ـ الحلة السيراء ـ ج1 ص 56- 57.

[8]ـ ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج 1 ص 57.

[9]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ص 223.

كما كانت تنشب، خلال هذه الفترة، مشاكل مختلفة الأسباب، بين الزوجين أو بين الأسرتين، تدفع بالمتخاصمين اللجوء إلى قاض أو مفت لحلها [1].

وبعد اتفاق الطرفين حول الصداق، فإنهما يحددان موعدا لكتابة عقد النكاح أو عقد القران، فيتوجه أفراد من الأسرتين، مصحوبين بشاهدين، إلى أحد الموثقين لكتابة عقد النكاح [2]، ومن بين الموثقين المعروفين في قرطبة، في الفترة قيد الدراسة، ابن العطار [3]، كما وُجِد في كل مدينة، موثق واحد على الأقل، أما في القرى، فكان الفقيه، إن وُجدَ، أو إمام المسجد هما المخولان لكتابة عقد النكاح [4]، وإذا كانت القرية نائية ولم يكن بها فقيه أو إمام مسجد، فيمكن الإكتفاء بجماعة من العدول [5].

ولإتمام كتابة عقد النكاح، يشترط حضور الزوج والزوجة ووليها أو الوصي عليها [6]، عليها [6]، والإتفاق حول الصداق، والتلفظ بالصيغة، وهي أركان الزواج الخمسة [7]، وقد فصل فصل فقهاء المالكية كل ركن من هذه الأركان [8]، أما ابن سهل فيرى أن فرائض الزواج ثلاثة، ثلاثة، وهي الولي والصداق وشاهدان عدلان [9].

ويتم تسجل عدة تفاصيل في عقد النكاح، أبرزها:

ـ اسم الزوج واسم الزوجة والصداق الذي اتفقت عليه الأسرتان.

ـ حالة الزوجة، بكرا كانت أم ثيبا، وسلامتها من الأمراض والعيوب.

---

[1]ـ المصدر نفسه ـ ص 227 وما بعدها.

[2]ـ ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 80.

[3]ـ محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن العطار (330- 399هـ/ 942- 1009م)، وكان فقيها عارفا بالفرائض والحساب واللغة والإعراب، رأسا في معرفة الشروط وعللها، جمع فيها كتابا، نشره الإسبانيان ب. شالميتا وف. كورينطي، بعنوان " كتاب الوثائق والسجلات ". ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 384 ـ رقم 1050.

[4]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 121.

[5]ـ دندش عصمت عبد اللطيف ـ الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510- 546هـ/ 1116- 1151م ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م ـ ص 302.

[6]ـ ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 80.

[7]ـ ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد (ت 741هـ/ 1340م) ـ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ـ تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ط 1 1425هـ/ 2004 ـ ص 329.

[8]ـ المصدر نفسه ـ صص 329- 340.

[9]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ص 197.

ـ حالة الزوج، من حيث الكفاءة والسلامة من الأمراض العقلية والجسدية.
ـ شروط الزوجة على الزوج، مثل عدم الزواج من النساء أو التسري بهن مادامت في عنقه، وألا يحرمها من زيارة أقاربها، وغيرها من الشروط.
ويشهد على هذا العقد شاهدان، تسجل أسماؤهما، كما يسجل تاريخ كتابة هذا العقد [1].

وأحيانا كان العقد يكتب في بيت العروس، فبعد الإنتهاء من كتابته، يُدعى الموثق والشاهدان وبقية الحضور إلى طعام يعده لهم والد العروس أو الوصي عليها [2].

ج) حفل الزفاف:

بعد كتابة العقد، لا يبقى أمام الأسرتين سوى إقامة الوليمة وإعلان الزفاف، ولتحديد تاريخ ذلك، كانت بعض الأسر تلجأ إلى منجم [3]، بينما كانت أسر أخرى تفضل إقامة الحفل ليلة رأس السنة الميلادية المسماة بالنيروز، كما قام بذلك الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر عندما بنى على أسماء بنت غالب قائد الثغر الأوسط [4].

ويبدأ الحفل في بيت العروس، أسبوعا قبل ليلة الزفاف، تستقبل فيه العروس المهنئات لها، اللواتي يكن عادة من صديقاتها وجاراتها وقريباتها، يأتين محملات بالهدايا [5]، ويقمن باستغلال هذه المناسبة، فيجتمعن لعدة أيام في بيت العروس، يغنين ويرقصن ويتمتعن [6]، وقبل وقبل زفافها بيوم أو يومين، تذهب العروس، رفقة عدد من النساء، إلى الحمام، ويكون ذلك مناسبة لمزيد من ابتهاجهن [7].

وفي يوم زفافها، المسمى يوم جِلوتها[8]، تُحضَّر العروس، وتتولى الماشطة أو المُقَيِّنَةُ، التي تأخذ أجرتها من العريس، تزيينها وتجميلها[9]، وترتدي العروس أجمل لباس لديها، كما تُحلى

---

[1]ـ المصدر نفسه ـ ص 303 // وينظر الملحق رقم 5 ورقم 6.
[2]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 11 ص 224.
[3]- Levy Provençal - op. cit - T3 p 403// Duffourcq - op. cit - p 57.
[4]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 267 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 89.
[5]- Rachel Arié - " Aperçus sur la femme dans l'Espagne musulmane " - dans **Aspects de l'Espagne musulmane: histoire et culture** - ed De brocard - Paris - 1997 - p 26.
[6]- M^{a} Del Mar Jimenez Estacio - op. cit - p 16.
[7]- Rachel Arié - op. cit - p 26.
[8]ـ ابن هشام اللخمي (ت 577هـ/ 1181م) ـ المدخل إلى تقويم اللسان ـ تحقيق حاتم صالح الضامن ـ دار البشائر الإسلامية ـ ط 1 ـ 1424هـ/ 2033م ـ ص 229– 230.
[9]ـ الزبيدي، أبو بكر (ت 379هـ/ 989م) ـ الزيادات على كتاب إصلاح لحن العامة بالأندلس ـ دراسة ونصوص عبد =

بالحلي الثمينة، وإذا لم تستطع امتلاك حلي، فتستأجرها أو تستعيرها من امرأة أخرى [1]، وتُجلس على كرسي [2]، كما يطلى جسدها ووجهها بمسحوق أو مرهم، يزيد الجلد نعومة، ويطلب منها ألا تغسله حتى تمر ليلة الزفاف [3].

وتبقى العروس وأهلها ومدعواتها في حالة انتظار إلى أن يحل أهل العريس لنقلها إلى البيت الزوجية، فتُخرج إليهم، تتهادى وتتبختر، وسط مجموعة من الوصيفات والخدم [4]، مرتدية لباسا ذا ذيل طويل [5]، يصحبها أحيانا أحد محارمها ليسلمها إلى أهل العريس [6]، وبذلك تغادر العروس البيت الذي تربت فيه وعاشت طفولتها وشبابها، إلى بيت مجهول بالنسبة إليها، لتبدأ فيه حياة جديدة.

ثم تُخرج شورة العروس معبأة في مجموعة صناديق خشبية، فتحمل على البغال [7]، وتتكون هذه الشورة، التي تُجلب عادة من مدينة مرسية [8]، من الحلي والملابس وأدوات الزينة والأفرشة وبعض الأواني المنزلية [9]، وربما حوت أيضا ملابس للزوج كالغفارة والمحشو والقميص والسراويلات [10] كهدية له من الزوجة.

ويتوجه موكب العرس من بيت العروس إلى بيت العريس، مارا في شوارع المدينة، يتقدمه مجموعة من العازفين على الآلات الموسيقية، يتوسطهم زامر على فرس محلى، يزمر وينشد أشعارا [11].

= العزيز الساوري ـ مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي ـ ط 1 ـ 1415هـ/ 1995م ـ ص 42.

[1]– ابن العطار ـ المصدر السابق ـ ص 197// الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 11 ـ ص 224.

[2]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 53، رقم 210.

[3]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 252.

[4]ـ أبو عبد الله الكتاني ـ المصدر السابق ـ ص 172.

[5]ـ ابن خاقان ـ قلائد العقيان ـ ص 344.

[6]ـ ابن عبد الرؤوف ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ص 83.

[7] - Levy Provençal - op. cit - T 3 p 404.

[8]ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ـ ج 2 ص 246 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 221.

[9]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 517 // دندش ـ المرجع السابق ـ ص 302.

[10]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 122.

[11]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج 1 ص 315– 316.

وفي مساء نفس اليوم تقام وليمة في بيت العريس، يُدعى إليها الأهل والجيران والأصدقاء، وتستعين فيها أسرة العريس بطباخين مأجورين، يقومون بطبخ أطباق خاصة بالأعراس [1]، من بينها طبق يعرف بالمخلل، ويسمى طعام العرس، وهو لون من سبعة ألوان كانت تقدم في الولائم في الأندلس [2]، كما تقيم حفل الزفاف يحييه مغنيون، وتعزف فيه آلات موسيقية مختلفة [3]، وترقص فيه راقصات حاسرات الرأس كاشفات عن شعورهن [4]، وهذا ما ما يتسبب في حضور عدد من الشباب، من بينهم الفساق والذعار، وبخاصة إذا كان الحفل مقاما في البادية، فيتناولون الخمور، ويقومون بالعربدة، وربما استعملوا أسلحتهم وتسببوا في قتل أو جرح عدد من الحضور.

لذلك رأى ابن عبدون بألاَّ يخرج المغنيون والموسيقيون والراقصات إلى البوادي، لإحياء الأعراس، إلا بعد استئذان القاضي، ويكونون مصحوبين برجال الأمن الذين يقطعوا الطريق أمام المعربدين، ولا يسمحون لهم بدخول الحفل، ويمنعون الشباب المدعوين من إدخال أسلحتهم، ويقومون بسجن كل معربد [5].

وبعد الحفل يخلو العريس بعروسه في إحدى غرف بيت أهله، بينما تجلس امرأة من قريباته وراء باب الغرفة تنتظر إعلان فضه لبكارة العروسة [6]، ثم يبقى معها مدة أسبوع لا يظهر فيه للناس، يسميه الأندلسيون "سابع العروس" [7]، وفي ذلك يقول ابن زيدون مهنئا المعتضد بالله [8] بمناسبة زواجه:

---

[1]ـ ابن عبدون التجيبي ـ رسالة في الحسبة ـ ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب ـ ص 52.

[2]ـ مجهول ـ الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ـ ص 6.

[3]ـ يحيى بن عمر ـ " أحكام السوق " ـ تحقيق محمود علي مكي ـ **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية** ـ مدريد ـ مج 4 ـ العدد 1- 2 ـ 1375هـ/ 1956م ـ ص 119.

[4]ـ ابن عبدون التجيبي ـ المصدر السابق ـ ص 51.

[5]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 53-54.

[6]ـ القادري بوتشيش ـ المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء) ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1993 ـ ص 31.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 423.

[8]ـ عباد بن محمد بن إسماعيل، ابن عباد اللخمي، أبو عمرو، الملقب بالمعتضد باللَّه: صاحب إشبيلية، في عهد ملوك الطوائف (433- 461 هـ/ 1042- 1069 م)، عرف بطول فترة حكمه، وبجزمه وطموحه. ينظر: الذهبي ـ المصدر السابق ـ ج 13 ص 411- 412 رقم 4220.

أُسبوعُ أُنْسٍ مُحْدِثٌ لِي وَحْشَةً   علْمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَاكَا
فَـأَنَـا الْمُـعَذَّبُ غـيْـرَ أَنِّي مُشْعَرٌ   ثِقَةً بِـأَنَّـكَ نَاعِـمٌ، فَهَنَاكَ [1]

2) مهام الأسرة:

لعل من المهام الأولى والرئيسة التي تضطلع بها الأسرة بعد تكوينها، هي إنجاب الأولاد والسهر على تربيتهم وإعدادهم لأن يكونوا رعايا صالحين، ينفعون أنفسهم والمجتمع في آن واحد.

أ) إنجاب الأطفال:

بعد مرور شهر أو شهرين على زواجهما، يصبح هاجس الزوجين خاصة، وعائلاتهما عامة، هو انتظار أول مولود لهما، لذا يلجآن إلى بعض الأساليب للتأكد من أن الزوجة حامل، " بأن يوضع تحتها بخور أو عنبر ويمنع أن يخرج من أردافها أو على ثيابها، فإن ظهرت الرائحة على فيها فهي حامل، وإن لم تظهر فليست بحامل" [2]، وفي حالة التأكد من الحمل، تحاول الأسرة معرفة جنسه، ذكرا كان أم أنثى، بإجراء قياسات حول سرة المرأة الحامل بواسطة خيط [3]، وتكون فرحة الأسرة كبيرة إذا علمت أن الحمل ذكرا [4].

وتجتهد المرأة، خلال الأشهر الأربعة الأولى للحمل، للحفاظ على حملها من أي أذى يصيبه، خشية سقوطه، فتمتنع عن القيام بالأعمال الشاقة، أو حمل الأثقال، أو اصطدام الأشياء الصلبة ببطنها أو ظهرها، وتمتنع عن الفصد والحجامة، وتتجنب ما أمكن القيء والإسهال، ويجب عليها أن تحذر الفزع الشديد، والأصوات القوية، وشم الروائح الحادة [5]، وفي المقابل،

---

[1]ـ ابن زيدن ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ـ تحقيق علي عبد العظيم ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ 1376هـ/ 1957م ص 443- 444.

[2]ـ السقطي، أبو عبد الله محمد ـ في آداب الحسبة ـ نشره ج.س. كولان وليفي برفنسال ـ باريس ـ مكتبة إرنست لورو ـ 1931 ـ ص 52.

[3]ـ المصدر نفسه ـ ص 52- 53.

[4]ـ سعيد عبد الفتاح عاشور ـ " الحياة الإجتماعية في المدينة الإسلامية " ـ **مجلة عالم الفكر** ـ مج 11، ع 1 ـ أبريل- مايو 1980 ـ صص 85- 126 ـ ص 103.

[5]ـ محمد العربي الخطابي ـ " ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها " ـ **مجلة أكاديمية المملكة المغربية** ـ العدد 1 جمادى الأولى 1404هـ/ فبراير 1984 ـ ص 149.

تنصح الحامل بتناول بعض المليِّنات مثل " السكنجبين ومربى الورد وجوارش السفرجل والتفاح " [1].

وعندما تحين لحظة الوضع، تلجأ أسرة المرأة الحامل إلى القابلات، وهن نسوة يشبهن الطبيبات، متخصصات في عملية التوليد، يبدو أنهن كن يتقاضين أجورا مرتفعة مقابل عملهن [2]، فتقوم إحداهن بمساعدة الجنين على الخروج من بطن أمه، ثم تلفه في خرقة من حرير، أو في قطعة من لباس رجل صالح تبركا به [3].

وبعد إخراج المولود من بطن أمه، ينثر على جسمه شيء من الملح، أو يدهن بدهن البلوط، أو تنثر عليه أوراق الحناء [4]، ثم يتم غسله بماء فاتر، وُضِعت فيه كمية من الملح، فتُمسَح أذناه وأنفه ودبره، ثم يُقمط، وتسوى أعضاؤه بلطف، ويُضغَطُ برفق على مثانته ليندفع البول [5].

وبمجرد علم الأقارب والأحباب والجيران بالولادة، وسلامة المولود وأمه، تنهال التهاني على الأسرة التي استقبلت المولود، وتكون أحيانا على شكل أبيات شعرية، منها تلك التي أرسلها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت [6]، مهنئا بمولود:

يَلُوحُ فِي الـمَهْدِ عَلَى وجْـهِه تَجَهُّمُ البَأْسِ وَبُشْرَى النَّدَى
الشَّمْسُ وَالبَدْرُ إذَا استَجْمَعَا لَمْ يَـلْبَثَا أنْ يَـلِـدَا فَـرْقَـدَا [7]

وأحيانا أخرى تكون نثرا مثل الرسالة التي أرسلها أبو القاسم بن عبد الله بن الجد [8] إلى

---

[1]ـ نفس المرجع ـ ونفس الصفحة.

[2]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 52 المثل رقم 204 / / ابن الحاج ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 283.

[3]ـ ابن الحاج ـ المصدر نفسه ـ ص 285.

[4]ـ محمد العربي الخطابي ـ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ج1 ص 150.

[5]ـ المرجع نفسه ـ ص 233.

[6]ـ أُميَّة بْن عبد الْعَزِيز بْن أبي الصَّلْت (460 – 529 هـ/ 1068– 1135م)، من أَهْل إشبيلية وَبهَا نَشأ، خرج من بَلَده ابْن عشْرين سنة وَقصد مصر فَأَقَامَ بهَا عشْرين سنة، ثم عاد إلى المهدية بإفريقية، وعاش فيها عشرين سنة. ينظر: ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج 1 ص 168– 169، رقم 540.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 109– 110.

[8]ـ محمد بن عبد الله بن الجد الفهري، أبو القاسم، كان يفتي ببلده لبلة، ثم سكن إشبيلية واستوزره الراضي بن المعتمد بن عباد، توفي سنة 515هـ/ 1121م. ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 449 رقم 1270.

أحد الأعيان، يهنئه فيها بمولود وُلِد له [1].

وفي اليوم السابع من ولادته، تقيم الأسرة عقيقة مولودها [2]، وهي وليمة يتم فيها ذبح ذبح شاة على الأقل، ويدعى إليها الأهل والأصدقاء والجيران [3]، وتختار له اسما.

وتتولى الأم إرضاع المولود مدة عامين كاملين، فإن لم تستطع، تُؤَجَّر له مرضعةٌ تتولى إرضاعه وغسل خرقه ولفائفه، وتحميمه مدة عامين، مقابل أجرة تتفق حولها الأسرة مع المربية [4]، ويستحسن في المرضع أن تكون " صحيحة الجسم، حديثة السن، معتدلة المزاج، مائلة مائلة البياض، مشربة حمرة ... لبنها كالعدسة، لا غليظا متينا ولا سائلا مائعا، طيب الرائحة، أبيض اللون " [5]، كما كانت أغلب الأسر الموسرة تعهد بأبنائها إلى جواري سودانيات لتربيتهم، لتربيتهم، لاتصافهن بالرحمة والحنان على الأطفال [6]، ولم تتوان بعض الأسر في وضع تمائم لمواليدها، لإبعاد سوء الطالع عنهم، وحمايتهم من الحسد، وفي ذلك يقول ابن زيدون:

وَقِدْمًا شَكَا حَمْلَ التَّمَائِمِ يَافِعًا لِيَحْمِلَ رَقْرَاقَ الفِرِنْدِ مُهَنَّدَا [7]

ب) الختان:

عندما يبلغ الولد السنتين أو الثلاث من عمره، تستقدم أسرته خاتنا أو حجاما، فيقوم بختنه، أي يَطْحَرُ قُلْفَته ويستأصلها [8]، فإذا كانت الأسرة ميسورة، أقامت، بهذه المناسبة، حفلا بهيجا، ودعت إليه جملة كبيرة من المدعوين، وبخاصة من الطبقة المحظوظة، من ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يستغل مناسبة ختان أبنائه أو أحفاده، ليقيم احتفالات عظيمة، يدعو

---

[1] ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 2 ص 225.

[2] ـ العقيقة هي الشعر الذي يكون على رأس المولود، وسميت الشاة التي تذبح في اليوم السابع من الولادة عقِيقة، لأنه يحلق عنه ذلك الشعر عند الذبح. ينظر: ابن سلاّم الهروي البغدادي (ت 224 هـ/ 839م) ـ غريب الحديث ـ تحقيق محمد عبد المعيد خان ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند ـ ط1 ـ 1384 هـ/ 1964م ـ ج 2 ص 284 ـ مادة عُقق.

[3] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 31.

[4] ـ الجزيري، علي بن يحيى بن القاسم (ت 585هـ/ 1189م) ـ المقصد المحمود في تلخيص العقود ـ تحقيق فايز بن مرزوق بن بن بركي السلمي ـ أطروحة لنيل الدكتوراه ـ جامعة أم القرى ـ 1421-1422هـ/ 2001- 2002م ـ ص 338- 339.

[5] ـ السقطي ـ المصدر السابق ـ ص 53.

[6] ـ المصدر نفسه ـ ص 49 و53.

[7] ـ ابن زيدون ـ المصدر السابق ـ ص 94.

[8] ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 497 مادة طحر.

إليها أعيان الأندلس، ويقدم لهم من الأطعمة ما لذ وطاب [1]، كما أنفق المنصور بن أبي عامر، حوالي خمسمائة ألف دينار، في حفل أقامه بمناسبة إعذار أولاده، وأعذر معهم خمسمائة من أبناء الخاصة [2].

أما إذا كانت الأسرة مقلة أو فقيرة، فإنها تكتفي باستدعاء الحجام إلى بيتها ليختن ابنها، وتدفع له أجرة مقابل ذلك، وينتهي الأمر عند هذا الحد، أو أنها تنظر أن يقوم أحد الأعيان باستدعاء أطفال العامة للإختتان، بمناسبة ختن ابنه أو حفيده [3].

ويبقى الحفل الذي أقامه يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون [4]، بمناسبة إعذار ابنه، أكبر وأضخم حفل شهدته الأندلس منذ فتحها على الإطلاق، حتى أصبح يضرب به المثل [5].

ولم يقتصر الإختتان في الأندلس، خلال الفترة قيد الدراسة، على المسلمين، بل تعداه إلى النصارى، فمنذ منتصف القرن الثالث الهجري (9م)، على الأقل، كان النصارى يختنون أطفالهم، إذ أقرت الكنيسة الإختتان بل ذهب بعض رجال الدين المسيحيين، مثل الأسقف صمويل الإلبيري إلى جعله واجبا [6]، ولذا كتب ألفارو القرطبي سنة 240هـ/ 854م معارضا لهذه العملية:" لقد ابتعدنا عن العادات الصالحة لأسلافنا، وعوض أن نلجأ، كما كانوا يفعلون إلى الممارسات المقدسة، أي إلى الختان الروحي، أصبحنا نقوم بالإختتان الجسدي " [7].

وفي سنة 343هـ/ 954م وفد على قرطبة رسول الإمبراطور الجرماني أوتون الأول

---

[1]ـ ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 320- 321 // المقري ـ أزهار الرياض ـ تحقيق علي عمر ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ ط 1 ـ 1431هـ/ 2010م ـ ج 3 ص 278.

[2]ـ المقري ـ نفح الطيب ـ ج1 ص 596.

[3]ـ المصدر نفسه ـ نفس الجزء ونفس الصفحة.

[4]ـ يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عامر بن ذي النون الهواري الأندلسي، الملقب بالمأمون، توفي سنة 460هـ/ 1068م، 1068م، صاحب طليطلة، توسع على حساب بلنسية، وقضى بذلك على دولة آل عامر. ينظر: الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ ج 13 ص 391 رقم 4197.

[5]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 440.

[6] - Duffourcq - op. cit - p 147.

[7] - Simonet - op. cit - p 369.

(OTTON I) [1]، فتعجب عندما اكتشف بأن مسيحيي قرطبة كانوا يقومون بختن أبنائهم [2].

ج) تربية الأطفال وتأديبهم:

لا شك أن الأسرة هي الوسط الأول الذي يتلقى فيه الطفل المبادئ القاعدية للتربية الخُلقية والدينية، لذا جعلت الأسرة الأندلسية تربية الأبناء أولى أولوياتها، عملا بتوجيهات النبي ﷺ، الذي يقول: " أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ، وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ " [3].

وتبدأ عناية الأم بطفلها منذ أن يولد، إذ تجتهد في تناول أغذية جيدة غير فاسدة، حتى لا ينتقل فسادها إلى رضيعها عن طريق الحليب، وتستعمل أثناء تحريكها المَهْدَ به، ألحانا وأصواتا مطربة للنفس، تساهم في إصلاح نفسيته [4]، كما تمنع عنه كل ما يؤذي جسمه أو عقله عقله أو نفسه.

فإذا بلغ الطفل السابعة من عمره، أُمِر بأداء الصلوات المفروضة، لقوله ﷺ: " مُرُوا أَوْلَادَكُم بالصَّلَاةِ وهُمْ أَبْناءُ سَبْعِ سِنِينَ، واضْرِبُوهُم عَلَيْها وَهُم عَلَى عَشْرٍ، وفَرِّقُوا بينَهُم في المَضاجِعِ " [5]، كما يُبْعث، في نفس هذا السن، إلى الكُتَّاب ليتعلم القرآن والمبادئ الأولى للعربية.

ويختلف الأندلسيون حول الطريقة المثلى لتأديب الأطفال، فمنهم من يرى أن شدة الضبط والقيد والإغلاظ هي الطريقة الناجعة لتأديب الأطفال [6]، وفي ذلك يقول ابن خفاجة [7]:

---

[1] ـ الإمبراطور الجرماني أوتو الأول الملقب بالكبير، تقلد مملكة ألمانيا 324هـ/ 936م، توَّجَه البابا يوحنا 12 إمبراطورا على الإمبراطورية الجرمانية المقدسة سنة 351هـ/ 962م، توفي سنة 362هـ/ 973م. ينظر: Nouveau dictionnaire pour servir de supplément aux dictionnaires des sciences, des arts et des métiers - op. cit - p 199.

[2] - Dffourcq - op. cit - p 147.

[3] ـ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ/ 886م) ـ سنن ابن ماجة ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله ـ دار الرسالة العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1430هـ/ 2009م ـ أبواب = = الأدب ـ باب بر الوالد والإحسان إلى البنات ـ ج 4 ص 636 ـ رقم الحديث 3671.

[4] ـ محمد العربي الخطابي ـ الطبيب ابن خلصون ـ ص 150.

[5] ـ أبو داود السِّجِسْتاني ـ المصدر السابق ـ كتاب الصلاة ـ باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ـ ج 1 ص 133 ـ الحديث 495.

[6] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 573.

[7] ـ ابن خَفاجَة إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري الأندلسي (450- 533هـ/ 1058-1138م)، وهو شاعر شاعر من أهل جزيرة شقر Alcira من أعمال بلنسية، في شرقي الأندلس غلب على شعره وصف المناظر الطبيعة. ينظر: ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة ـ ج1 ص 124- 125 رقم 373

نَبِّـهْ وَلِـيدَكَ مِنْ صِبَاهُ بِزَجْرَةٍ		فَـلَرُبَّمَا أَغْفَى هُـنَاكَ ذَكَـاؤُهُ
وَانْهَرْهُ حَتَّى تَسْـتَهِلَّ دُمُوعُـهُ		فِي وَجْنَتَيْهِ وَتَلْتَظِي أَحْشَاؤُه
فَالسَّيْفُ لَا تَذْكُو بِكَفِّكَ نَارُهُ		حَتَّى يَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ مَـاؤُهُ [1]

ومنهم من كان يدعو إلى الرفق بالأطفال، وعدم تعنيفهم، والإكتفاء، إن اقتضى الأمر، بضربهم ضربا خفيفا تحت القدمين، إذا تجاوزوا السنة العاشرة من العمر، لأن الزجر العنيف يكسر نشاط الطفل، وينعكس سلبا على سلوكه [2]. وفي هذا المعنى يقول ابن خفاجة:

سَدِّدْ مَرَامِيَ الطِّفْلِ فِي شَأْنِهِ		بِـلَفْـظَةٍ تَـشْـدُدْ بِهَـا أَزْرَهْ
وَاكْتَفِ بِاللَّـمْحَةِ مِـنْ فَهْمِهِ		إِنَّ الـمبَادِي أَبَـدًا نَـزْرَهْ
أَمَا تَرَى الْبُرْكَانَ مِـنْ شُعْلَةٍ		وَالدَّوْحَةَ اللَّفَاءَ مِنْ بَزْرَهْ [3]

ولم تقتصر تربية الوالدين لأبنائهم على مرحلة الطفولة، بل كثيرا ما كانت تتعداها إلى مرحلة المراهقة والشباب، فقد اضطر الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم إلى تأديب ابنه المنذر، لِمَا رأى منه من سوء الخلق وكثرة إنصاته إلى الوشاة، وتشكيه ممن لا يقدر عليهم، فجعله أبوه تحت الإقامة الجبرية لمدة معينة تأديبا له، ثم سمح له بالعودة إلى حياته الطبيعية بعد أن زوده بمجموعة من النصائح [4].

يتضح مما سبق بأن الجهود التي كان يبذلها بعض الأولياء لتربية أبنائهم، لم تكن تفضي إلى النتائج المأمولة، بل أن بعضهم كان السبب في انحراف الأبناء عن الطريق القويم، فأبو القاسم أحمد بن أبي بكر محمد بن الملح [5] كان قد نشأ على العفة والطهارة والسلوك القويم، وشغف بكتب المتصوفة، إلا أن أباه كان يعيب عليه ذلك ويدفعه إلى الإشتغال بالأدب، فانحرف الإبن إلى الخلاعة، وفر إلى إشبيلية وتزوج عاهرا ترقص في الأعراس [6].

---

[1] ـ ابن خفاجة ـ ديوان ابن خفاجة ـ تحقيق السيد مصطفى غازي ـ منشأة المعارف ـ الإسكندرية ـ 1960 ـ ص 101.
[2] ـ محمد العربي الخطابي ـ الطبيب ابن خلصون ـ ص 151/ السقطي ـ المصدر السابق ـ ص 68.
[3] ـ ابن خفاجة ـ المصدر السابق ـ ص 101.
[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ص 574- 575- 576.
[5] ـ أبو بكر محمد بن إسحاق اللخمي من أهل شلب، يعرف بابن الملح، فقيه وأديب وشاعر، عاش في القرن الخامس الهجري (11م)، استوزره المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية ثم ابنه المعتمد، توفي في رمضان سنة 500هـ/ مايو 1107م،. ينظر: ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 2 ص 340-356/ / ابن خاقان ـ قلائد العقيان ـ ص 558-566.
[6] ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 384.

وقد عبر الأندلسيون عن فشل الوالدين في تربية أبنائهم وتهذيب سلوكهم، بالمثل العامي القائل: " اضَّارْبُو الفْلَالَسْ، وصَاحَبْ الدَّارْ جَالَسْ " [1]، والذي يجسد مظهرا من مظاهر فشل بعض الآباء خاصة في حمل أبنائهم على الإلتزام بأدب الجلوس، ودفعهم إلى احترام هدوء وطمأنينة المسكن، وربما عاد ذلك إلى حب الوالدين المفرط لأبنائهم، ودلالهم أكثر مما يستحقون [2].

ولا يجب علينا إغفال تأثير الأمهات على الأبناء فيما يتعلق بتربيتهم، ويعود ذلك أساسا إلى ملازمتهم لهن خلال السنوات الأولى من حياتهم، إذ يُنْسب إلى الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ قوله: " الْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ على الْحَجَرِ " [3]. فقد غرست الأمهات، وبخاصة الحرات منهن، في أبنائهن الشعور بالشرف، والإنتماء إلى الأسرة أو الطبقة النبيلة [4]، كما استطاعت الأم الأندلسية توجيه أبنائها خُلُقيا ودينيا، من ذلك البنت فلورا التي وُلِدت من أب مسلم وأم مسيحية، وبعد وفاة أبيها تولت أمها تربيتها، فلقنتها مبادئ الديانة المسيحية وأنشأتها على كره الإسلام، فكبرت على ذلك [5].

د) تعليم الأبناء:

أولى الأندلسيون عناية فائقة لتعليم أبنائهم، ذكورا وإناثا، فإذا بلغ الطفل سبع سنوات من عمره، أرسله أبواه إلى المدرسة الإبتدائية المسماة الكُتَّاب، على ألا يعنِّفَه معلمُّه أثناء عملية التعليم، حتى يبلغ عشر سنوات [6]. ومن المدارس التي كانت تستقبل الأطفال، مدرسة وُجدت وُجدت في قرطبة، خلال القرن الثالث الهجري (9م)، كانت ملكا لأسرة تعرف ببني حزم، يدرس فيها الأبُ الصبيانَ، والإبنُ الفتيانَ، والبنتُ الفتياتِ [7]، مما يوحي بالفصل بين الأطفال الأطفال الذكور والإناث في المكتب.

---

[1]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 63، رقم 258.

[2]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج 1 ص 398.

[3]ـ البيهقي، أحمد بن حسين بن علي (ت 458هـ/ 1066م) ـ المدخل إلى السنن الكبرى ـ تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت ـ ص 375 رقم 640.

[4]- Pierre Guichard - structures sociales - p 80.

[5]- Simonet - op. cit - p 413.

[6]ـ محمد العربي الخطابي ـ الطبيب ابن خلصون ـ ص 151.

[7]ـ خوليان ريبيرا ـ التربية الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ـ ترجمة الطاهر أحمد مكي ـ دار المعارف ـ ط 2 ـ 1994 ـ ص 131.

أما الأسر الميسورة فكانت تؤجر لأبنائها معلما أو مجموعة معلمين مقابل أجرة، يتم الإتفاق عليها سلفا [1]، وأسندت بعض الأسر مهمة تعليم أطفالها إلى نسوة معلمات [2].

ويتم تلقين الطفل، خلال سنوات التعليم الأولى، التي تدوم حوالي سبع سنين، القرآن الكريم والشعر والخط [3]، وهذه منهجية سليمة، حسب ابن خلدون، تُمكِّن الولد من التحكم في اللغة العربية، وتفتح أمامه أبواب العلوم المختلفة [4].

اهتمت السلطة الحاكمة في الأندلس بالتعليم، وبخاصة الإبتدائي منه، إذ أنشأ الخليفة الحكم المستنصر سبعة وعشرين مُكتِّبا، لتعليم أبناء المساكين، موزعة على قرطبة وأرباضها، وعين لها المؤدبين، وأجرى عليهم المرتبات [5]، ثم حبَّس عليهم حوانيت السراجين بقرطبة [6]، بقرطبة [6]، إدراكا منه لأهمية العلم والتعلم من جهة، ولخطر الجهل والأمية من جهة أخرى.

مما سبق يتبين الدور الذي لعبته الأسرة في الحفاظ على المجتمع الأندلسي قائما، بإنجابها للأطفال، والإعتناء بهم، ومحاولة تربيتهم تربية حسنة سليمة، وتوجيههم التوجيه الذي كانا يراه الأولياء سليما، فنجح بعضهم في مهمته، وفشل البعض الآخر، وكان لفشلهم نتائج سلبية على مستقبل الإبن، كما كان للأمهات الدور الأبرز في تنشئة الأطفال، لملازمة هؤلاء الأخيرين لهن خلال السنوات السبع الأولى من حياتهم.

3) المرأة الأندلسية:

تعتبر المرأة الركيزة الأساس في بناء الأسرة، ومن ثم المجتمع وديمومته، لذا حظيت في الإسلام بمكانة مرموقة، بل أنه نبه إلى أن المرأة تلعب أدوارا حساسة، إذ يقول الله عز وجل: " وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً

[1]ـ أبو القاسم الجزيري ـ المقصد المحمود ـ مج 2 ص 332.
[2]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج 1 ص 166.
[3]ـ ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص 740- 741 // ابن حزم ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 166.
[4]ـ ابن خلدون ـ المصدر السابق ـ ص 741.
[5]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 240.
[6]ـ المصدر نفسه ـ ص 249.

اِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ "[1]، أي أن الزوجات هن العامل الرئيس في سكينة الأسرة واستقرارها، وبالتالي سكينة المجتمع واستقراره.

كما أن صلاح المجتمع واستقامته قائم على استقامة النساء عامة، والأمهات خاصة، وفي هذا المعنى يقول الشاعر المصري أحمد شوقي:

الأُمُّ مَـدْرَسةٌ إِذَا أَعْـدَدْتَـهَا   أَعْـدَدْتَ شَـعْباً طَيِّبَ الأَعْرَاقِ
الأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الحَيَا   بِالــرَّيِّ، أَوْرَقَ أَيَّـمَـا إِيــرَاقِ
الأُمُّ أُسْتَـاذُ الأَسَاتِذَةِ الأُلَى   شَـغَلَتْ مَـآثِرَهُمْ مَدَى الآفَاقِ[2]

ومما لا شك فيه، أن المرأة الأندلسية لم تشذ عن نساء المجتمعات الأخرى، إذ لعبت دورها الذي أنيطت به على الوجه اللائق، بل وبزَّت مثيلاتها في المجتمعات الإسلامية المتواجدة في الفترة قيد الدراسة.

أ) وضع المرأة الأندلسية:

يمكن التمييز في المجتمع الأندلسي بين فئتين من النساء، هما الحرائر والإماء. فالحرائر هن النساء من أصول عربية أو بربرية، أو من الجواري اللواتي حصلن على حريتهن من أسيادهن أو سيداتهن لسبب أو لآخر.

أما الجارية فهي المرأة التي تُشترَى من طرف سيد أو سيدة بهدف القيام بخدمة معينة داخل البيت، أو للتسري أي إمتاع السيد وتلبية رغباته الجنسية، أو الإنجاب، أو تربية الأطفال وتعليمهم. وكان لكل فئة من هاتين الفئتين وضعها الخاص بها.

فالنساء الحرائر كن محجبات، ماكثات في البيوت، يقضين فيها أكثر أوقاتهن، ولا يخرجن منها إلا للزيارات العائلية، أو المناسبات كالأعراس، أو للذهاب إلى الحمام أو المسجد، أو بصحبة زوجها أو أحد محارمها إلى أماكن النزهة وفي بعض المناسبات، وكان الرجل الأندلسي يرى بأن العز والشرف في بقاء نسائه الحرات مصونات داخل البيت، وفي ذلك يقول الشاعر الأندلسي أبو عبد الله ابن مصادق الرندي[3]:

---

[1]ـ سورة الروم ـ الآية رقم 21.

[2]ـ أحمد بن إبراهيم الهاشمي ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ـ تحقيق لجنة من الجامعيين ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ د. ت ـ ج 2 ص 249.

[3]ـ لم أهتدِ إلى ترجمته.

اِمْنَعْ كَرَائِمَكَ الخُرُوجَ وَلاَ ... تُظْهِرْ لِذَلِكَ وَجْـهَ مُـنْـبَـسِـطِ
لاَ تَعْتَبِرْ مِنْهُنَّ مَـسْـخَـطَةً ... نَيْلُ الرِّضَى فِي ذَلِكَ السَّخَطِ
أَوَلَسْنَ مِثْلَ الدُّرِّ فِي شَبَهٍ ... وَالدُّرُّ مِنْ صَدَفٍ إِلَى سَـفَـطِ [1]

ولم يكن يسمح لهن بمقابلة الأجانب من الرجال، إذ كان العرف السائد في المجتمع الأندلسي أن يحجب رب البيت نساءه وبناته، عند استقباله لأجانب في بيته [2]، وكان من لا يحجب حُرَمَهُ [3] عن الأجانب يعتبر شاذا عن العرف، ناقص الرجولة، فالأمير هشام الرضا كان يحجب جواريه عن الأجانب [4]، ناهيك عن نسائه الحرائر، كما اعتبر ابن الأبار أن من الأعمال المشينة التي التصقت بشخص إدريس بن يحيى بن حمود عدم حجب حرمه عن الأنذال والساقطين الذين كان يستقبلهم في مجلسه [5].

وإمعانا في حجب الزوجات والبنات عن الأجانب، كان الباب الخارجي للبيت الأندلسي يفضي إلى رواق، تختلف مساحته حسب أهمية البيت، ينكسر على هيئة كوع الذراع، ليتصل برواق آخر ينتهي إلى الصحن الداخلي للبيت [6]، وبهذا الشكل يستحيل على المار في الشارع أن يرى ما يجري وسط البيت.

وكانت المرأة الحرة تقضي جل وقتها في فناء بيتها، ولا تغادره إلى الخارج إلا نادرا، ولذلك أطلق ابن حزم على الحرائر من النساء: ربات الخدور المحجوبات من أهل البيوتات [7].
البيوتات [7].

وللقضاء على الحياة الرتيبة والمملة أحيانا، والتي تعيشها النساء داخل بيوتهن، تم وضع شراجيب [8] على جدران البيت المطلة على الشارع الذي يرتاده المارة، تستطيع المرأة من خلالها

---

[1] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 435.

[2] ـ ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج2 ص 33.

[3] ـ حُرَمُ الرجلِ عِيَالُهُ وَنِسَاؤُهُ وَمَا يَحْمِي. ينظر: ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 12 ص 123 مادة حرم.

[4] ـ مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 111.

[5] ـ نفسه ـ ص 29.

[6] ـ توريس بلباس ـ المرجع السابق ـ ص 582. وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل لاحقا في هذا الفصل.

[7] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ص 117.

[8] ـ الشراجيب، مفردها شرجب، وهو النافذة أو الطاقة التي تحفر في الجدار، والشباك المشرجب عبارة عن شباك من الخشب على هيئة مربعات صغيرة متداخلة. ينظر: الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 229– 230 ـ التعليق على المثل رقم 1010// دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 6 ص 285.

خلالها الإطلاع على العالم الخارجي، دون أن يراها أحد، ويشكل ذلك بالنسبة إليها تسلية، وخروجا عن رتابة حياتها المنزلية، وملأً لأوقات فراغها [1]. ولا يخرجن من بيوتهن إلا محجبات ومنقبات، فيعرفن، ولا يعترض لهن بسوء، فالأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط لم يجد حيلة تمكنه من الإفلات من مراقبة أعوان أخيه عبد الله، والدخول إلى القصر، وتسلم خاتم الخلافة، إثر وفاة أبيه، إلا بالتزيي بزي ابنته، والتنقب على شكلها [2]. مما يوحي بأن ابنته كانت تتنقب، وأن المرأة إذا تنقبت عُلِم بأنها من الحرائر، ولم يُتعرض لها بسوء.

من ذلك أن زعيم ثوار الأندلس، عمر بن حفصون [3]، كان شديد الغيرة على النساء، فإذا وصلته شكوى من امرأة، وبخاصة إن كانت حرة، بأن أحد جنوده كشف سترها، أو سلبها شيئا من متاعها أو حليها، حَكَم عليه بالإعدام، دون حاجة إلى شهود أو أدلة إثبات [4].

كما أن محمد بن هشام بن عبد الجبار، عندما ثار على عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر الملقب بشنجول (399هـ/ 1008- 1009م) في قرطبة، استولى على كل ممتلكات بني عامر، إلا أنه أطلق سراح نسائهم الحرائر، واحتفظ بالإماء [5].

وقد أبدى المسلمون الأندلسيون غيرة شديدة على نسائهم الحرائر، إذ كان الوافدون على الأندلس بعيالهم، يُدخلون ليلا إلى المدن، وبخاصة قرطبة، صيانة للحُرم، من ذلك إدخال الموسيقي زرياب وعياله إلى قرطبة ليلا [6]، وكذا الأمر بالنسبة لعيال الأشراف الحسنيين بني إدريس ملوك المغرب المستنزلين من معاقلهم [7].

وكانت حقوق المرأة المتزوجة مصونة، بموجب عقد الزواج، وما شرعه الإسلام من شرائع، فإذا قام الزوج بالإعتداء على حقوق زوجته، تدخل القضاء وأعاد لها اعتبارها

[1] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 430// توريس بلباس: المرجع السابق ـ ص 602

[2] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 109.

[3] ـ عمر بن حفص المعروف بابن حفصون، كان من الخوارج القائمين بالأندلس بأعمال رية، قتل سنة 275هـ/ 888م، وكان جلداً شجاعاً أتعب السلاطين وطال أمره؛ لأنه كان يتحصن بقلعة ببشتر المنيعة. ينظر: محمد بن خميس المالقي (توفي بعد 639هـ/ 1241م) ـ مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ـ تحقيق عبد الله المرابط الترغي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت – دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط ـ ط1 ـ 1420هـ/ 1999م ـ ص 325 ـ رقم 143.

[4] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 114// الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 10 ص 112.

[5] ـ ابن الخطيب ـ تاريخ إسبانيا الإسلامية أو أعمال الأعلام ـ ص 111.

[6] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 125.

[7] ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 194.

وحقوقها، مهما كان منصب الزوج. فقد حكم القاضي محمد بن زرب [1] بالسجن على أحد فَصَّادي الحاجب المنصور بن أبي عامر، لحيف ظهر منه على امرأته [2]، فلم تشفع له مكانته لدى المنصور، في الإفلات من العقوبة.

أما بالنسبة للجواري، فقد انقسمن إلى جواري لذة، وهن اللواتي يُتخذن للوطء، وإن حملت إحداهن من سيدها وأنجبت ولدا، ارتقت إلى مرتبة أم ولد [3]، وبذلك يُجْبَر سيدُّها على على الإحتفاظ بها، ولا يجوز له بيعها، كما يصبح ابنها شرعيا وحرا، وجواري خدمة، وهؤلاء تساعدن سيداتهن في أعمال البيت [4]، أو تسعين في طلب حاجيات الأسر المالكة لهن من الأسواق ومختلف المحلات [5]، مما يوضح بأن حركة الجواري لم تكن مقيدة، وأنهن كن يتجولن في الشوارع والأسواق بكل حرية.

وهناك جواري اتخذهن أسيادهن للإستمتاع بغنائهن وموسيقاهن، مثل الجواري اللواتي استقدمهن الأمير عبد الرحمن الأوسط، ومسلم بن يحيى من بني زهرة [6].

حظيت الجواري في الأندلس بعناية خاصة من قبل مالكيهن، إذ كانوا يسعون إلى اقتناء جواري متعلمات ومتأدبات، أو يتقنن فنا من الفنون، بينما ذهب بعضهم إلى تعليم جواريه، فابن الكتاني [7]، كان يفتخر بتعليمه جواريه الروميات الأربع، علوما وفنونا مختلفة [8].

كما قام زرياب بتعليم جواريه الغناء، ومنهن متعة، التي كلف بها الأمير عبد الرحمن الأوسط، فأهداها له زرياب [9]، وغزلان وهنيدة، وعَلَّم أيضا مصابيح جارية الكاتب أبي

1- محمد بن يبقى بن زرب (317-381 هـ/ 929-991م)، من كبار قضاة الأندلس، ولي القضاء سنة 367هـ/ 977م، في عهد المنصور بن أبي عامر، وبقي فيه إلى أن توفي. ينظر: القاضي عياض ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 233 و234 و235.

2ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 410// المقري ـ أزهار الرياض ـ ج 5 ص 92.

3ـ أم الولد: الأَمَة التي حملت من سيدها وأتت بولد. ينظر: محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي ـ معجم لغة الفقهاء ـ دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ط2 ـ 1408هـ/ 1988م ـ ص 516.

4ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 218.

5ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 121.

6ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 141- 142.

7- هو محمد بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني المتطبب، أديب وشاعر وطبيب وعالم بالمنطق، له رسائل وكتب، منها "محمد وسُعدى" و" التشبيهات من أشعار أهل الأندلس "، وله عدة أشعار، توفي قريبا من سنة 420هـ/ 1030م. ينظر: ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص211// ابن أبي أصيبعة- المصدر السابق- ص491.

8- ابن بسام- الذخيرة- ج3 ص238.

9ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3ص 131.

حفص عمر بن قلهيل [1].

من خلال ما سبق، يمكننا القول بأن وضع المرأة الأندلسية الحرة اختلف عن وضع الجارية، ففي الوقت الذي كانت فيه المرأة الحرة محجبة، مستورة عن أعين الأجانب، لا يسمح لها بالخروج إلا إلى أماكن محددة، أي أنها كانت مصانة مما يدنسها، محافظة على شرفها وشرف زوجها وأسرتها، ولم تكن متحررة، سافرة.

عكس ما ذهب إليه بعض المؤرخين المحدثين من الغربيين والعرب على حد سواء، منهم الفرنسي هنري بيريس(Henry Pérès) [2] والألماني فون شاك(Von Shack) [3]، وعصمت عبد عبد اللطيف دندش [4] وأحمد مختار العبادي، الذي رأى بأن نساء الأندلس كن أكثر تحررا من نساء العالم الإسلامي آنذاك، بسبب تأثرهن بالبيئة الأوروبية [5].

وفي المقابل، ترى طائفة أخرى من المؤرخين الغربيين بأن المرأة الحرة في الأندلس كانت مقيدة، ولم يسمح لها بالتفتح على العالم الخارجي، منهم الفرنسي بيار غيشار [6] مستندا في ذلك ذلك على ما أورده ابن حزم في كتابه طوق الحمامة، إذ يقول: " وما أعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء، إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن لسواه " [7].

ويذهب نفس المؤرخ إلى أن المفاهيم القبلية القديمة المتعلقة بشرف النسب، فرضت على حرائر الأندلس أن يبقين مصونات عن الإختلاط، ماكثات في البيت محتجبات [8].

---

[1]ـ نفسه ـ ج 3 ص 131.

[2] -PERES Henry - La poésie Andalouse en Arabe classique au XI siècle, ses aspects généraux et sa sa valeur documentaire - Adrien Maisonneuve - Paris - 1937 - p 398.

[3]ـ ماريا خيسوس فيغيرا ـ " أصلح للمعالي: عن المنزلة الإجتماعية لنساء الأندلس " ـ ترجمة فخري صالح ـ في **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط1 ـ ديسمبر 1998 ـ ج2 ص 999.

[4]ـ عصمت عبد اللطيف دندش ـ المرجع السابق ـ ص 316- 317.

[5]ـ أحمد مختار العبادي ـ " الإسلام في أرض الأندلس " ـ ص 108.

[6]- Guichard Pierre - Structures socials - op. cit - p 168.

[7]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج 1 ص 165.

[8] - Guichard Pierre -" les Arabes ont bien envahi l'Espagne : les structures sociales de l'Espagne musulmane " - in: **Annales, Economie, Société, Civilisation**. 29e année, N.6, 1974 - pp 1483- 1513 - p 1512.

ويوافق المؤرخ الإسباني ليوبولدو توريس بلباس المؤرخ الفرنسي غيشار، في أن المرأة الأندلسية(الحرة)، سواء في الريف أو المدينة، ظلت محجوبة [1]، وأنها كانت تقضي معظم وقتها في بيتها، وأن تسليتها الوحيدة تمثلت في إطلالها على الشارع من خلال الشراجيب، وبذلك تكسر من حين لآخر رتابة الحياة داخل المنزل [2]، وأن هذا الوضع لم يقتصر، حسب هذا المؤرخ، على المسلمات فقط، بل أن النصرانيات، اللواتي لم يكن منغلقات في بيوتهن، كن يقضين القسط الأكبر من وقتهن داخل بيوتهن [3].

إذاً فمن الواجب التفريق بين وضع الحرائر ووضع الجواري في الأندلس، بحيث كان لكل مجموعة من المجموعتين وضعها الخاص بها، والمرتبط ارتباطا وثيقا بالنسب والشرف، وانطلاقا من ذلك، اختلفت أدوار كل مجموعة منهما.

ب) دور المرأة في المجتمع الأندلسي:

كان للمرأة، الأندلسية، حرة كانت أم جارية، حضور كبير في المجتمع الأندلسي، وعلى كل الأصعدة.

فقد لعبت المرأة، إلى جانب دورها الإجتماعي، المشار إليه سلفا، والمتمثل في إنجاب الأبناء وتربيتهم وتنشئتهم على الأخلاق الحميدة، والمساهمة في تعليمهم، والحفاظ على استقرار الأسرة، وبالتالي المجتمع، دورا سياسيا واقتصاديا.

ـ الدور السياسي:

ففي الميدان السياسي، يمكننا الإشارة إلى بعض الأحداث التي شاركت فيها نساء أندلسيات، وكان لهذه الأحداث تأثير كبير على تاريخ الأندلس.

حاولت إحدى جواري الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأم ولده عبد الله، تدبير مؤامرة، تهدف إلى التخلص من الأمير وولي عهده محمد الذي أنجبه من جارية أخرى تسمى تهتز، حتى تصفو الإمارة لابنها، إلا أن المؤامرة كُشِفت، ونجا الأمير وابنه منها، وصارت الإمارة لمحمد بعد وفاة أبيه عبد الرحمن.

---

[1]- ليوبولدو توريس بلباس ـ " الأبنية الإسبانية الإسلامية " ـ تعريب علية إبراهيم العناني ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية** ـ العدد 1 ـ السنة 1 ـ 1372هـ/ 1953م ـ ص 125.

[2]ـ توريس بلباس ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ص 20 ـ 21.

[3]ـ المرجع نفسه ـ ص 602.

وكان لصبح أو (Aurora)، جارية الخليفة الحكم المستنصر بالله، وأم ولده هشام المؤيد، دور كبير في التغيرات السياسية التي شهدتها الأندلس بعد وفاة الخليفة المذكور، وفي وصول محمد بن أبي عامر إلى ما وصل إليه من مجد سياسي وعسكري.

فكانت بدايته أن اختارته وكيلا لابنها عبد الرحمن، ثم خدمها بعد وفاته، ثم أصبح وكيلا لابنها هشام، واستطاع ابن أبي عامر استمالتها إليه، وملاطفتها بالهدايا، حتى أنه أهدى لها قصرا مصنوعا من الفضة، فأعجبت به أيما إعجاب [1]، وربما أكثرت صبح من ذكر اسم محمد بن أبي عامر لدى الحكم المستنصر، حتى قال لأحد ثقاته: " ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى ملك قلوبهن، مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صرن لا يصفن إلا هداياه، ولا يرضيهن إلا ما آتاه، إنه لساحر عليم، أو خادم لبيب، وإني لخائف على ما بيده" [2].

ومن غير المستبعد أن تكون صبح هي التي رشحت محمد ابن أبي عامر، لدى الخليفة الحكم المستنصر، لتقلد المناصب التي ارتقاها، حتى إذا ما وصل إلى منصب الحجابة، همش هشاما المؤيد، وقام بتأسيس، ما سماه بعض المؤرخين [3]، الدولة العامرية، ويعبر ابن عذاري عن هذا المعنى بقوله: " فكانت (صبح) أقوى أسبابه (محمد بن أبي عامر) في تنقيل الملك، عما قليل، إليه " [4].

ولما أحست صبح بأن ابن أبي عامر بدأ يوطد الحكم لنفسه، ويسعى إلى عزل ابنها هشام، فكرت في تدبير مؤامرة ضده، فاتصلت بأحد زعماء المغرب من البربر يدعى زيري بن عطية، [5] واتفقت معه على أن تبعث إليه أموالا يتجهز بها لمحاربة ابن أبي عامر. [6]

---

[1]- ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 252.

[2]- المصدر نفسه ـ نفس الجزء ونفس الصفحة.

[3]- ابن حزم ـ الرسائل ـ ج2 ص 203// ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 32// ابن الأبار ـ التكملة ـ ج 1 ص196.

[4]- ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 252.

[5]- زيري بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر، كان يدعو بدعوة الأمويين في عهد هشام المؤيد، ونقم على ابن أبي عامر حبسه لهشام، وجرت بينهما حروب في المغرب. توفي سنة 391هـ/ 1000م. ينظر: ابن خلدون، يحيى أبو زكريا (ت 780هـ/ 1378م) ـ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ـ تحقيق عبد الحميد حاجيات ـ المكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ 1400هـ/ 1980م ـ ج1 ص 169// ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج1ص 252– 253.

[6]- عنان ـ المرجع السابق ـ ج1 ص 555.

إلا أن هذا الأخير تفطن للأمر، واستولى على الأموال التي كانت صبح تجتهد في إخفائها، والتي قدرت بحوالي خمسة ملايين وسبع مائة ألف (5700000) دينار [1]، وأفشل المؤامرة.

وبذلك تكون صبح السبب الرئيس في قيام الدولة العامرية، وبداية أفول نجم الدولة الأموية في الأندلس.

أما الذلفاء، أم ولد الحاجب المنصور بن أبي عامر، ووالدة وريثه عبد الملك المظفر، الذي تولى الحجابة بين سنوات 392 - 399هـ/ 1002 - 1008م، اتهمت أخاه عبد الرحمن شنجول، وهو من أم ولد نافارية، بقتله إياه، فحقدت على عبد الرحمن، وظلت تسعى للإنتقام منه، ولذلك اتصلت بأحد الأمويين وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي كان يتحين الفرصة للأخذ بثأر أبيه، الذي قُتل على يد عبد الملك المظفر، ووعدته بالمساعدة المالية [2].

وحانت الفرصة عندما غادر عبد الرحمن شنجول قرطبة في غزوة نحو طليطلة، فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار، ووثب على الحكم، وبويع بالخلافة، أما شنجول، وبمجرد وصول خبر الثورة إليه، قفل راجعا إلى قرطبة، إلا أنه قتل بالقرب منها [3].

وبذلك تنتهي الدولة العامرية، وتدخل الأندلس مرحلة جديدة من تاريخها، عُرفت بالفتنة البربرية أو الفتنة القرطبية، والتي استمرت إلى غاية 422هـ/ 1030م، وانتهت بزوال الخلافة الأموية، وبداية فترة ملوك الطوائف.

وبهذا تكون الذلفاء المتسبب الرئيس في نهاية الدولة العامرية، وبداية الفتنة القرطبية.

ـ الدور العلمي:

سجلت المرأة اسمها في أغلب النشاطات العلمية، فقد كانت شاعرة، وأديبة، ومؤدبة، وكاتبة، وطالبة علم.

فمن النساء الشاعرات، يمكننا أن نذكر حسانة التميمية بنت أبي المخشي [4]، التي عاشت عاشت مع نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري (نهاية الثامن وبداية التاسع الميلادي)، أي

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 93.

[2]ـ فيما يتعلق بهذه المؤامرة، ينظر: ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 52/ عنان ـ المرجع السابق ـ ج1ص 630.

[3]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 49- 50.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 167- 168.

انها أدركت إمارة الحكم الربضي ثم ابنه عبد الرحمن الأوسط، ومدحتهما بأبيات شعرية، تدل على علو كعبها في هذا الفن، وعائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم القرطبية، وكانت أعف وأفصح وأشعر نساء زمانها، بل أنها فاقت بعض الشعراء بيانا، توفيت سنة 400هـ/ 1009م [1]، واستطاعت الشاعرة الغسانية البجانية، التي عاشت إلى أوائل القرن الخامس الهجري (ق 11م) معارضة قصيدة لابن دراج القسطلي [2]، مدح بها الأمير خيران العامري [3]، بقصيدة طويلة تمدح فيها نفس الأمير [4].

هذه أمثلة عن النساء الأندلسيات اللواتي برزن في ميدان الشعر، إذ لا يمكننا حصرهن كلهن لكثرتهن [5].

ولم تكتف المرأة الأندلسية بقرض الشعر، بل تعدته إلى علوم أخرى منها الفقه، إذ نبغت فيه بعضهن مثل خديجة بنت جعفر بن نصير التميمي، التي أخذت عن زوجها الذي كان فقيها مالكيا، في أواخر القرن الرابع الهجري (10م)، وألفت كتبا في هذا العلم [6]، وغالية بنت محمد التي أخذت الفقه عن الفقيه أصبغ بن مالك [7]، وكانت بدورها تُقْرِئه للنساء [8]، ومن الراجح الراجح أنها توفيت خلال القرن الرابع الهجري (10م)

وكان من بين النساء الأندلسيات معلمات يعلمن علوما مختلفة، كل حسب اختصاصها، فالحاجة مريم بنت أبي يعقوب الشلبي، كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة،

---

[1]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 532- 533 رقم 1534.

[2]ـ هو أبو عمر، أحمد بن محمد بن دَرَّاج القَسْطلي الأندلسي (347- 421هـ/ 958- 1030م)، كان شاعر المنصور= = أبي عامر، معدود في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء، والمذكورين من البلغاء. ينظر: الحميدي ـ المصدر السابق ص 97- 100 رقم 186.

[3]ـ خيران العامري، من الموالي العامريين، انتزى على ألمرية ومرسية وبقيتا تحت حكمه من 405هـ/ 1014م إلى غاية وفاته سنة 419هـ/ 1028م. ينظر: ابن سعيد ـ المغرب ـ ج2 ص 194 رقم 478.

[4]ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 373- 374.

[5]ـ يمكن العودة إلى كتب التراجم للإطلاع عليهن، مثل: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 530 إلى 535// المقري المصدر السابق ـ ج4 ص 166 إلى 179// ابن الأبار ـ التكملة ـ ج4 ص 239- 265.

[6]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 532 رقم 1535.

[7]ـ أَصْبَغ بن مالك بن مُوسَى: أَصْلُه من قَبْرة وسَكَن قرطُبة؛ ويُكَنَّى: أبا القَاسِم. كان فقيها وإِمَاماً في قِراءة نَافع. توفي ببشتر سنة 299هـ/ 911م أو 304هـ/ 916م. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 85 رقم 250.

[8]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 530 رقم 1529.

وكانت تعلم النساء الأدب [1]، أما راضية مولاة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله، التي حجت مع زوجها، وأخذا، في الشام ومصر، عن جلة من الفقهاء، منهم الفقيه المالكي محمد بن القاسم بن شعبان القرطي [2]، ولما عادا إلى الأندلس، اشتغلت راضية بتعليم الفقه [3]. كما كما أن أم الحسن، أخت القاضي سعيد بن منذر البلوطي [4]، كانت ذات شأن كبير، إذ كانت تعلم النساء الفقه وسير العابدين [5]، وارتفع شأن بعضهن حتى فُقْن الرجال في بعض العلوم، العلوم، بل أصبحن يعلمنهم [6].

وتمكن عدد منهن من التبحر في العلوم العقلية، مثل لبنى كاتبة الحكم المستنصر، والتي كانت بصيرة بالحساب [7]، واستطاعت إحدى جواري هذا الخليفة أن تتعلم الفلك وتتقنه في مدة وجيزة [8]،

وبلغ بعض الأندلسيات درجة عالية في الأدب والبلاغة، مكنتهن من أن تصبحن كاتبات للأمراء والخلفاء الأمويين، منهن مزن كاتبة عبد الرحمن الناصر، كانت حاذقة، جيدة الخط، توفيت سنة 350هـ/ 961م [9]، وزمرد كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر، والتي توفيت سنة 336هـ/ 947م [10]، ولبنى التي كانت نحوية شاعرة عروضية، حتى عدها السيوطي ضمن

---

[1]ـ المصدر نفسه ـ ص 533 رقم 1540.

[2]ـ محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة، الفقيه أبو إسحاق المصري المالكي صاحب التصانيف، ويعرف أيضًا بابن القرطي، كان رأس المالكية بمصر، وأحفظهم للمذهب. توفي في جمادى سنة 360هـ/ مارس 971م. ينظر: الذهبي، شمس الدين ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ تحقيق عمر عبد السلام التدمري ـ دار الكتاب العربي، بيروت ـ ط2 ـ 1413هـ/ 1993م ـ ج26 ص 131- 132// القاضي عياض ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 13- 14.

[3]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 532 ـ رقم 1537.

[4]ـ منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النّفزي البلوطي ثم الكزني (273 – 355 هـ/ 886 – 966م)، تولى قضاء الجماعة بقرطبة، كما ولي الصلاة بمدينة الزهراء. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 128.

[5]ـ ابن الأبار ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 245.

[6]ـ نفسه ـ ج 4 ص 250.

[7]ـ نفسه ـ ج 4 ص 247.

[8]ـ نفسه ج 4 ص 247.

[9]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 531 رقم 1533.

[10]ـ نفسه ـ ج 4 ص 246

اللغويين والنحاة [1]، توفيت سنة 374هـ/ 984م، ونظام كاتبة هشام المؤيد، وكانت بليغة مجيدة مجيدة للرسائل [2].

ومن أهم ما تميزت به المرأة الأندلسية، حبها للعلم وإقبالها على تعلمه، إذ كن يذهبن إلى الفقهاء ويسألنهم عما أشكل عليهن، ولو تعلق الأمر بأمور خاصة بالنساء مثل الحيض [3].

كما شاركت النساء في الأندلس في إثراء المكتبات، بقيامهن بنسخ الكتب، وبخاصة المصحف الشريف، إذ وُجِدت بالربض الشرقي في قرطبة مائة وسبعون امرأة تقمن بنسخ المصاحف بالخط الكوفي [4]، مما يوحي بأن عدد النسوة، اللواتي كن يقمن بعملية النسخ، كان كبيرا في قرطبة خاصة والأندلس عامة، ولا شك أنهن كن ينسخن الكتب، إلى جانب نسخهن المصاحف.

يتضح مما سبق أن المرأة الأندلسية لعبت دورا مؤثرا في الحياة العلمية، وبخاصة في الفترة قيد الدراسة، بمشاركتها المباشرة كمعلمة ومتعلمة وكاتبة وناسخة، ولكن ما تجدر الإشارة إليه، أنه لم يصلنا من تأليفهن شيء، ولا نعلم إن كانت لهن مؤلفات مفقودة، أم أن الأندلسيات لم يقمن بالتأليف.

ـ الدور الإقتصادي:

يقول ابن حزم: " فمن النساء: كالطبيبة والحجامة والسراقة والدلالة والماشطة والنائحة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخدمة والصناع في المغزل والنسيج [5] "، ما يوضح بأن المرأة الأندلسية استطاعت أن تقتحم عددا من الأنشطة الإقتصادية، وأن تشارك، بذلك، في دفع عجلة اقتصاد الأندلس نحو الأمام، رغم احتكار الرجل في الغالب، لوسائل الإنتاج، ومواضيعه كالأراضي الزراعية وأنواع العقار الأخرى [6].

---

[1]ـ السيوطي – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط1 ـ 1384هـ/ 1964م ـ الناشر الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ ج2 ص 269 – رقم 1957.

[2]ـ ابن الأبار ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 249.

[3]- الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ ص 127.

[4]ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 266– 267.

[5]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج 1 ص 142.

[6]ـ صلاح خالص ـ إشبيلية في القرن الخامس الهجري ـ دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ 1981 ـ ص 90– 91.

وكانت الزراعة من الأنشطة الإقتصادية التي شاركت فيها المرأة الأندلسية، إذ قامت في الأرياف "بتحضين بيض دود الحرير حتى يفقص " [1]، وبذلك تكون قد ساهمت في المرحلة الحساسة من عملية إنتاج الحرير.

كما امتلكت بعض النساء مساحات محدودة من الأراضي الزراعية، وكانت تعمل فيها رفقة أزواجهن، أو توكل من يعمل فيها، مقابل اقتسامها للمحصول مع الوكيل [2].

وكانت المرأة تقوم، داخل بيتها بغسل الصوف وغزله ونسجه [3]، وتصنع منه ما يحتاج إليه أفراد أسرتها، أو أنها تذهب بغزلها إلى السوق لبيعه مباشرة إلى صانعي القماش [4]، أو تكلف امرأة أخرى بذلك، حتى تستطيع تلبية متطلبات الأسرة [5].

يفهم من ذلك أن بعض النساء احترفن مهنة التجارة، إذ كانت المرأة التاجرة تسافر بمفردها، من مدينة إلى أخرى، بالأموال والبضائع آمنة لا يعترضها أحد [6].

واشتغلت بعض النسوة ببيع بعض منتجاتهن في الأسواق المحلية، فنساء البوادي كن يحملن اللبن في القرب إلى أسواق المدينة لبيعه، متكبدات سوء أحوال الطريق [7]، ومنهن اللبانة اللبانة أم الشاعرين أبي بكر محمد بن عيسى الداني [8] وأخيه عبد العزيز [9]، إذ يصفها صاحب صاحب الذخيرة بأنها كانت تاجرة محنكة وصدوقة، وأنها كانت تكد للحصول على ما تلبي به حاجات أبنائها [10]، وهذا ما زاد ابنيها شرفا وعزة، إذ أنهما لم يستنكفا عن الإنتساب إلى حرفة أمهما.

---

[1]ـ عريب بن سعيد ـ المصدر السابق ـ ص 33.

[2]ـ ابن رشد ـ الفتاوى ـ ج2 ص 1581- 1582// الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 8 ص 166.

[3]ـ الخشني ـ قضاة قرطبة ـ ص 43.

[4]ـ ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 87.

[5]ـ المقري ـ المصدر السابق ج 3 ص 340.

[6]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 114.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 440.

[8]ـ محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، أبو بكر، المعروف بابن اللبانة، أديب أندلسي، شاعر، له عدة مؤلفات، توفي بميورقة سنة 507هـ/ 1113م. ينظر: صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي (ت 764هـ/ 1362م) ـ فوات الوفيات ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1974م ـ ج 4 ص 27- 31.

[9]ـ عبد العزيز أخو أبي بكر بن اللبانة، كان شاعرا، إلا أنه لم يرض بالشعر صناعة ولا اتخذه مكسبًا، وإنما تحول عنه إلى التجارة التجارة فكان من جملة التجار. ينظر: عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 110.

[10]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 3 ص 500.

واحتلت إحدى نساء الأندلس مكانا هاما في تجارة الرقيق، بحيث خُصص لها مكان معين في السوق، وكانوا يسمونها " الأمينة "، ويتمثل دورها في استبراء الجواري [1]، والكشف عليهن عليهن للتحقق من سلامتهن من كل عيب، ومصاحبتهن إلى بيوت الأثرياء الذين يرغبون في اقتناء بعضهن، كما كان بعض تجار الرقيق يطلبون ودها، للمشاركة معهم في عمليات التدليس [2].

ولم تتوان بعض النساء في منافسة الرجال في بعض الحرف، منها القراءة في المآتم [3]، مقابل مقابل بعض النقود، لتفي بها حاجيات أسرتها، وبما أن أغلب زوار المقابر من النساء، فلا بد أن تكون هؤلاء القارئات يقرأن لهن عند قبور ذويهن، مقابل أجر يأخذنه، وبذلك كانت هذه الحرفة توفر لهن كسبا محترما.

من ذلك كله يتضح مدى مساهمة المرأة الأندلسية في الأنشطة الحيوية في المجتمع، فرغم أن مساهمتها هذه لم ترق إلى مستوى مساهمة الرجل، إلا أن المرأة استطاعت أن تخلد اسمها، وأن تفرض نفسها كعنصر فاعل في المجتمع، والدليل على ذلك إشادة المصادر بهذه المساهمة، وبخاصة كتب التراجم. ولكن رغم هذه الأدوار الهامة التي لعبتها المرأة في المجتمع الأندلسي، إلا أن نظرة أفراده تجاهها اختلفت بين مقدر لهذه الأدوار وبين جاحد ومنكر لها.

ج) نظرة المجتمع الأندلسي إلى المرأة:

رغم الوضعية الحسنة التي تمتعت بها المرأة الأندلسية، والأدوار الإيجابية التي لعبتها على أصعدة متعددة، إلا أن فئة من الأندلسيين رأوا فيها مصدر كل شر، والسبب الرئيس في انتشار الرذائل في المجتمع، وأنها لاتصلح لشيء عدا الجِماع. ولم تقتصر هذه النظرة على بعض الرجال من العامة، بل شاركهم فيها بعض الأدباء والفقهاء.

يقول الفقيه الأندلسي ابن حزم الظاهري: " وما أعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء إلا أنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتآلف

---

[1]ـ الاستبراء: أن يشتري الرجل جارية، فلا يطؤها حتى تحيض عنده حيضة ثم تطهر، والهدف منه طلب براءتها من الحمل. ينظر: ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 33.

[2]ـ السقطي ـ المصدر السابق ـ ص 48.

[3]ـ نفسه ـ ص 68.

ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن لسواه "[1]، أي أن تفكير المرأة، في نظر ابن حزم، يغلب عليه حكايات الجماع والحب والغزل، حتى يظن المرء أنهن لم تخلقن إلا لذلك.

ويرى نفس الفقيه أن حديث الرجل عن زوجته، في مجلس أقرانه، ومدحه لها، وثنائه عليها، وتبيان قدراتها الفكرية التي تتمتع بها، واعترافه بالنصائح الثمينة التي تقدمها له، والتغني بجمالها وحسنها وأخلاقها، ينم عن ضعف هذا الرجل[2]، أي أن الرجل القوي، حسب ابن حزم، هو الذي لا يعترف بفضائل زوجته، ولا يذكرها البتة أمام أقرانه من الرجال.

إلا أن بعض المصادر تشير إلى قصة الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ مع الرجل الذي جاء يشتكيه سوء خلق زوجته، فسمع زوجة عمر ترفع صوتها عليه، فلما هم الرجل بالعودة من حيث أتى، خرج إليه عمر وسأله عن سبب مجيئه، فقال له الرجل:" يا أمير الْمؤمنين جئت أشكو إليك سوء خُلق زوجتي واستطالتها عليَّ، فلما سمعتُ زوجتَك كذلك رجعتُ وقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي "، فقال عمر: "يا أخي إني أَحْتَملُها لحقوق لها عليَّ، إنها طباخة لطعامي، خبَّازة لخبزي، غسَّالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن بها قلبي عن الحرام، فأنا أحتملها لذلك "، فقال الرجل: "يا أمير الْمؤمنين وكذلك زوجتي "، قال عمر: "فاحتمِلْها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة"[3]. فهل يمكن اعتبار عمر بن الخطاب ﵁ ضعيفا حسب منطق ابن حزم؟ حاشا خليفة المسلمين ﵁ أن يكون كذلك، بل عرف عنه القوة والشدة والحزم والوقوف عند حدود الله تعالى.

أما الفيلسوف ابن رشد الحفيد، فيرى بأن المرأة الأندلسية فاقدة لكفاءتها، وأنها تشكل حملا ثقيلا على الرجل، وأنها سبب انتشار الفقر في المجتمع، وأن عملها ليس له أي تأثير في اقتصاد الأندلس[4].

إن إلقاء نظرة خاطفة على ما ذكرناه عند حديثنا عن دور المرأة في مختلف المجالات، يفند ما أورده ابن رشد من أحكام على المرأة الأندلسية.

---

[1]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج1 ص 165.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 398.

[3]ـ ابن حجر الهيتمي (ت 974هـ/ 1567م) ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1407 هـ/ 1987م ـ ج2 ص 80.

[4]ـ ابن رشد ـ الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون ـ نقله عن العبرية إلى العربية أحمد شحلان ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط1 ـ سبتمبر 1998 ص 125.

ويرى المحتسب ابن عبدون أن الجهل والخطأ ينتشران بين نساء الأندلس [1]، بينما يستشهد ابن عبد ربه، على مكرهن وعدم وفائهن، ببعض الأبيات لشاعر مجهول:

تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلَا تَـكُنْ جَزُوعًا إِذَا بَانَتْ فَسَوْفَ تَبِينُ
وَصُنْهَا وَإِنْ كَانَتْ تَفِي لَكَ، إِنَّهَا عَلَى مَدَدِ الأَيَّامِ سَوْفَ تَخُونُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللّيَانَ فَإِنَّهَا لآخَرَ مِنْ طُلاَّبِهَا سَتَلِينُ
وَإِنْ حَلَفَتْ لاَ يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينُ [2]

وفي نفس هذا السياق يقول الشاعر الغزال:

إنّ النساءَ لَكَالسُّروجِ حقيقةً فالسِّرجُ سرجُك ريثَمَا لا تنْزِلُ
فإذا نَزلتَ فإنّ غَيرَك نازلٌ ذاكَ المكانَ وفاعلٌ ما تَفعلُ
أو كالثِّمارِ مُباحةً أغصانُها تدنُو لأوَّل من يمرُّ فتُؤكلُ [3]

ويعتبر الشاعر أبو عبد الله ابن الحداد الوادي آشي [4] النساءَ مثل الأزهار، مُتاحة في الرياض، تستقبلن الرجال مداورة وتمكِّنَّهم من أنفسهن، حيث يقول:

فالغِيدُ كالرَّوضِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ إنْ مرَّ جانٍ أتى من بعدِه جانِ [5]

يُستفاد من هذه الأشعار أن النساء خلقن للجماع فقط، وأنه لا وفاء ولا عهد لهن، وأنهن جُبِلن على الخيانة والخداع، وأنهن تملن لأي رجل يود الإستمتاع بهن، فعلى الرجال إذاً ألاَّ يثقوا فيهن.

وعبَّرت العامة عن هذا المعنى بصياغتها لأمثال شعبية، فقالت: " لِسْ فَالنّسَا خَيْرْ وَلاَ فِمِّي " [6]، بل تذهب العامة الأندلسية إلى نعت النساء كلهن بالفجور والفسق، في قولهم: " لا

[1]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 46.
[2]ـ ابن عبد ربه ـ طبائع النساء ـ تحقيق محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ 1985 ـ ص 172.
[3]ـ يحيى بن حكم الغزال ـ ديوان الغزال ـ ص 65- 66// ابن دحية ـ المصدر السابق ـ ص 146- 147.
[4]ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم المعروف بالحداد، ولد بوادي آش واستوطن ألمرية ولازم بلاط بني صمادح فاشتهر بمدح رؤسائهم. ينظر: ابن الحداد الأندلسي (ت 480هـ/ 1087م) ـ ديوان ابن الحداد ـ تحقيق يوسف علي الطويل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م ـ ص 7- 45.
[5]ـ المصدر نفسه ـ ص 293// المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 505.
[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 280 رقم 1210.

لا تثق في فاجرة ولو كانت أختك " [1]، فهذا التعميم، والدعوة إلى عدم الثقة في الأم والأخت، يمثل إجحافا كبيرا في حقهما خاصة وفي حق المرأة عامة.

وهناك أمثال أخرى تشكك في إخلاص الزوجات لأزواجهن، منها المثل القائل: " بين ذا وذا وزوجها قد جا " [2]، وهو مثل يقال في الزوجة التي يدركها زوجها متلبسة بجريمة الزنا، وبذلك فهو يعتبر دعوة إلى الأزواج ليأخذوا حيطتهم وحذرهم من زوجاتهم، وألا يثقوا فيهن ثقة عمياء.

ولم تسلم المرأة المُسِنَّة من تهكم العامة الأندلسية، فقالت فيها أمثالا تحط من قيمتها، بل توحي بألا قيمة لها، منها المثل القائل:"عجُوزْ قرقوبَ، ما تسْوَى خرُّوبَ " [3]، والخروبة عملة نقدية صغيرة من النحاس منخفضة القيمة [4].

ولم تتوقف العامة عند هذا الحد، بل ذهبت إلى التشاؤم من رؤية العجائز، فقالوا: " إذا رَيْتْ عْجُوزْ اذْكُرْ اللهْ وجُوزْ " [5]، أي أن رؤية العجوز كانت، حسب هذا المثال، بمثابة رؤية جني أو شيطان، بل أنها لا تختلف عن هذا الأخير، بحيث كلاهما يسعى إلى الإيقاع بفريسته في المكائد التي ينصبها له.

وحذرت أمثالٌ أخرى الرجالَ من أن يطيعوا زوجاتِهم، منها المثل الذي يقول: " طاعةُ النساءِ أفْنْ واتباعهن وهَنْ " [6]، وهذا المثل مستوحى من الكلام المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والوارد في كتاب نهج البلاغة: " إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن " [7].

---

[1]ـ نفسه ـ ص 465 رقم 2027.

[2]ـ نفسه ـ ص 124 رقم 551.

[3]ـ نفسه ـ ص 377 رقم 1656.

[4]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 4 ص 40.

[5]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 12 رقم 37.

[6]ـ نفسه ـ ص 242 رقم 1050.

[7]ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت 40هـ/ 660م) ـ نهج البلاغة ـ جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي ـ شرحه وضبط نصوصه محمد عبده ـ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م ـ ص 590.

إلا أن بعض علماء المسلمين الأوائل شككوا في نسبة الأقوال الواردة فيه إلى الإمام علي بن أبي طالب ﵁ [1]، ونحن بدورنا نستبعد نسبة هذا القول إلى الخليفة الراشدي الرابع ﵁، خاصة إذا علمنا بأن الرسول ﷺ كان يأخذ بآراء نسائه إذا استحسنها، فقد عمل ﷺ بمشورة زوجته أم سلمة g يوم صلح الحديبية، التي أشارت عليه بأن ينحر ويحلق حتى يستن به أصحابه [2].

كما أن الرسول ﷺ أقر مشاورة الرجل زوجته في الأمور المصيرية، وذلك عندما خطب امرأة من أبيها لصحابي من الأنصار اسمه جُلَيْبيب [3]، فطلب الأب من النبي ﷺ أن يمهله حتى حتى يستشير أمها، فقال ﷺ " فَنَعَمْ إذاً "، وعندما علمت الأم بذلك رفضت، إلا أن البنت قالت: " أتريدون أن تردّوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان قد رضيه لكم، فأنكحوه "، فاستحسن الأبوان رأيها، وأخذا به [4].

فهذا الحديث يدل على أن مشاورة الرجل لزوجته في الأمور المصيرية، كانت سنة معمولا بها آنذاك، فأبو الزوجة أخذ برفض زوجته، وهم بإبلاغ الرسول ﷺ به، إلا أن البنت رأت غير ذلك، وحذرت أبويها من مغبة رفض عرض النبي ﷺ، فوافقاها رأيها. فكل ذلك يتناقض مع القول المنسوب إلى علي بن أبي طالب ﵁.

---

[1]ـ الذهبي ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1382هـ/ 1963م ـ ج 3 ص 124// ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ ج 3 ص 313.

[2]ـ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ/ 823م) ـ المغازي ـ تحقيق مارسدن جونس ـ دار الأعلمي ـ بيروت ـ ط3 ـ 1409هـ/ 1989م ـ ج 2 ص 613.

[3]ـ جليبيب، صحابي يقال أنه كان أي كان أسود فيه دمامة وقصر، زوجَّه النبيﷺ من إحدى بنات الأنصار، قُتل في إحدى الغزوات التي غزاها مع النبيﷺ، الذي تولى دفنه بنفسه. ينظر: ابن عبد البر القرطبي ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط1 ـ 1412هـ/ 1992م ـ ج 1 ص 271.

[4]ـ أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت 241هـ/ 855م) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1421هـ/ 2001م ـ ج 19 ص 385 رقم 12393.

ولم يكن بعض شعراء الأندلس يفوِّتون الفرصة لهجو النساء والتشهير بهن، منهم إسماعيل بن بدر [1]، الذي نظم أبياتا هجا فيها أحد أصدقائه، واصفا إياه بالبخل، كما هجا زوجة صديقه هذا، ومما قاله فيهما:

تَنَفَّسَ لَمَّا لاَ حَظَ القَوْمُ خُبْزَهُ ... وَقطَّبَ لَمَّا لاَمَسَتْهُ الأَصَابِعُ
فَقُلْنَا لَهُ إِنَّا شِبَاعٌ فَجُدْ لَنَا ... بِعُودٍ فَمَا فِي القَوْمِ غَيْرُكَ جَائِعُ
فَأَسْمَعَنَا دَرْدَاءَ صَلْعَاءَ رَجَعَتْ ... بِصَوْتٍ لَهَا تَسْتَكُّ مِنْهُ المَسَامِعُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي كِلاَبٌ تَهَارَشَتْ ... بِحُلْقُومِهَا أَمْ نَقْنَقَتْ بِهِ ضَفَادِعُ [2]

وفي هذا السياق، يذم الشاعر الغزال النساء ويتهكم بهن في أبيات شعرية كلها سخرية، تصور المرأة بصورة بشعة، إذ يقول:

جَرْداءُ صَلْعاءُ لم يُبْقِ الزَّمانُ لَها ... إلا لساناً مُلِحّاً بالمَلاَمَاتِ
لَطَمْتُها لطْمةً طارتْ عِمامَتُها ... عن صَلْعةٍ ليْسَ فيها خَمْسُ شَعَراتِ
كأنَّها بَيْضةُ الشَّاري إذا بَرِقَتْ ... بِالمَأْزَقِ الضَّنْكِ بينَ المَشْرَفِيَّاتِ
لَهَا حُروفٌ نواتٍ في جَوانِبِها ... كقِسمَةِ الأرضِ حِيزَتْ بِالتُّخوماتِ
وكاهِلٌ كَسِنامِ العِيسِ جَرَّدَهُ ... طُولُ السِّفارِ وإلحاحُ القُتوداتِ [3]

فالمرأة الأندلسية واجهت، خلال الفترة المعنية بالدراسة، هجوما كلاميا عنيفا من طرف فئة قليلة من المجتمع الأندلسي، إلا أن ذلك لم يُفقدها مكانتها المحمودة لدى غالبية أفراد هذا المجتمع، ودليلنا على ذلك ما ذكرناه عند حديثنا عن وضعيتها، إضافة إلى ما نُقل عن الحاجب المنصور بن أبي عامر، الذي عزم على اكتساح بلاد البشكنس على رأس جيش عرمرم، انتصارا لامرأة كانت رهينة هناك في إحدى كنائسها، وقال: " قد بلغني بعدُ بقاءَ فلانةٍ المسلمةِ في تلك الكنيسة، وواللہ لا أنتهي عن أرضه حتى أكتسحها "، فأرسل إليه ملك البشكنس المرأة المعنية مع اثنتين أخريتين [4].

[1]- إسماعيل بن بدر بن إسماعيل بن زياد، أبو بكر، مولى نعمة لبني أمية، ولي إشبيلية لعبد الرحمن الناصر، غلب عليه الشعر، عاش إلى ولاية الحكم المستنصر، توفي سنة 351هـ/ 962م. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ص // ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج 1 ص 254 رقم 98.
[2]ـ الكتاني ـ المصدر السابق ـ ص 245.
[3]ـ المصدر نفسه ـ ص 245.
[4]ـ ابن خاقان ـ مطمح الأنفس ـ ص 390- 391// ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 298.

كما أن الأمير عبد الرحمن الأوسط انتصر لحسانة التميمية بنت أبي المخشى الشاعرة من ابن لبيد واليه على إلبيرة، وقال لها: " انصرفي يا حسانة، فقد عزلْتُه لكِ ".

وذُكر أن قاضٍ بلوشة [1] (Loja) تزوج امرأة بارعة في علم الأحكام والنوازل، فكان يعود إليها باستمرار ويستشيرها في القضايا التي تُعرَضُ عليه، وعندما كتب إليه أحد أصدقائه ببيتين لامه فيهما على ما يفعله، عرضهما القاضي على زوجته، فردت على صاحبهما ببيتين فيهما تهديد ووعيد [2].

مما سبق يتضح أن المرأة لم تكن محتقرة ومُهانة، بل كانت محترمة، ومصانة الجانب، وحرة في تصرفاتها، داخل أطر، حددها لها الشرع الإسلامي، وكفلها لها القانون ورجاله، من الحكام والقضاة والفقهاء.

4) المسكن الأندلسي:

جُبِل الإنسان على العناية بمسكنه، بتوضيبه، وتنظيفه، وتوفير كل مستلزمات الحياة فيه، حتى يصبح مؤهلا لإيواء الأسرة، الضيقة أو الموسعة، ويوفر لها السكينة والـهدوء والإستقرار. انطلاقا من ذلك، اعتنى الأندلسيون بمساكنهم، وجهزوها بكل ما تيسر لهم من أثاث وأواني، كل حسب مستواه الإجتماعي. فمما كان يتكون المنزل الأندلسي؟ وما هو أهم الأثاث الذي حواه هذا المنزل؟

أ) مكونات المنزل:

---

[1] ـ لوشة مدينة بالأندلس غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيرا، وهي مدينة طيبة على نهر شنيل نهر غرناطة. ينظر: الحموي ـ المصدر السابق ـ مج 4 ص 184.

[2] ـ يورد المقري في نفح الطيب ـ ج 4 ص 294 البيتان اللذان كتبا للقاضي، وهما: =

= بِلُوشَةَ قاضٍ له زَوجَـةٌ وأحْكَامُها في الورَى ماضِيَةْ

فَيا لَيْتَهُ لـم يَكُنْ قاضِياً وَيَـا لَـيْتَها كانـتِ الـقَاضِيَةْ

فردت عليهما ببيتين هما:

هُوَ شَيْخٌ سُوءٍ مُزْدَرَى لَهُ شُيُوبٌ عـاصِيَةْ

كَـلاَّ لَـئِـن لَـمْ يَـنْـتَـهِ لَـنَسْـفَعاً بالنَّاصِيَةْ

يشكل المسكن الأندلسي، وبخاصة المملوك من قبل المسلمين، وحدة عمرانية، تتميز بالتناسق والتناغم بين مختلف مكوناته [1]، والمتمثلة في:

ـ الجدران الخارجية للمساكن أو " الحيط البراني " [2]، والتي عادة ما تكون خالية من أية إيحاءات للمستوى الإجتماعي لساكنيها [3]، بل تكسوها مسحة من الكآبة والحزن [4]، تعتبر حاجزا بين الشارع وبين الحياة الأسرية داخل المسكن من جهة، ومن جهة أخرى بين الجيران، الذين كانوا يدخلون في نزاعات بسببها [5].

أما في الأرياف، ونظرا لتباعد المساكن عن بعضها، فإن جدرانها الخارجية عملت على الحفاظ على خصوصية الأسرة، وحمايتها من التقلبات الجوية.

وتضمنت الجدران الخارجية لدور المياسير، إضافة إلى الباب الرئيس، نوافذ مشرجبة، يمكن للنساء الإطلاع، من خلالها، على الحركة في الشارع [6]، بينما افتقدت إليها دور العوام [7].

ـ الباب الخارجي للمسكن، والـذي يشكل حلقة الإتصال بيـن داخل البيت وخارجه، يكون في العادة من خشب، ويحمل قفلا مكونا من ضلفتين خشبيـتين أو مـن مزلاج خشبي، إضافة إلى مقرعة، يستخدمها القادم إلى المنزل لقرع الباب [8].

ولا يتسنى للمار في الشارع، التنبؤ بالمستوى الإجتماعي لساكني البيت، إلا إذا دنا من الباب الخارجي له، ودقق النظر في نوعية الخشب الذي صنع منه، وكذا نوعية وطريقة صنع القفل الذي يغلق به، وشكل المقرعة المعلقة عليه، والمعدن المصنوعة منه [9].

---

[1]ـ ينظر الملحق رقم 7.

2- Bazzana André et POISSON Jean- Michel - L'Habitat rural dans les pays de la méditérranée occidentale du X[e] au XIII[e] siècle. Etat de la question - **RURALIA I, Pamatky archeologické** - Supplementum 5, Praha 1996 - pp 176- 202 - p 196.

[3]ـ توريس بلباس ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ص 72.

[4]ـ توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ ص 123.

[5]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 797- 802.

[6]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 250.

[7]- Duffourcq - op. cit - p 61.

[8]ـ يحيى أبو المعاطي محمد عباسي ـ الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238- 488هـ/ 852- 1095م) ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ 1421هـ/ 2000م، ص 850.

[9]ـ نفسه ـ ص 850.

ـ الأسطوان: وهو الممر الذي يلي الباب الخارجي، والمؤدي إلى وسط المنزل، ويختلف عرضه من دار لأخرى، فهو فسيح في منازل الموسرين، يسع لنوم شخص واحد على الأقل [1]، وضيق جدا في منازل العامة [2]، وفي الحالتين معا، فإنه ينحرف على شكل كوع الذراع، ويؤدي إلى باب آخر، لم يكن على نفس خط الباب الخارجي، ومنه إلى الصحن [3]، وبذلك يستحيل على المارة أن يروا ما يحدث في الصحن، ولو كان الباب الخارجي مفتوحا.

ـ الصحن: ويسمى وسط الدار [4]، أو الفناء، كما يعبر عنه أحد شعراء الأندلس:

فِي ظلّ عزٍّ دائمٍ وَكَرَامةٍ وفِناءُ دَارِكَ بالوُفُودِ زَحيمُ [5]

ويعتبر الصحن، سواء في الريف أو في المدينة، أهم جزء من مكونات المنزل، إذ تتراوح مساحته ما بين ثلاثين (30%) وأربعين من المائة (40%) من المساحة الإجمالية للبيت [6]، إلا أنه في الريف أكبر منه في المدينة [7]، وهو يتوسط المنزل، وتنتظم حوله الغرف وبقية مكونات البيت الأخرى، وبذلك يعتبر الصحن قلب المنزل، والعنصر الحيوي الذي تجري فيه أغلب الأنشطة اليومية للأسرة [8].

ونظرا لكونه الجزء الوحيد غير المغطى من البيت، فإنه يسمح بوصول أشعة الشمس إلى وسط المنزل، مما يمكن أفراد الأسرة، وبخاصة النساء والأطفال، من الإستفادة منها.

فالأطفال يستغلونه كمجال للمرح واللعب، أما النساء فتقمن فيه بأغلب أشغالهن المنزلية مثل غسل الثياب وأواني الطهي والأكل، وتقشير الخضار، وغيرها من الأعمال اليومية

[1]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 177// توريس بلباس ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ص 582.

[2]ـ توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ ص 127.

[3]- توريس بلباس، المدن الإسبانية الإسلامية، ص 582.

[4]- Bazzana André - Cadre de vie et manière d’habiter- (xii- xvi siècle) -in **publication du CRAHM** - 2006 - p 293- 306 - p 301.

[5]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 344.

[6]- Delaigue Marie-Christine - L’habitat rural d’Andalousie Orientale: quelle tradition? in: **Mélanges de de la Casa de Velazquez** - Tome 27-1- 1991- p 115.

[7]- Duffourcq - op. cit - p 97.

[8] - ibid - p 119.

التي تقوم بها المرأة في بيتها، كما كان يجتمع فيه أفراد الأسرة، في ليالي الصيف، هربا من حرارة الغرف [1].

ويساهم الصحن في إضفاء جو منعش على البيت، بفضل بركة الماء التي تتوسطه، والتي تُستغَل مياهُها في عمليات التنظيف المنزلية اليومية [2]، وهناك منازل عُوِّضت فيها البركة بالبئر [3]، التي تعتبر بدورها من المكونات الرئيسة للمنزل، إذ أن انخفاض الماء فيها، يعتبر عيبا من العيوب التي تتسبب مباشرة في انخفاض ثمن البيت [4].

ونظرا لأهميته البالغة، ودوره في حياة الأسرة، حظي الصحن بعناية الأندلسيين، سواء في الريف أو في المدينة، إذ كانوا يزينونه بالنباتات التزيينية والورود، كما قام بعضهم بغرس

أشجار مثمرة فيه، مثل دالية عنب [5]، أو نخلة [6]، أو أشجار النارنج (البرتقال) [7]، أو غيرها من غيرها من

الأشجار المثمرة الأخرى، أما من تيسر حاله، فكان يقيم في وسطه نافورة ماء [8]، مما كان يضفي يضفي على الصحن مزيدا من الحسن والبهاء، ويوفر لأفراد الأسرة مكانا لائقا، يلجأون إليه للتمتع نهارا بأشعة الشمس، وليلا بالهواء المنعش.

واضطرت الأسر في الريف، إلى إقامة فرن في ناحية من نواحي الصحن، لطهو الخبز، بسبب عدم توفر أفران عمومية، مما كان يؤدي إلى نزاعات بين الجيران، خاصة إذا كانت المنازل ملاصقة لبعضها [9]. وإلى جانب الفرن، أقامت هذه الأسر في زاوية من زواياه رحى

---

[1] ـ توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ ص 127

[2] ـ المرجع نفسه ـ ص 127.

[3] ـ الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ ص 163// ابن الأبار ـ المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط1ـ 1410هـ/ 1989م ـ ص 71.

[4] ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 1ص 437- 438.

[5] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 260.

[6] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 546- 547.

[7] ـ نفسه ـ ص 152.

[8] - Duffourcq - op. cit - p 97.

[9] ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 799.

للإستعمالات اليومية [1]. إضافة إلى كل ذلك، يتضمن الصحن الدرجَ، الذي يكون من الطوب، الطوب، أو من أخشاب سميكة تثبت بمسامير [2]، والذي يؤدي إلى الغرف العلوية أو إلى السطح.

ـ الغرف: يتراوح عدد غرف البيت الأندلسي بين اثنتين وثلاث وأربع [3]، تنتظم حول حول الصحن المركزي وتنفتح عليه عبر أبواب واسعة [4]، يتسرب ضوء النهار منها إلى أجزاء الغرفة، إلا أن مساحة هذه الغرف تختلف باختلاف مساحة البيت، والوضع الإجتماعي للأسرة، إذ تتسع وتكثر الغرف في منازل الأسر الموسرة، وتضيق وينخفض عددها في منازل الأسر المقلة [5]، والتي كان بعضها يكتفي بغرفة واحدة، مما يدعو إلى القول بأن عدة أسر كانت تضطر إلى التعايش في منزل واحد [6]، ولا شك في أن ذلك كان يؤدي إلى مشاكل عديدة.

إلى جانب الغرف، تتوضع في زوايا الصحن الضيقة، مرافقُ أخرى مثل المطبخ، ومخزن المؤن، ودورة المياه أو بيت الراحة (cabinet d'aisances) [7].

وكان لكل منزل طابق علوي، يضم غرفة أو غرفتين مخصصتين للنساء [8]، يتم الوصول الوصول إليه عبر الدرج الموجود في الصحن، ومنه يمكن للنساء الصعود إلى السطح عبر درج آخر، للقيام ببعض الأشغال مثل غسل القماش، أو صناعة بعض الأواني الفخارية، أو لقاء الجارات والجلوس والتحدث إليهن [9]، وبذلك يمكن اعتبار السطح، مكانا آخر في البيت، يسمح للنساء بالترفيه والترويح عن أنفسهن، وكسر وحدتهن.

[1]ـ نفسه ـ ص 812.

[2]ـ عبد الوهاب خلاف ـ قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، الحياة الإقتصادية والإجتماعية ـ ـ الدار التونسية للنشر ـ أفريل 1984م ـ ص 27.

3- Lagardère Vincent - Campagnes et paysans d'Al-Andalus: VIII-XV- Paris - Maisonneuve et Larose Larose -1993 - p 206.

[4]ـ ينظر الملحق رقم 07.

[5]ـ القادري بوتشيش ـ المرجع السابق ـ ص 32– 33.

[6]- Lagardère Vincent - op. cit - p 207.

[7]- Ibid - p 206.

[8]- عبد الوهاب خلاف ـ قرطبة الإسلامية ـ ص 27// توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ ص 127.

[9]- Bazzana - cadre de vie et manière d'habiter - op. cit - p301

وعموما، فالبيت في المدينة يتميز بالضيق، حتى أن أحد المؤرخين الغربيين شبه منازل المسلمين في الأندلس " بأعشاش عصافير " [1]، كناية على ضيقها، ورغم ذلك فإن داخلها كان منعشا [2]، إلا أن البيت في الريف يبدو أوسع من نظيره الحضري، وربما يعود ذلك إلى المهام المهام الإضافية التي اضطلع بها هذا الأخير، ومن بينها إيواء المواشي والدواب، التي كان يخصص لها اسطبل، يطل على صحن ثانوي، يتصل بالصحن الرئيس عبر ممر ضيق، كما يمكن الدخول إلى الإسطبل عبر باب خارجي خاص [3].

ب) أثاث البيت الأندلسي:

من الطبيعي أن تتوفر المنازل الأندلسية، كغيرها من المنازل، على أثاث مختلف، استحدثه الإنسان ليوفر لنفسه مزيدا من الراحة، ويخفف عليها أعباء الحياة.

ولقد مررنا، أثناء تصفحنا للمصادر والمراجع التي خدمت موضوعنا، على أسماء عدد من قطع الأثاث التي كانت تستخدم، لأغراض مختلفة، في المنازل الأندلسية. ويمكن تقسيم هذه القطع إلى مجموعات، متمثلة في:

ـ أثاث للجلوس: سبق أن أشرنا إلى أهمية الصحن في البيت الأندلسي، ودوره في توفير جو منعش لكافة أفراد الأسرة، لذلك كانت بعض الأسر تفرش أرضيته بالحصر المصنوعة من الحلفاء أو القصب أو القش، مغطاة بسجاد من الصوف [4]، ثم تنضد فوق الفراش مجموعة مجموعة من السائد أو المخدات المحشوة بالصوف [5]، وفي ذلك يقول ابن قزمان:

عَمْدَ، يَا أَخِي، إلاَّ بِسَاطْ مِنْ صُوفْ
وَمْخَايِدْ عَلَيْهَا يَدٌّ صُفُوفْ [6]

بينما كانت أسر أخرى تبني على طول قواعد الجدران المطلة على الصحن، وكذا جدران غرفة استقبال الضيوف، مصاطب على شكل مقاعد، ثم تفرشها بالفراش المذكور آنفا [7]، كما استعملت الكراسي أو مقاعد من جلد على شكل كراسي في بعض البيوت [1].

1ـ توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ ص 123.
2ـ نفسه ـ نفس الصفحة.
3- Lagardère Vincent - op. cit - p 212.
4 - Duffourcq - op. cit - p 62.
5- Lagardère Vincent - op. cit - p 228.
6ـ ابن قزمان ـ المصدر السابق ـ ص 90.
7 ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 46/ / ibid - p 228.

أما بيوت الأسر الأثرياء، فكانت أفرشتها مصنوعة من فرو الفنك الجيد الموشى، ومصفوفة حول سجاد من السقلاطون المطرز بخيوط من ذهب [2]، والوسائد محشوة بالصوف ومغلفة بالقماش الموشى [3] أو بالقطيفة أو بالحرير [4].

ومن جهتها، تميزت المنازل الريفية بقلة أثاثها، وبخاصة المُعَدِّ منه للجلوس، إذ كان يتمثل في الحصر البلدية، والبسط اليدوية، والسلائخ (جلود الخرفان المسماة في الغرب الجزائري حاليا: الهيدورة) بعد دبغها وتجفيفها، تُتَّخذ كفراش للجلوس عليه، كما يمكن النوم عليها [5].

ـ أثاث للنوم: شاع لدى أغلب الأسر الأندلسية النوم في غرف معدة لذلك، ومجهزة بأسرة خشبية [6]، أو ما كانت تعرف عندهم بالسدات، بينما اتخذت بعض الأسر عوضها مصاطب مبنية، وفوق هذا وذاك يوضع مطرح أو فراش أو شاذكونة [7]، يغطى بإزار ولحاف من قماش محشو بالصوف [8]، أما الغطاء فيتكون من ملاية وملحفة السرير أو بطانية [9]، وفي فصل الصيف، يستغنى عن الأغطية الصوفية، ويقام فوق السرير ما يشبه القبة من نسيج رقيق شفاف يسمى الكلل، وتسميه العامة الناموسية، بهدف الإحتماء من لسعات البعوض [10]، وفي ذلك يقول ابن زيدون:

هَلْ عَهِدْنَا الشَّمْسَ تَعْتَادُ الكِلَلْ؟ أَمْ شَهِدْنَا البَدْرَ يَجْتَابُ الحُلَلْ؟ [11]

1ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 141// .ibid - p 228

2- de Prémard Alfred Louis, Guichard Pierre - Croissance urbaine et société rurale à Valence au debut de l'époque des royaumes de Taifas (XI siècle) - in: Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée -N°31 - 1961- p 18.

3 - Lagardère Vincent - op. cit - p 228.

4 - Duffourcq - op. cit - p 62.

5- يحيى أبو المعاطي ـ المرجع السابق ـ ص 851// .Lagardère Vincent - op. cit - p 226- 227

6ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 109.

7ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 142، والشاذكونة هي الفراش الذي ينام عليه، غليظ وثقيل. ينظر: المطرزي ـ المصدر السابق ـ ص 246.

8- ibid - p 228- 229.

9- Duffourcq - op. cit - p 62.

10ـ ابن زيدون ـ المصدر السابق ـ ص 338 ـ هامش رقم 1.

11ـ نفسه ـ نفس الصفحة.

أما الأطفال الصغار فكانوا ينامون في المهد، الذي كان يتكون من ملحفة وفراش من صوف، وقطعة من جلد توضع على الفراش لحمايته من بول الطفل، ولحيِّف محشو قطنا، ومخدة محشوة صوفا [1]

ـ أثاث للأكل والشرب: كان الأندلسيون يقدمون الطعام في مجموعة من الأواني، منها الطيفور، وهو عبارة عن طبق عميق ذي شكل مستدير، قاعه مستو وحوافه مرتفعة، كما يعني مائدة خشبية صغيرة، يقدم فوقها الأكل [2]، ولكن المعنى الثاني هو الأرجح، إذ لا زالت المائدة المائدة الخشبية الصغيرة المستديرة، ذات ثلاثة أرجل، تحمل هذا الإسم إلى حد الآن في عدد من مناطق الغرب الجزائري.

كما كان يقدم الطعام، في دور الأسر الثرية، على الموائد الخشبية، التي استبدلت، بعد وفود زرياب على الأندلس، بسفر الأديم لسهولة تنظيفها من الدسم ومخلفات الطعام [3].

يوضع الطعام في أواني مختلفة تتناسب مع عدد الذين يقدم إليهم، فإذا قارب عددهم العشرة أشخاص، قُدِّم إليهم في قصعة [4]، أما إذا كانوا بين أربعة وستة، قدم إليهم في صحفة، وهي المسماة زَلَفَة [5]، وذكرت في المثل الأندلسي، القائل:" صَحَفْتِي الخَضْرَا، فِيها يُوكُلْ..." [6]، يُوكُلْ..." [6]، وإذا نقص العدد عن ذلك، استعملت الأسرة الصحون [7]، وتكون هذه الأواني الأواني جميعها، إما من خشب أو طين، أو فخار بالنسبة للفقراء ومتوسطي الحال، ومن زجاج بالنسبة للأثرياء [8]، مع استعمال مغارف النار، أو المغارف الخشبية [9].

أما الأواني المخصصة للشرب، فتتمثل في الأقداح، والكؤوس، والكيزان والطاسات، وفي ذلك يقول أحد شعراء الأندلس:

---

[1]- Lagardère Vincent - op. cit - p 229.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 510، هامش رقم 2، وج 6 ص 496، هامش رقم 2.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 128.

[4]ـ الهروي ـ تهذيب اللغة ـ ج 4 ص 149// مجهول ـ الطبيخ في المغرب والأندلس ـ ص 1.

[5]ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 109 ـ ابن سيدة المرسي ـ المصدر السابق ـ ج 9 ص 49.

[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 364 رقم 1601.

[7]- Duffourcq - op. cit - p 104.

[8]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 128.

[9]- Duffourcq - op. cit - p 104 // Lagardère Vincent - op. cit - p 226- 227.

وَلَيْتَ أنّي لَوْ شَاهَدْتُ أُنْسَكُمَا   عَلَى كُؤوسٍ وطَاسَاتٍ وكِيزَانِ [1]

ـ أثاث للطبخ: وإذا ولجنا مطبخ البيت الأندلسي، وجدنا عددا من الأواني تستعملها الأسرة يوميا لطهو الطعام، أبرزها القدور المتفاوتة الأحجام، والمصنوعة من مواد مختلفة، الفخارية، والخزفية، والنحاسية [2]، أما تلك المصنوعة من الحجارة فتسمى البرمة [3]، وإلى جانبها جانبها المقالي أو الطواجن التي تستعمل لقلي السمك [4]، وكذا الكسكاس [5].

إضافة إلى السكاكين، التي اشتهرت مرسية بصناعتها [6]، والشاقور المستعمل في تقطيع اللحم، أو إزالة القرون عن رؤوس المواشي، أو غيرها من الأعمال [7].

أما عملية الطهو، فتتم على الكانون، وهو عبارة موقد صغير من الطين تضع فوقه الأسر الفقيرة قدور الطبخ [8]، أما الأسر الغنية فتستعمل التنور لطهي اللحوم الحمراء، أما اللحوم البيضاء والخبز فتطهى في الفرن [9].

ولتخزين طعامهم، احتاج الأندلسيون إلى أواني خاصة، تمثلت في خوابي لتخزين الدقيق والسميد [10]، أما الكبيرة منها، فاتخذت لتخزين الخمر، وجرار لتخزين العسل وأنواع الزيوت، وأزقاق (مفردها زق) لتخزين الخل والخمر [11].

وبالنسبة للملابس والأموال، فكانوا يضعونها في صناديق مختلفة الأحجام، محكمة الغلق، يسمونها توابيت، موضوعة داخل الغرف [12]، واستعمل الموسرون بدلها الخزائن الخشبية [1].

---

[1]ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 379.

[2]ـ دايفد وينز ـ فنون الطبخ في الأندلس ـ ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ـ **في الحضارة العربية في الأندلس** ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1998 ـ ج2 ـ ص 1024.

[3]ـ الأزدي أبو بكر ـ المصدر السابق ـ ص 329.

[4]ـ نفسه ـ نفس الصفحة// Lagardère Vincent - op. cit - p 226

[5]ـ دايفد وينز ـ المرجع السابق ـ ص 1029.

[6]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 201.

[7]- Lagardère Vincent - op. cit - p 226.

[8]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 9 ص 147.

[9]ـ مجهول ـ الطبيخ في المغرب والأندلس ـ ص 9 و11.

[10]ـ الخشني ـ قضاة قرطبة ـ ص 109.

[11] - Lagardère Vincent - op. cit - p 233.

[12]- ibid - p 229 // Duffourcq - op. cit - p 62.

ولإنارة المنازل، استعملوا مصابيح أو قناديل تضيء بالزيت، وأخرى بالودك (الشحم)، بالإضافة إلى استعمالهم للشمع [2]، الذي كان يصنع في البوادي الأندلسية [3]، بينما استعملوا الكوانين لمقاومة برد الشتاء، إذ كان الكانون يوضع وسط الغرفة، بعد أن يُملأ فحما، ويُشعل في الهواء الطلق، ويكون إما مرتفعا عن سطح الأرض قدر قامة إنسان، حتى يعم دفؤه أرجا الغرفة كلها [4]، أو يوضع على الأرض مباشرة، حتى يتمكن كل أفراد الأسرة، كبيرهم وصغيرهم، الإصطلاء بحرارته [5]، أما الأثرياء، ونظرا لامتلاكهم منازل واسعة، فإنهم يتخذون فيها حمامات خاصة، ويجرون المياه الحارة، في أنابيب من رصاص أو فخار، في أرضيات الغرف، فتعمل على تدفئتها [6].

ولتنظيف منازلهم، احتاج أهل الأندلس إلى مجموعة من الأثاث، جمع ابن باق بعضه في هذه الفقرة: " الحبل والدلو والبكرة لغسل الدار والأواني، ولا بد من المكانس والأجناح لكنس الفرش وغيرها ... وكذلك الصوفة وهي الجفافة" [7]

إضافة إلى كل ذلك، توفرت المنازل الأندلسية على أثاث أو أدوات أخرى، استعملتها في إجراء بعض الإصلاحات، من بينها السلوم الخشبي، والشاقور، والمنشار أو الميشار، كما سماه شاعر أندلسي:

يَرْمِينَ نَفْطاً مُحْرِقاً وَكَأَنَّمَا يَحْرِقْنَ بِالأَنْيَابِ حَدَّ مَيَاشِرِ [8]

وخلاصة القول، فإن الأسرة الأندلسية، بكل مكوناتها، وبفضل تماسك أفرادها، لعبت دورا هاما في تماسك المجتمع الأندلسي واستمراره، عن طريق قيامها بالأدوار التي أنيطت بها، انطلاقا من تكوينها عن طريق الزواج، مرورا بإنجابها للأطفال، وتربيتهم، ورعايتهم،

---

[1]ـ ابن رشد ـ فتاوى ابن رشد ـ ج 1 ص 866– 867.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 249/ / Lagardère Vincent - op. cit - p 234

[3]ـ مجهول ـ بيوتات فاس الكبرى ـ ص 23.

[4]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 46.

[5]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 224.

[6]- Duffourcq - op. cit - p 62.

[7]ـ ابن باق ـ المصدر السابق ـ ص 124.

[8]ـ الكتاني ـ المصدر السابق ـ ص 181.

وتعليمهم، وإعدادهم ليكونوا أفرادا صالحين في المجتمع، ويساهموا في نهضته الثقافية والإقتصادية.

أما المرأة، التي تشكل الركن الأساس في الأسرة والمجتمع على حد سواء، فقد ساهمت مساهمة بالغة الأهمية في الأحداث السياسية للمجتمع الأندلسي، وفي تنميته الإقتصادية والثقافية، رغم نظرة بعضهم إليها نظرة ازدراء وانتقاص، مستفيدة من الحقوق العديدة التي كانت تتمتع بها.

كما لعب المنزل الأندلسي، رغم صغره في غالب الأحيان، دورا مميزا في الحفاظ على تماسك أفراد الأسرة، بفضل مكوناته، وأبرزها الصحن، الذي كانت تمضي فيه الأسرة أغلب أوقاتها، وتنجز فيه النسوة جل أعمالهن، ناهيك عن أهميته في السماح بوصول أشعة الشمس والهواء إلى وسط المنزل.

أدت وحدة الدين بين الأندلس وبقية أصقاع العالم الإسلامي آنذاك، إلى تشابه الحياة اليومية، وانتشار عادات وتقاليد وممارسات متشابهة، ورغم ذلك، استطاعت الأندلس أن تتميز عن المناطق الإسلامية الأخرى ببعض الميزات

1 ـ اللباس:

يمثل اللباس مظهرا من مظاهر الحياة اليومية للمجتمعات، إذ يمكن من خلاله التنبؤ بالمركز الإجتماعي أو العلمي للفرد، أو تحديد ديانته أو حالته النفسية، حزينا كان أو سعيدا، أو جنسه، ذكرا أو أنثى، أو وظيفته، أو المنطقة التي ينتمي إليها [1]، أو غير ذلك من المعطيات التي يمكن الحصول عليها من خلاله. من ذلك تتبين أهمية اللباس في الدراسة الإجتماعية.

وقد أبدى الأندلسيون اهتماما بالغا بلباسهم ونظافة أجسامهم، ولا أدل على ذلك مما جاء على لسان المقري، الذي قال: " وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها" [2]، بل أنهم كانوا يستهزئون ممن لا يهتم بهندامه [3].

لذلك كله اعتنى الأندلسيون بالصناعة النسيجية، وطوروها ونشروها في كامل أنحاء بلادهم، ويعود ذلك إلى توفر شجر التوت بأعداد كبيرة في أغلب نواحيها، مثل حصن شنش [4] وفنيانة [5]، وفي مناطق أخرى مثل وادي آش [6] وبسطة (Baza) [7]، وتشكل أوراق هذه الأشجار الغذاء الرئيس لدودة القز المنتجة للخيوط التي يصنع منها الحرير، لذلك تسمى هذه الحشرة أيضا بدودة الحرير.

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 145.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 223.

[3]ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 80.

[4]ـ ابن سعيد، المغرب ـ ج2 ص 225.

[5]ـ الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 441.

[6]ـ نفس المصدر ـ ص 604.

[7]ـ بسطة مدينة بالأندلس يكثر بها شجر التوت، وعلى قدر ذلك غلة الحرير والزيتون. ينظر: الحميري ـ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار ـ نشرها ليفي بروفنسال – دار الجيل – بيروت ـ ط2 ـ 1408هـ – 1988م ـ ص 44 – 45.

إلى جانب توفر القطن في عدد من مناطق الأندلس، من بينها كورة رندة [1] (Ronda)، وتوفر الأصواف والجلود التي كان يستخدم بعضها في صناعة أنواع من الملابس، يضاف إلى كل ذلك اكتشاف الأندلسيين لمادة أولية أخرى لصناعة النسيج، وهو وبر ناعم لحيوان برمائي، أطلقوا عليه اسم "أبو قلمون"، ويتميز هذا الوبر بنعومته وبلونه الذهبي، إلا أن الكمية المحصل عليها كانت قليلة جدا، لذلك كان سعر الثوب المصنوع منه مرتفعا جدا، وكان حكام الأندلس يخصون به أنفسهم ويمنعون تصديره إلى الأمصار الأخرى، ولهذا كله تعددت مصانع النسيج في معظم مدن الأندلس.

اشتهرت مدينة إشبيلية بصناعة الحرير، فقد كانت تملك تسعا وتسعين وثمانمائة (899) مصنعا للطراز [2]، أما ألمرية فكانت تضم ثمانمائة (800) ورشة لصناعة الحرير [3]، وهذه الأعداد حسب رأينا مبالغ فيها، أما إذا كانت صحيحة فإنه يمكننا القول أن هاتين المدينتين كانتا تعتمدان في اقتصادهما، بنسبة تفوق تسعين من المائة (90%) على الصناعة النسيجية وبخاصة الحريرية، وهذا ما أهلهما لأن تتبوءا مكانا متقدما، من بين المدن الأندلسية، في هذه الصناعة، كما كان لمدينة جيان أكثر من ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير [4]، وحوالي ست مائة قرية يصنع يصنع بها الحرير [5]، ولهذا حُق لها أن تحمل اسم جيان الحرير [6]، من ذلك يتضح أن الحرير كان كان متوفرا في الأندلس وبكميات هامة، مما حدا بأسعاره نحو الإنخفاض، وتمكن عدد غير قليل من اقتنائه واستعماله، كما أصبح بالإمكان تصدير كميات منه نحو عدد من الأمصار الإسلامية وغير الإسلامية.

كما أن وفرة الحرير مكنت الأندلسيين من الإبداع فيه وتشكيله، فصنعوا منه أقمشة أبرزها الأصفهاني أو الأصبهاني، نسبة إلى مدينة أصبهان في بلاد فارس، وكان هذا القماش الحريري يصنع خاصة في مدينة ألمرية [7]، وفي نفس المدينة كان يصنع الجرجاني، وهو نسيج من

---

[1]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 329.

[2]- Lagardère Vincent - " Mûrier et culture de la soie en Andalus au Moyen Age (X - XIV siècles" - In: **Mélanges de la Casa de Velázquez**- Tome 26-1- 1990 - p 106.

[3]ـ الإدريسي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 562.

[4]ـ المصدر نفسه ـ ج2 ص 568.

[5]ـ نفسه ـ ج2 ص 537.

[6]ـ ابن سعيد المصدر السابق ـ ج 2 ص 51..

[7]ـ دُوزِي رينهارت ـ تكملة المعاجم العربية ـ نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعيمي ـ وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق العراق ـ ط1 ـ من 1979 – 2000 م ـ ج1 ص 147.

حرير ينسب إلى جرجان، وهي مدينة في خراسان [1]، والسقلاطون وهو نوع من نسيج الحرير المزركش بالذهب، ينسب إلى سقلاطون من أعمال الروم [2]، والوشي وهو قماش من حرير ملون ذو حواف من الذهب أحياناً [3] والدمشقي، نسيج لماع ومموج، اشتهرت به دمشق [4]، إضافة إضافة إلى أنواع أخرى مثل العتابي وهو نسيج خليط من حرير وقطن، ينسب إلى محلة العتابية إحدى محلات دجلة [5]، ويبدو من خلال أسمائها أنها تقليد لأنواع مشرقية [6].

أما أنواع الثياب التي ارتداها الأندلسيون، فيمكن تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين هما ثياب الرجال وثياب النساء.

أ) لباس الرجال:

ارتدى الأندلسيون ثيابا متعددة ومتنوعة تختلف باختلاف الجنس والإنتماء الطبقي، وتتمثل في:

❖ كسوة الرأس:

ـ **العمامة**: تشير المصادر إلى أن أفراد طالعة طارق بن زياد الذين دخلوا الأندلس فاتحين كانوا يضعون العمائم على رؤوسهم [7]، وظل الأمر كذلك خلال عهد الولاة (95-138هـ/ 714- 755م) [8]، استننانا بالسلف الصالح، وعلى رأسهم النبي ﷺ الذي كان يضعها [9].

وكان عبد الرحمن الداخل، محيي الدولة الأموية في الأندلس سنة 138هـ/ 755م بعد اندراسها في المشرق على يد العباسيين، يؤثر لبس البياض ويعتم به [10]، ولكن بعد وفاته تغيرت

---

[1] ـ المرجع نفسه ـ ج2 ص 168.

[2] ـ المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (610هـ/ 1213م) ـ المغرب في ترتيب المعرب ـ.تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ـ مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب سوريا ـ ط1 ـ 1399هـ/ 1979م ـ ص 401 –402.

[3] ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ج11 ص 69

[4] ـ المرجع نفسه ـ ج 2 ص 9.

[5] ـ ابن جبير محمد بن أحمد أبو الحسن ـ رحلة ابن جبير ـ دار بيروت ـ دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ـ ط1 ـ د. ت ـ ص 201.

[6] - Lagardère Vincent - op. cit - p 106 - 107.

[7] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 261.

[8] ـ ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1406م) ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ـ تحقيق خليل شحادة ـ دار الفكر– بيروت ـ ط2 ـ 1408هـ / 1988م ـ ج4 ص 153.

[9] ـ ابن هشام عبد الملك (213هـ/ 828م) ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الحفيظ الشلبي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط2 ـ 1375هـ/ 1955م ـ ج2 ص 632.

[10] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 37.

الأمور، وأصبحت غالبية أهل الأندلس تستحسن عدم وضع العمامة، ولم يقتصر ذلك على العامة بل تعداه إلى الفقهاء المشاورين والمقدمين من طرف السلطة الحاكمة، وعلى رأسهم يحيى بن يحيى الليثى [1] الذي لم يكن يعتم إلا لأداء صلاة الجمعة [2].

وظلت غالبية سكان المدن الأندلسية، وبخاصة تلك الواقعة في الشرق، عازفين عن وضع العمائم، عدا الفقهاء المالكيون، إذ أمر الحكم المستنصر بأن يُنادى في شوارع قرطبة "بألا يتعمم رجل لا يحمل جامع المدونة حفظا وفقها"، فتعمم فيها أكثر من ثلاثمائة (300) رجل [3]، وظل وظل العلماء والفقهاء يلبسون العمائم إلى غاية بداية القرن الخامس الهجري (11م) [4].

أما البربر فكانوا يفضلون وضع العمائم، ويغالون في أثمانها، ويهتمون كثيرا بطريقة وضعها على رؤوسهم [5]، لذلك كان حكام الأندلس يهادون بها زعماء البربر الوافدين على الأندلس، فقد خلع الخليفة عبد الرحمن الناصر على حميد بن يصل وعلي بن يحيى القرشي السليماني خلعا تضمنت عمائم شرب مذهبة [6]، كما هادى الخليفة الحكم المستنصر بعض زعماء زعماء البربر بهدايا تضمنت عمائم خز [7]، والخز ما نسج من صوف مخلوط بالحرير [8].

إلا أن العمامة ظلت سمة من سمات الخلافة في الأندلس، إذ أن الخليفة هشام المؤيد (366-406هـ/ 976-1016م) ظهر لرعيته في قرطبة، بعد أن غَيَّبَه الحاجب محمد ابن أبي عامر المنصور طويلا، "معمما على الطَّوِيلَة سادلاً للذؤابة والقضيب فِي يَده على زِيّ الْخلافَة" [9].

ولما تولى عبد الرحمن شنجول، الحجابة سنة 399هـ/ 1009م، أمر أعيان دولته بأن يطرحوا

---

[1]ـ يحيى بن يحيى (152-234هـ/ 769-849م) يكنى أبا محمد، مصمودي الأصل، ليثي بالولاء، أدخل موطأ مالك منقحا، وعليه دارت الفتيا في الأندلس، قال عنه الإمام مالك: عاقل الأندلس. ينظر: ابن عبد البر القرطبي ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم ـ دار الكتب العلمية - بيروت ـ د. ت ـ ص 58-59.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ص 59 // ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 145.

[3]ـ الزهري ـ كتاب الجغرافية ـ تحقيق محمد حاج صادق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ دت ـ ص 88.

[4]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 156.

[5]ـ مجهول ـ الإستبصار في عجائب الأمصار ـ نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ د. ت ـ ص 129.

[6]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 219.

[7]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 132 ـ 133.

[8]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 5 ص 345 ـ مادة خزز // لويس معلوف ـ المنجد في اللغة والأدب والعلوم ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ط 19 ـ د. ت ـ ص 177ـ مادة خز.

[9]ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ـ ج1 ص 201.

قلانستهم ويستبدلوها بالعمائم، فاضطروا لذلك إلى الإستنجاد بجيرانهم البربر، إلا أن هؤلاء الأعيان لم يحسنوا وضع العمائم، فأصبحوا سخرية العامة [1].

يتبين من هذه الرواية أن غالبية سكان الأندلس لم يكونوا يعتمون ولا يحسنون الإعتمام، وأن العمائم كانت من المنتوجات النادرة في الأسواق، إن لم نقل المنعدمة، وأن ارتداءها اقتصر على البربر فقط.

ورغم ذلك استمر بعض العلماء في وضع العمامة إلى غاية نهاية عهد الدولة الأموية، فالقاضي يحيى بن وافد اللخمي [2] كان يضع عمامة حين ألقى عليه البربر القبض سنة 404هـ/ 1014م، خلال الفتنة التي شهدتها الأندلس(399-422هـ/ 1009-1031م). مما يدل دلالة قاطعة على أن لبس العمامة ظل متواصلا في الأندلس إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية.

أما طريقة لبسها، فإنها تلف حول الرأس فوق قلنسوة، ثم يسدل ما قي منها تحت الأذن اليسرى ثم يرخون الذؤابة على الكتف الأيمن [3].

- **القلنسوة**: القلنسوة ما يغطي الرأس من الوشي أو الخز أو الصوف أو الفراء، وكانت من ألبسة الرأس المحببة عند الأندلسيين [4]، فإما أن تلبس وحدها وهي بذلك الشاشية المعروفة عند سكان المغرب الإسلامي [5]، وإما أن تكون ذات لون داكن وشكل مخروطي، تلف حولها العمامة [6].

انتشرت في الأندلس عادة لبس القلنسوة، وبخاصة في عهد الدولة الأموية، فقد لبسها رجال الدولة، المقربين من الحاكم، طويلة مرقشة وملونة، وكانوا يباهون بها العامة ورجال

---

[1]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 48// شهاب الدين النويري (ت 733هـ/ 1333م) ـ نهاية الإرب في فنون الأدب ـ دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2002م ـ ج23 ص 410.

[2]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 156// النباهي المالقي ـ المرقبة العليا ـ ص 89.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 223.

[4]ـ سحر السيد عبد العزيز سالم ـ" ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية الإسلامية في مدريد** ـ مج 27 ـ 1995 ـ ص 167.

[5]ـ ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/ 1379م) ـ المناقب المرزوقية ـ تحقيق سلوى الزاهري ـ منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية ـ ط1 ـ 1429هـ/ 2008م ـ ص 173// دوزي رينهارت ـ" المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب" ـ ترجمة أكرم فاضل ـ في **مجلة اللسان العربي** ـ يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ـ الرباط ـ مج 10 ج 3 ـ ص 181.

[6]- Arié Rachel - " Le costume des Musulmans de Castille au XIIIe siècle d'après les miniatures du Libro Libro del Ajedrez "- In**: Mélanges de la Casa de Velázquez** - Tome 2 - 1966 - p 64.

الدولة الأدنى منهم مرتبة [1]، كما لبسها بعض العلماء مثل محمد بن عبد السلام الخشني [2]، وكان القاضي محمد بن بشير [3] يصلي بالناس وعليه قلنسوة خز [4]، مما يسمح لنا بالإستنتاج بأن وضع وضع العلماء الأندلسيين للقلنسوة كان شيئا مألوفا لدى الناس، إذ لم تشر المصادر التي تصفحناها إلى أية معارضة أو استهجان، سواء من طرف المصلين خاصة، أو من طرف العامة.

بينما استهجن الأندلسيون لبس قلانس الصوف، خاصة إذا كانت من نفس نسيج ولون الجبة، مثلما استهجنوا لبس القاضي أحمد بن عبد الله بن أبي خالد قلنسوة صوف بيضاء كانت من فضل جبته [5].

ـ **الطيلسان**: هو ثوب يوضع على الرأس وينسدل على الكتفين، والكلمة فارسية معربة من تالشان [6]، ويسمى الطيلسان طاقا لأنه يدور على لابسه [7].

وقد شاع استعماله في الأندلس، إذ اختص به في البداية الفقهاء والمؤدِّبون والقضاة والوعاظ [8]، ثم انتشر بعد ذلك بين الخاصة والعامة على حد سواء [9].

كما أنه عبارة عن قطعة قماش تشبه الخمار، يصنع من الخز أوالديباج، ومنه الأخضر الذي يعرف بالساج أو الطاق [10]، ومنه الأبيض والأزرق [11]، يُطوى طيا ظريفا ويُلقى على

---

[1]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 48.

[2]ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 34.

[3]ـ النباهي المالقي ـ المصدر السابق ـ ص 47 وما بعدها.

[4]ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص 207.

[5]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 52.

[6]ـ المطرِّزي ـ المصدر السابق ـ ص 292.

[7]ـ القزويني، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ/ 1004م) ـ معجم مقاييس اللغة ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر ـ 1399هـ/ 1979م ـ ج3 ص 433.

[8]- DOZY - dictionnaire detaille des noms des vetements chez les arabes- Amesterdam - Jean Muller - 1845 - p 279.

[9]ـ دوزي رينهارت ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ـ ترجمة أكرم فاضل ـ **مجلة اللسان العربي** ـ مج 9 ج2 ـ د . ت ت ـ صص 10- 86 ـ ص 82.

[10]ـ أبو الحسن علي بن الحسن الملقب ب" كراع النمل" (ت 309هـ/ 921م) ـ المنَجَّد في اللغة ـ تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط 2 ـ 1988م ـ ص 249.

[11]ـ سحر سالم ـ المرجع السابق ـ ص 172.

الكتفين أو على إحداهما [1]، بينما يضعه الأشياخ المعظمون كالفقهاء والقضاة والمؤدبون ورجال ورجال الدولة المقدمون على رؤوسهم [2].

ونتيجة لشيوع استعماله، تعددت صور ارتدائه، فمنها المقور، ويكون مقطوعا على شكل نصف دائرة أو مثلث، ومزينا برسومات شجرية متمثلة في الأزهار والأغصان [3]، يوضع على الرأس، ويرسل طرفاه على الصدر، أما الطرف الثالث فيسدل على الظهر [4]، ومنها المحنك وهو وهو مربع الشكل، يوضع على الرأس كالقلنسوة، ثم يسدل فتغطَّى به الوجنتان، ثم يدار طرفاه تحت الحنك أو الذقن، ثم ينسدلان على الكتفين، وقد شاع ارتداء هذا النوع في صلوات الجمعة وفي الأعياد والإحتفالات [5].

ـ **الغفارة**: اختلف المؤرخون في تعريف الغفارة، فقال بعضهم أنها خرقة تغطي بها المرأة رأسها، لتقي بذلك خمارها من الدهن الذي تضعه على شعرها [6]، وقيل أنها حلقة من حلقات الدرع، قدر الرأس، يضعها الفارس تحت القلنسوة [7]. أما عند الأندلسيين، فإن الغفارة كانت بمثابة منديل يطرح على الرأس تحت العمامة [8]، كما يمكن أن تعني الطاقية أو الكلوتة التي يختص الرجال بلبسها [9]، وهذه الكلمة أي كلوتة نجدها عند المراكشي بصيغة الجمع، إذ يشير إلى أن السلطان الموحدي أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (554-595هـ / 1160-1199م) [10] منع اليهود من لبس العمائم، وفرض عليهم مقابل ذلك لبس كلوتات طويلة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم، فبدوا في أشنع صورة [11]، مما يدل على أن هذا النوع من الكلوتات أو الغفائر كان مذموما.

---

[1]ـ العمري ابن فضل الله (ت 749هـ/ 1349م) ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2002م ـ ج4 ص 231.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 223.

[3]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 8 ص407.

[4]ـ سحر سالم ـ المرجع السابق ص 172.

[5]ـ المرجع نفسه ـ نفس الصفحة.

[6]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 5 ص 26.

[7]ـ نفس المصدر ـ ونفس الصفحة.

[8]ـ سحر سالم ـ المرجع السابق ـ ص 170.

[9]ـ دوزي ـ المعجم المفصل ـ **مجلة اللسان العربي** ـ مج 10 ج 3 ـ ص 162.

[10]ـ السلطان الثالث من سلاطين الموحدين، ومن أعظمهم آثارا. ينظر: ابن خلكان ـ المصدر السابق ـ ج7 ص 3.

[11]ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 223.

ويرجح حسين مؤنس أن تكون الغفارة نوعا من أنواع الكوفيات [1]، إلا أنه يتضح، من خلال شرح دوزي لكلمة كوفية في معجمه، بأن الغفارة نوع من أنواع الطيلسان [2].

وكان الأندلسيون يقبلون على لبس غفائر من صوف، ذات لون أحمر أو أخضر، توضع على الرأس، وتسدل على الكتفين، أما الغفارة الصفراء فقد خص بها اليهود، حسب ما ذهب إليه المقري [3]، إلا أنه يعود بعد ذلك ليقول بأن الغفائر الصفر كانت زيا يتميز به الفقهاء [4]، عند عند حديثه عن الملاسنة التي وقعت بين ابن قزمان الزجال [5] والشاعرة نزهون القلاعية [6]، أي في أي في حدود نهاية النصف الأول من القرن السادس الهجري (12م)، عندما كانت الأندلس خاضعة لسلطة الموحدين. والراجح أن اليهود ألزموا بلبس الغفائر الصفر من طرف السلطة المرابطية، ولكن بعد سقوط دولتهم وقيام الدولة الموحدية، تغيرت الأمور، وأصبحت الغفارة الصفراء، كما سبق ذكره، زيا يتميز به الفقها في الأندلس، ويمكن اعتبار النص الوارد في كتاب المعجب للمراكشي، والذي سبق أن أشرنا إليه، دليل على ما ذهبنا إليه.

مما سبق، يمكننا القول بأن الغفارة تشبه القلنسوة، من حيث الشكل، إلا أن الغفارة تنسدل إلى الوراء فتغطي القفا وتصل إلى أعلى الكتفين، وتنسدل على الجانبين حتى تغطيان الأذنين، ولهذا يرجح أن يقتصر لبس الأندلسيين للغفائر على فصل الشتاء، نظرا لشكلها والمادة المصنوعة منها.

- **الأقروف أو الأخروف**: جمعه أقاريف أو مقاريف، وهو من ألبسة الرأس، واختُلف في شكله، فهناك من يرى بأنه مخروطي [7]، ورأى آخرون بأنه أسطواني [8]، يصنع من الوشي، وقد وقد عرف الأقروف في الأندلس خلال الفترة قيد الدراسة، إذ لبسه القاضي سعيد بن سليمان

[1]ـ مؤنس حسين ـ تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة)ـ دار الشروق ـ عمان ـالأردن ـط1 ـ1997 ـ ص 73.

[2]ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص 191.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 223.

[4]ـ المصدر نفسه ـ ج4 ص 296.

[5]ـ هو محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى، أبو بكر بن قزمان، إمام الزجالين بالأندلس، توفي سنة 554هـ/ 1159م. ينظر: ينظر: الصفدي ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 211.

[6]ـ نزهون بنت القلاعي شاعرة أديبة أندلسية، من أهل غرناطة، توفيت سنة 550هـ/ 1155م. ينظر: ابن الأبار ـ تحفة القادم ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1986م ـ ص 236.

[7]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 48 ـ الهامش رقم 4.

[8]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ص 162.

الغافقي [1]، الذي عاش في القرن الثالث الهجري(9م)، كما أن بعض فرق الجند الأموي، وبخاصة على عهد الخليفة الحكم المستنصر، تلبس الأقاريف في الإستعراضات العسكرية، أو عند استقبال شخصيات سياسية هامة [2]، ولبسه أيضا سليمان المستعين بالله [3]، حين دخل على ابن ابن عمه محمد بن هشام المهدي [4]، يهنئه بالخلافة [5].

من ذلك، يمكن القول بأن الأندلسيين كانوا يلبسون الأقروف في المناسبات السعيدة، أو عند استقبال الشخصيات الهامة.

كما وردت كلمة أقروف في كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" المشهور برحلة ابن بطوطة [6]، مرتين، مما لا يدع مجالا للشك بأن هذا اللباس كان معروفا في المغرب الأقصى في هذه الفترة، أي أواخر القرن الثامن الهجري (14م)، مما يدفعنا إلى القول بأنه ظل مستعملا في الأندلس إلى غاية هذا العهد، نظرا للتواصل بين العدوتين، والعلاقات المتينة التي كانت تربطهما حينذاك، والتي كان ينتج عنها تأثير متبادل بينهما.

وإلى جانب ما سبق ذكره، وضع الأندلسيون، رجالا ونساء، على رؤوسهم القناع أو المقنعة، وهي قطعة قماش مصنوعة من الحرير [7]، وكذا الطرحة، وهي غطاء للرأس، تكون رقيقة رقيقة ومصنوعة من الكتان أو الحرير، ينسدل قليلا إلى الخلف، ويمكن التمييز بين طرحة الرجال وطرحة النساء، بكون هذه الأخيرة أطول من الأولى [8].

❖ كسوة البدن:

ـ القميص، وهو من الألبسة التي عرفتها الإنسانية منذ زمن بعيد، فقد جاء ذكره في كتاب الله عز

---

[1]ـ هو أبو خالد سعيد بن سليمان بن حبيب، تولى قضاء الجماعة بقرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأبقاه الأمير محمد بن عبد الرحمن في منصبه، وتوفي سنة 240هـ/ 854م. ينظر: الخشني ـ قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ـ ص 92 ـ رقم 36.

[2]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 48.

[3]ـ هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، أحد أطراف الفتنة البربرية أو القرطبية، التي قضت على الخلافة الأموية، قتل على يد علي بن حمود سنة 407هـ/ 1016م. ينظر: الضبي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص46- 48.

[4]ـ هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، الملقب بالمهدي، قام بثورة في قرطبة سنة 399هـ/ 1008م، وقضى على الدولة العامرية، وتسمى بالخلافة، قتل من طرف الصقالبة سنة 400هـ/ 1009م. ينظر: المصدر نفسه ـ ج1 ص 44-45.

[5]ـ ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج2 ص 10.

[6]ـ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت 779هـ/ 1377م) ـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) رحلة ابن بطوطة ـ أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط ـ 1417هـ/ 1996م ـ ج2 ص 225 وج3 ص 158.

[7]- Lagardère Vincent - op. cit - p108 - 109.

[8]- Dozy, noms des vêtements chez les arabes, pp 257-262

وجل، وتحديدا في سورة يوسف ست مرات، [1]كما أُثر عن النبي ﷺ لبسه القميص [2].

أما في الأندلس فقد كان القميص من الألبسة الداخلية التي لا يستغني عنها أي أندلسي، إذ تشير بعض المصادر إلى أن صاعد بن الحسن اللغوي [3]، الذي وفد على الحاجب المنصور بن أبي عامر، اتخذ يوما قميصا من رقاع الخرائط التي كان المنصور يمنحها إياه، ولبسه تحت ثيابه، ولما خلا المجلس تجرد من ثيابه وبقي في القميص المذكور [4].

من خلال هذه القصة، يستفاد أن الأندلسيين كانوا يلبسون القميص تحت الثياب، ملامسا للجلد، ثم يلبسون باقي الثياب فوقه، والراجح أن القميص كان يُلبس لستر الجزء العلوي من الجسم.

ـ السراويل، مفردها سروال، وهي فارسية أصلها (شلوار) [5]، لباس فضفاض يغطي الجزء السفلي من الجسم، أي من فوق السرة إلى القدمين، ويشد فوق الوركين بحزام [6]، ويستفاد ويستفاد من بعض الإشارات في المصادر الأندلسية، إلى أن هذا اللباس كان واسع الإنتشار في الأندلس، إذ يذكر ابن عذاري، على سبيل المثال، أن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، كُسي، بعد أن قتل وأرادوا صلبه، قميصا وسراويل [7]، مما يبعث على التخمين على أن القميص القميص كان يستر الجزء العلوي من الجسم، والسروال الجزء السفلي منه.

كما يستفاد من الإشارات في المصادر، أن لبس السراويل لم يقتصر على الذكور، بل كانت هناك سراويل خاصة بالنساء [8].

ـ الإزار: هو قطعة من قماش تُلف حول الجزء السفلي من الجسم، "من المحزم إلى نصف

---

[1]ـ سورة يوسف ـ الآيات 18 و25 و26 و27 و28 و93.

[2]ـ أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت 1044هـ/ 1634م) ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروف ب" السيرة الحلبية" ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1427هـ/ 2006م ـ ج2 ص 221.

[3]ـ هو صاعد بن الحسن بن عيسى، البغدادي تربة، والطبري أصلا، والربعي نسبا، ورد على الأندلس في حدود سنة 380هـ/ 990م، كان عالماً باللغة والآداب والأخبار. ينظر: الضبي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 413 وما بعدها.

[4]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج4 ص 22 // عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 76.

[5]ـ دوزي ـ المعجم المفصل ـ مجلة اللسان العربي ـ مج 9 ج 2 ص 53.

[6]ـ سحر سالم ـ المرجع السابق ـ ص 259.

[7]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 73.

[8]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 667.

الساق" [1]، كان الأندلسيون يلجؤون إلى ارتدائه في حالة عدم قدرتهم على ارتداء السراويل، أو في الصيف عندما ترتفع درجة الحرارة [2].

ـ الجبة: هي ثوب طويل فضفاض، يغطي الجسم كله، من على الكتفين إلى القدمين، يكون واسع الكمين، بحيث يمكن إدخال كتاب في أحدهما [3]، مشقوقا من الأمام، تُلبس فوق الثياب [4]، ويطلق عليها أيضا اسم الدراعة [5]، ويكون مصنوعا من الصوف أو القطن، مما يدفع يدفع إلى الإعتقاد بأنها كانت تلبس في فصلي الخريف والشتاء.

وتلبس الجبة عادة فوق القميص، أما إذا لبست تحته، فذلك نذير شؤم في اعتقاد الأندلسيين، لذلك كان من أمثالهم المتداولة قولهم: " النحس النحيس، الجبة تحت القميص" [6].

إضافة إلى ارتدائهم الملحفة، وهي ملاءة مبطنة، تلبس فوق سائر اللباس، يلفها الرجل حول سائر جسده اتقاء للبرد القارس [7]، وتشير المصادر الأندلسية، إلى أن ارتداءها في الأندلس الأندلس يعود إلى القرن الثاني الهجري (8م)، إذ يروي ابن عذاري أن أحد الثوار، الخارجين على عبد الرحمن الداخل، خرج من الجزيرة الخضراء [8] (Algeciras)، في ملحفة مصبغة، فارا نحو نحو العدوة المغربية [9]، كما كان من بين الهدية التي بعث بها الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر أربعون ملحفة زهرية للكسوة، ومائة ملحفة زهرية للرقاد [10]، مما يعني أن هذا النوع من اللباس كان معروفا ومحبذا من طرف الأندلسيين، وبخاصة ذوي المناصب الرفيعة.

وإلى جانب كل ذلك، كان لسكان الأندلس، خلال الفترة قيد الدراسة، ألبسة خاصة بالمواسم، ففي الخريف، اعتادوا على لبس المحاشي، وهي "ثياب مصمتة وما شاكلها من خفائف

---

[1]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 1 ص 120.

[2]ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ـ ج 1 ص 36.

[3]ـ الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ ص 366.

[4]ـ سعدي أبو حبيب ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط2 ـ1408هـ/ 1988م ـ ص 57.

[5]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 8 ص 82 ـ مادة درع.

[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 48 ـ رقم 189.

[7]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 9 ص 314 ـ مادة لحف.

[8]ـ الجزيرة الخضراء أو جزيرة أم حكيم نسبة إلى جارية طارق بن زياد، تقع في أقصى جنوب الأندلس. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 223– 224.

[9]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 56.

[10]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 358.

الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة" [1]، وعند حلول الشتاء، واشتداد البرد، فإنهم ينتقلون إلى الأفرية والألبسة الصوفية [2]، وفي الأيام المطيرة يلجؤون إلى ارتداء ممطر خز، وقنازع وقنازع مُعدة خصيصا لتقيهم من البلل [3]، وفي فصل الربيع كانوا يفضلون ارتداء جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التي لا بطائن لها [4]، ويشرعون في لبس الثياب الخفيفة البيضاء، ابتداء ابتداء من يوم العنصرة الكائن في اليوم الرابع والعشرين من شهر أكتوبر، الذي يمثل بالنسبة لهم بداية الصيف [5].

❖ ألبسة الرِّجْلين:

اهتم الأندلسيون بلباس الأطراف السفلية، بنفس درجة اهتمامهم بلباس الأطراف الأخرى، إذ كانوا، زمن البرد، يكسون سيقانهم، إلى مستوى الركبتين، وأقدامهم بجوارب طويلة صوفية ذات ألوان زاهية [6]، وينتعلون خفافا سوداء ذات مقدمة معقوفة ومدببة [7]، أو نعالا من من الحلفاء تعرف بالأقراق (مفردها قرق أو أُقرق)، قاعدتها غليظة [8]، ويرى دوزي بأن الأقراق، كلمة غير عربية، وتعني خفافا قاعدتها من مادة الفلين [9]، وأخرى تسمى قباقب، تتشكل من قاعدة خشبية مزودة من الأعلى بأشرطة من جلد المواشي أو الأرانب [10].

إضافة إلى انتعالهم الخفاف، التي يبدو أنها كانت خاصة برجال الطبقة الخاصة، وعلى رأسهم الحكام الأمويين، منهم على سبيل المثال الخليفة عبد الرحمن الناصر [11]، أما بالنسبة

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 128.

[2]ـ عريب بن سعيد (ت 369هـ/ 979م) ـ تقويم قرطبة ـ نشره رينهارت دوزي ـ مطبعة ليد ـ 1873م ـ ص 100 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 128.

[3]ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ـ ج1 ص 127.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 128.

[5]ـ نفسه ـ الجزء والصفحة نفسهما.

[6]ـ ثريا محمود عبد الحسن ـ " أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92 إلى 625هـ/ 711- 1228م " ـ **مجلة الآداب** ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ العدد 102 ـ مج 02 ـ السنة 2012 ـ ص 199.

[7]ـ السيد عبد العزيز سالم ـ " صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج "ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 19 ـ 1976-1978ـ ص 66 .

[8] - Ibid, p 63.

[9]ـ دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج8 ص 242.

[10]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 6 ص 129// دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 8 ص 244.

[11]ـ ابن سماك العاملي ـ المصدر السابق ـ ص 18.

للخفاف الصرارة، فيبدو أنها كانت في متناول العامة، إذ أن القاضي ابن بشير المعافري [1]، الذي الذي شُهِر بالزهد، كان يلبس حذاء صرارا [2].

ومما تجدر الإشارة إليه خلال الفترة قيد الدراسة، أن أتباع الديانتين المسيحية واليهودية قلدوا المسلمين في طريقة خياطة الملابس واختيار ألوانها [3]، حتى بات من الصعب التمييز بينهم بينهم وبين المسلمين في قرطبة [4]، كما قلدوهم في ارتداء فراء القنلية [5].

ولم يبق هذا التأثير حبيس الأندلس، بل تعداه إلى قشتالة، التي كان ملكها هنري الرابع(Henry VI) [6] (حكم بين 858- 879هـ/ 1454 إلى 1474م) يلبس الثياب العربية [7]، وما وما وجود عدد كبير من الكلمات ذات الأصول العربية، الدالة على الألبسة والأقمشة في اللغة الإسبانية إلا دليل على هذا التأثير [8]، الذي عبر عنه ألبارو القرطبي، متحدثا باسم المسيحيين، إذ إذ يقول: "... نحن نلبس مثلهم(يعني المسلمين)، وخاصة الحرير، ونتعطر ونظهر ثراءنا، من خلال مجوهراتنا وملابسنا..." [9].

ب) لباس النساء:

كان للنساء ثيابهن الخاصة بهن، والتي تميزهن عن الرجال، واستعملن في نفس الوقت أثوابا، اشتركن فيها مع الرجال، وأهم ثياب نساء الأندلس في الفترة قيد الدراسة:

❖ كسوة الرأس:

ـ الطرحة: قطعة رقيقة من القماش المصنوع من الحرير أو الكتان، تضعها المرأة على رأسها، تنسدل قليلا إلى الخلف، وتكون أطول بقليل من طرحة الرجل [10].

---

[1]ـ هو محمد بن سعيد بن بشير ابن شراحيل، المعافري، من أشهر قضاة الأندلس، استقضاه الحكم بن هشام ، توفي سنة 198هـ/ 198هـ/ 813م. ينظر: ابن الأبار ـ التكملة لكتاب الصلة ـ ج 1 ص 284- 285 رقم 974.

[2]ـ الخشني ـ قضاة قرطبة ـ ص 52.

[3]- Simonet- op..cit –p 128

[4] - ibid - 369.

[5]- المقري- المصدر السابق- ج1 ص198.

[6]- هنري أو انريك الرابع ملك قشتالة وليون، وريث يوحنا الثاني، ملك ضعيف، قضى معظم فترة حكمه في الصراع مع أخته إيزابيلا الأولى التي افتكته منه -.Le petit Larousse – op cit – p1468

[7]- رامون مننداث بيدال- " إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ـ تعريب لطفي عبد البديع "- **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**- مدريد العدد الأول- السنة الأولى 1372هـ/ 1953م- ص20.

[8] –Isidro de las Cagigas – op cit – t1 p 270.

[9] –Simonet – op cit – p 369.

[10]ـ سبقت الإشارة إليها في صفحة 19.

ـ الخمار: هو ما تغطي به المرأة رأسها [1]، وهو من الألبسة التي أمر الله عز وجل نساء المؤمنين، إذ جاء في محكم تنزيله "وَقُل لِّلْمُؤمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنَ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ" [2]، مما يدل على أن الخمار الخمار دخل الأندلس مع الفاتحين المسلمين، وظل مستعملا إلى غاية سقوط مملكة غرناطة واستسلامها سنة 897هـ/ 1492م، وقد جاء ذكره في أقوال عدد من شعراء الأندلس، منها ما جاء على لسان أبي بكر الداني المعروف بابن اللبانة، إذ يقول:

حَسُنَتْ أَمامِي في خِمارٍ مثْلَ ما حَسُنَ الكَمِيُّ أَمامهُ في مِغْفَرِ [3]

ـ الوقاية: وهي عبارة عن شريط، تشد به المرأة شعرها، يمتد من أعلى مقدمة الرأس إلى خلف الأذنين [4]، ويقول عنها دوزي بأنها تشبه الطاقية [5]، ويبدو من خلال تعريفها، أن المرأة المرأة تضعها عندما تكون في بيتها، وإذا خرجت تضع فوقها منديلا أو شيئا آخر.

ـ القِناع أو المِقْنعة: وهو مَا تتقنَّع بِهِ الْمَرْأَة من ثوبٍ يغطِّي محاسنَها ورأسَها [6]، وهي عبارة عن قطعة من الحرير أحيانا، توضع على الرأس،فوق الغفارة [7] وتشد على مستوى الجبهة الجبهة بعصَّابة [8]، وفي هذا المعنى يقول سعيد بن العاص [9]:

بِالعيسِ مُقَنَّعَةِ الرؤوسِ قد انْطَوتْ فَوُفُودُها في كلِّ خَرقٍ هُيَّمُ [10]

وكان لفظ القناع يدل أحيانا على النقاب، كما ورد في بعض أمثال الأندلسيين، منها المثل

[1]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 257.

[2] ـ سورة النور ـ الآية 31.

[3]ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 213.

[4]- Rachel Arié - op. cit - p 65.

[5]ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ ص 206.

[6]ـ الهروي أبو منصور الأزهري (ت 370هـ/ 980م) ـ تهذيب اللغة ـ تحقيق محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث العربي – – بيروت ـ ط1 ـ 2001م ـ ج1 ص173.

[7]ـ أبو بكر بن دريد الأزدي (ت 321هـ/ 933م) ـ جمهرة اللغة ـ تحقيق رمزي منير بعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط1 ـ 1987 ـ ج2 ص 779.

[8]ـ دوزي ـ المعجم المفصل ـ ص185.

[9]ـ سعيد بن محمد بن العاصي المرواني، كنيته أبو عثمان، يلقب بالبلينة (Baleine)، أدرك العامريين ومدح المنصور بن أبي عامر. ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/ 1037م) ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ تحقيق مفيد محمد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ/ 1983م ـ ج2 ص 62 رقم 57.

[10]ـ الكتاني ـ كتاب التشبيهات ـ 169.

القائل:" يِيدْمَا تَتْقَنَّعْ الْحَوْلَة يَفْتَرَقْ سُوقْ الْغَزَلْ " [1]، أي في الوقت الذي تضع فيه الحولة قناعها قناعها على وجهها (أي نقابها) وتخرج، ينفض سوق الغزل، الذي تريد التوجه إليه.

ـ النقاب: هو قطعة من قماش كانت تضعه المرأة على وجهها، بحيث يمكنها أن ترى أمامها، من خلال فتحاته، ويتعذر على الآخرين رؤية وجهها، أو تحديد بعض قسماته، إذ تذكر المصادر أن محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر الأموي [2]، انتزى على كرسي الخلافة الخلافة مدة سبعة عشر شهرا(من ذي القعدة 414 إلى ربيع الأول 416هـ/ يناير1024 إلى مايو 1025م)، إبان الفتنة القرطبية أو البربرية، وتلقب بالمستكفي، ثم خرج هاربا من قرطبة "وقد لَبِس لَبْس الغانيات متنقبا بين امرأتين لم يميز منهما لمرانته على التخنيث" [3]، مما يوضح بأن النقاب كان منتشر الإستعمال بين نساء الأندلس، فلبسته الغانياتُ، ناهيك عن العفيفات.

وتغنى بالنقاب عدد من شعراء الأندلس، منهم الشاعر القاضي أحمد بن حمدين [4]، الذي الذي أنشد:

فَقلتُ لها حِلِّي النِّقابَ تَفَضُّلاً   فَعمَّا قَليلٍ ضَوءُ صُبْحُكِ يَطْلَعُ [5]

وجمع الوزير أبو بكر بن عمار [6] بين النقاب والخمار في بيت واحد، إذ قال:

أَم مَّنْ طَوَى الصبحَ المنيرَ نِقَابُه   وأحاطَ باللّيْل البَهيم خمارُه [7].

ـ الغفارة: وهي قطعة من القماش تغطي بها المرأة رأسها، لتقي بها خمارها من الدهن الذي تضعه على شعرها [8].

❖ كسوة البدن:

---

[1]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 128 رقم 564.

[2]ـ من ملوك الأمويين بالأندلس. ثار بطائفة من الغوغاء على سلفه المستظهر بالله، ثم فرمن قرطبة، وتوفي مقتولا أو مسموما بقرية أقليش. ينظر: ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج1 ص 335-338// ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 140-143.

[3]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 338 // ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 142.

[4] ـ أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي، المعروف بابن حمدين (توفي 548 هـ / 1153م)، قاضي القضاة بقرطبة، من أمراء الأندلس أيام ملوك الطوائف. ينظر: الذهبي ـ المصدر السابق ـ ج15 ص 66-67 رقم 4959.

[5]ـ عماد الدين الأصبهاني ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 297.

[6]ـ أبو بكر محمد بن عمار، المهري الأندلسي الشلبي الشاعر، ذو الوزارتين، أحسن إليه المعتضد بن عباد، ثم استوزره ابنه المعتمد المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، إلا أنه هجاهما، فحنق عليه المعتمد إلى أن قبض عليه، وقتله سنة 477هـ/ 1084م. ينظر: ابن خلكان ـ المصدر السابق ـ ج 4ص 425- 429.

[7]ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 171.

[8]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 5 ص 26.

ـ القميص: وهو ثوب من حرير أو غيره من الأقمشة الفاخرة، يغطي جسم المرأة، من الترقوتين إلى القدمين، ويكون في بعض الأحيان شفافا، تظهر مفاتن المرأة من خلاله [1]، من ذلك يمكننا القول أن النساء كن يرتدين القميص وحده وقت النوم، عندما يختلين بأزواجهن، أما الجواري والبغايا، فكن يرتدينه عندما يردن إثارة شهوة الرجال [2]، وفي هذا المعنى يقول الشاعر الغزال في جارية له اسمها لعوب:

لَمْ أَنْسَ إِذْ بَرَزَتْ إِلَيَّ لَعُوبُ طَرَباً وَحَيْثُ قَمِيصُهَا مَقْلُوبُ [3]

ـ السراويل: من الألبسة التي اشترك فيها الرجال والنساء، وهؤلاء الأخيرات كن يلبسن سراويل، مصنوعة من الدمقس أو السندس [4]، عندما يرغبن في الخروج من المنزل، وكان السروال يعد من أهم ملابس المرأة الأندلسية، إذ كانت الزوجة تطالب مُطلِّقها بأن يكسوها سراويلات وكسوة أخرى غيرها [5].

ـ الإزار [6]: هو الآخر من الملابس التي تشترك فيها المرأة مع الرجل، ويبدو أنها كانت تلبسه فوق الجلد مباشرة، وفي ذلك يقول السميسر:

بَيْن الأَزِرَّةِ والمآزِرْ حُسنٌ تَحِنُّ لَه الأكابِرْ [7]

ـ الجباب: اشتركت نساء الأندلس مع رجالها في ارتداء الجباب، إلا أن جبة المرأة كانت فضفاضة من الحرير الرمادي أو الوردي، ذات عنق وأكمام ضيقة مضفورة ومطرزة بالذهب والحرير [8]، ومسبلة، أي تنسدل إلى أن تلامس القدمين، حتى لا تَظهر مفاتنُ لابستها، وكانت جباب الموسرات منهن تُزيَّن بخيوط الذهب، أما المقلات فكن يرتدين جبابا من الجوخ، أي من نسيج غليظ من الصوف [9].

---

[1]ـ البكري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 376// المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 233.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 233.

[3]ـ ابن دحية الكلبي ـ المصدر السابق ـ ص 149.

[4]ـ الأصبهاني ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 297.

[5]ـ ابن باق، علي بن محمد، أبو الحسن (ت 763هـ/ 1362م) ـ زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض ـ دراسة وتحقيق رشيد الحور ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (CSIC) ـ مدريد ـ 2003 ـ ص 126.

[6]ـ سبق الحديث عنه عند استعراضنا لكسوة البدن عند الرجال. تنظر ص 145.

[7]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 680.

[8]ـ دوزي ـ" المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب" ـ **مجلة اللسان العربي** ـ مج9 ج2 ـ ص 20. Rachel Arie - op. cit - p 65

[9]ـ أحمد مختار عبد الحميد ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ عالم الكتب ـ ط 1 ـ1429 هـ - 2008 م ـ ج1 ص417.

ـ المحشو: جمعه محاشي، وهي ثياب ذات حشو وبطائن، يلجأ إليها الأندلسيون رجالا ونساء عند قرس البرد [1]، ومن غير المستبعد أن تكون هذه الثياب مبطنة بالقطن أو بالصوف، حتى تسمح بمقاومة انخفاض درجة الحرارة، ولم يكن في وسع المرأة في الأندلس الإستغناء عن هذا النوع من اللباس، لذلك كان، إلى جانب الفراء، من بين ما يجب أن يوفره المطَلّق لمطَلَّقته [2]. لمطَلَّقته [2].

ـ الملحفة أو اللحاف: هي عبارة عن إزار كبير مصنوع من نسيج قطني، تتحجب به النساء حين خروجهن من المنزل ويدعى أيضا الحيك [3]، تلفه المرأة حول نفسها، بحيث لا يظهر من جسمها إلا عين واحدة كي تستطيع أن ترى موطئ قدمها، ولعل تمثال المرأة المحجبة في مدينة "البشير" المسماة حاليا بخير دي لافرونتيرا (Vejer de la frontera)، والذي لا يزال قائما إلى حد الآن، لخير معبر عن طبيعة وشكل اللحاف الذي كانت ترتديه نساء الأندلس.

إضافة إلى صورة أخرى منحوتة في صخرة، في المدينة الإسبانية المذكورة، تظهر فيها امرأة ملتحفة ومتنقبة، بنفس طريقة المرأة التمثال، وكُتبت حول رأسها أبيات شعرية باللغة الإسبانية.

كما قام رسام إسباني يدعى فرانسيسكو بييرتو سانتوس (Francisco Pierto Santos) برسم لوحة تمثل خمس نساء متحجبات بنفس الطريقة المذكورة أعلاه، واللوحة محفوظة بمتحف مدينة بخير دي لافرونتيرا [4].

ويبدو أن الملحفة كانت من الأشياء التي تعتز بها النسوة الأندلسيات، إذ أنها كانت تقدم كهدايا للتعبير عن التقدير والإحترام.

وزيادة على ذلك لبست النسوة في الأندلس، وخاصة الجواري، البرانس أثناء خروجهن للنزهة [5].

❖ لباس القدمين: لم يختلف لباس القدمين عند النساء كثيرا عن مثيله عند الرجال، إذ تشير المصادر إلى أن النساء لبسن الخفاف الصرارة أثناء خروجهن من بيوتهن، وقد شدد الفقهاء في نهيهن عن ذلك، وكانت نساء الأسر الموسرة تتغالى في النعال التي كن يقتنينها، فزوجة

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 128.

[2]ـ ابن باق ـ المصدر السابق ـ ص 126.

[3]ـ دوزي ـ المرجع السابق ـ مج 10 ج 3 ص 195// دوزي ـ تكملة المعاجم العربية ـ ج 9 ص 217.

[4]ـ ينظر الملحق رقم 8.

[5]– نفس المصدر ـ ج 1 ص 591.

الفقيه يحيى بن يحيى الليثي كانت تمتلك نعلا مفصصا بالدر والياقوت [1]، ومما لا شك فيه أن المرأة استعملت أنواعا أخرى من النعال سواء في بيتها أو عند ذهابها إلى بعض الأماكن كالحمام، إلا أن المصادر تسكت عنها، إضافة إلى ارتدائهن للجوارب، وبخاصة في الشتاء [2].

مما سبق يتبين لنا اهتمام الأندلسيين بثيابهم، فاعتنوا بتنظيفها وتنويعها، إذ خصصوا لكل موسم الملابس التي تليق له، ولذلك أولوا للصناعة النسيجية عناية فائقة، فأكثروا من ورشات الصناعة النسيجية، وصنعوا أنسجة مختلفة وجيدة اكتسبت شهرة في الأمصار الإسلامية وغير الإسلامية آنذاك.

2 ـ الغذاء:

أولى الأندلسيون أهمية بالغة لغذائهم، فطَوَّروه ونوَّعوه حتى أنهم ألَّفوا فيه مؤلفات، اطلعنا على اثنين منها، هما: " أنواع الصيدلة في ألوان الأطعمة " لمؤلف مجهول، ووسمه المؤرخ الإسباني أمبروزيو أويثي ميراندا ب " الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين " [3]، وكتاب " فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان "، لابن رزين التجيبي.

وقد اشتهر أهل الأندلس ببعض السلوكات الغذائية، منها أن عيشهم كان يعتمد بدرجة كبيرة على الزيت والذرة العربية [4]، فهذه الأخيرة اعتبرت الغذاء الرئيس لغالبية أهل الأندلس الممثلين في الضعفاء وسكان البوادي والفلاحين الصغار [5]، الذين كانوا يخزنونها في بيوتهم، لذا لذا عرفت في الأندلس، إلى جانب البقول، ب"القطاني" لأنها تقطن البيوت وتدوم فيها مدة طويلة [6]، إضافة إلى الشعير والقمح اللذين كانا يُعرفان بالطعام العام [7]، أي أن استهلاكهما كان

---

[1]– القاضي عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/ 1149م) ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ـ ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ ط1 ـ 1418هـ/ 1998م ـ ج 1 ص377.

[2]ـ ابن باق ـ المصدر السابق ـ ص 128.

[3]ـ مجهول ـ" كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين " ـ تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا ـ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 9 و10 ـ مدريد ـ 1961– 1962 ـ صص 15 – 256.

[4]ـ ابن خلدون ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 111 و112.

[5] ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 1 ص 38.

[6]ـ رجب عبد الجواد ـ" ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دراسة في نفح الطيب للمقري "، في **مجلة علوم اللغة**، مج 1، العدد 3، 1998، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص 165.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 125.

كان عاما بين مختلف طبقات المجتمع الأندلسي، إذ أن الخبز المحضر في البيت من القمح أو الشعير، والمطهو في الأفران العمومية أو الخاصة، كان يستهلك يوميا [1].

قام الأندلسيون أيضا بتجفيف الفواكه مثل التين والمشمش والبرقوق، وتحويل العنب إلى زبيب، وادخروها لوقت الحاجة، فقد خصص ابن العوام الإشبيلي [2]، الباب السادس عشر من كتابه الموسوم ب" الفلاحة " [3]، لكيفية تجفيف وتخزين الفواكه المختلفة، وكذا تخزين الحبوب والبقول والزيوت [4]، ويورد فيه طرُقا وكيفيات متعددة لحفظ كل منتوج زراعي، مما يدل على أن أن سكان الأندلس تحكموا في طرق تخزين مؤنهم الغذائية، إلا أنه، وفي نفس الوقت، لم يكن لهم وسائل لحفظ الطعام المطبوخ أو تجميده.

ومن خلال تصفحنا لكتابي الأغذية، سابقي الذكر، اتضح لنا أن طبيعة الغذاء اختلفت في الأندلس تبعا لاختلاف المستوى المعيشي، فأسر الطبقة الميسورة كانت تعتمد في طعامها على اللحوم بدرجة كبيرة، سواء الحمراء (لحوم الأغنام والأبقار) أو البيضاء (لحوم الدجاج وطيور أخرى) أو لحوم الأرانب، إذ كان اللحم يدخل في عدد كبير من وصفات الأطعمة، وبخاصة في فصل الشتاء [5]، وكانت تشرف على تحضير هذه الوصفات، جواري سودانيات طبّاخات محسنات، يصل سعر الواحدة منهنّ مائة مثقال أو أكثر، تحسن عمل الأطعمة الطيّبة [6]، في الوقت الذي حرمت منه أسر الطبقة المعوزة، التي لم يكن يتسنى لها استهلاكه إلا في المناسبات، مثل عيد الأضحى أو عاشوراء أو النيروز [7].

فقد كانت أسر الطبقة المحتاجة تكتفي، في الغالب، باستهلاك الخبز المصنوع من القمح

---

[1] - Duffourcq - op. cit - p 104- 105.

[2]ـ يحيى بن محمد بن أحمد، الشهير بابن العوام الإشبيلي، أبو زكريا: عالم أندلسي، اشتهر بكتابه " الفلاحة الأندلسية". ينظر: خير الدين الزركلي ـ الأعلام ـ دار العلم للملايين ـ ط 15 ـ مايو 2002 ـ ج 8 ص 165.

[3]ـ ابن العوام الإشبيلي، أبو زكريا يحيى (توفي نحو 580هـ/ 1185م) ـ كتاب الفلاحة ـ ترجمه إلى القطلانية وحققه جوزيف أنطونيو بانكيري ـ المطبعة الملكية ـ مدريد ـ 1802 .

[4]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 660 – 689.

[5] - Arié, Rachel - " Remarques sur l'alimentation des musulmans d'Espagne au cours du bas moyen âge "- **Cuadernos de Estudios Médiévales y Ciencias y Técnicas Historiográficas** - Universidad de Grenada - II-III - (1974-75) - p 304

[6]ـ البكري ـ المساك والممالك ـ ج 2 ص 345.

[7] - Arié, Rachel - op. cit - p 304.

الصلب أو الشعير [1]، وبحساء من دقيق وكسور باردة [2]، بل اضطر بعضها إلى التقاط الحمص المطبوخ الذي كان يُرمى من مطابخ قصور الحكام الأمويين [3]، وكانت تزداد المعاناة الغذائية لهذه لهذه الأسر، خاصة في شهر رمضان، فيلجؤون إلى تسول الطعام من دور الأسر الميسورة [4].

ومع حلول شهر فبراير، يسارع فقراء الأندلس إلى استهلاك الأعشاب الطبيعية التي تجود بها الأرض، مثل سيقان الشمر (البسباس)، والقرصعنة (المعروفة في غرب الجزائر ب" القرنينة ") والفواكه البرية كالتوت والأعشاب الطبية وغيرها [5].

وعندما يحين وقت الطعام، تجتمع الأسرة، ويشرع أولا بتقديم الحساء والعصيدة، ثم أطباق اللحم أوالسمك، ثم طبق التحلية أو الفواكه [6]، ويكون رجل البيت أول من يقدم له الأكل ثم الأبناء ثم النساء والبنات [7]، مما يدل على أن الرجل، في المجتمع الأندلسي، كانت له سيطرة مطلقة على أفراد أسرته، وأن الذكور كانوا أكثر حظوة من الإناث.

ومن بين الأطعمة التي اشتهرت بها الأندلس، المجبنات، وهي نوع من " القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت الطيّب" [8]، وقد تغنى بها شعراء الأندلس [9]، حتى وردت وردت في المثل العامي القائل " من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم " [10]، وكان الأندلسيون يفضلون أكلها ساخنة خلال الفترة الصباحية، لذلك يقول المثل: "مجبنة الظهر، خَرَجْ نَارْهَا وقَلْ طُلاَّبْهَا" [11].

إضافة إلى إجادة الأندلسيين صنع عديد من أنواع الحلوى، باستعمال المكسرات والفواكه المجففة، ومن أشهرها الإسفنج بالعسل [12]، وآذان القاضي [1]، والزلابية [2].

[1] - Ibid, p 305.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ج3 ص 339.

[3] ـ مجهول ـ الطبيخ في المغرب والأندلس ـ 55.

[4] ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 254.

[5] ـ Duffourcq - op. cit - p 96.

[6] - Ibid. - p 107.

[7]- Ibid - p 106.

[8]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 184.

[9]ـ ابن الأبار ـ المقتضب من تحفة القادم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ ط3 ـ 1410هـ/ 1989م ـ ص 151 // ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 107 و261 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 461 وج 5 ص 478.

[10]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 184.

[11]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 343 رقم 1491.

[12]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 516 // عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 31.

خلاصة القول، إن الأندلسيين استطاعوا أن يطوروا وينوعوا غذاءهم بالإعتماد على مهاراتهم ووفرة المنتجات الزراعية، النباتية والحيوانية على حد سواء، كما استفادوا من المؤثرات الخارجية، المغربية والمشرقية، فتوصلوا إلى تحضير أطعمة عديدة، وردت مدونة في كتب الطبيخ.

3 ـ وسائل اللهو والتسلية:

أ) الألعــاب:

الشطرنج وهي كلمة فارسيّة، أصلها "شش رنك"، ومعناه ستة ألوان وهي قطع الشطرنج: الملك- والملكة، والفيل، والفرس، والرّخّ، والبيدق [3].

ويرى الفقهاء أن اللعب بالشطرنج مكروه، غير محرم [4]، إلا أن بعض المالكية يذهبون إلى حد تحريمه [5]، ورغم ذلك اعتبرها البعض أشرف لعبة [6].

على كل، فإن الأندلسيين، على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية، أقبلوا على لعب الشطرنج، وربما يكون مرد ذلك إلى أنه " يقوي الفكر ويجبر الخاطر ويتعلم به القتال والكر والفر والهرب والطلب فهو يقوي الرأي والعقل" [7]، وفي هذا المعنى أنشد أحد شعراء الأندلس:

هَـلُمَّ إلى تَدْبيـرِ جَـيْشَـيْـنِ جُمِعَـا ... رُخَاخٌ وَأَفْيَالٌ وَجُرْدٌ سَوَابِحُ
تَكَبَّرْنَ عَن حَمْلِ السِّلاحِ إلى الوَغَى ... فَـأَرْمَـاحُـهَا أَلْبَابُنَا وَالقَرَائِحُ [8]

فقد شغف بهذه اللعبة أمراء أمويون مثل محمد بن عبد الرحمن الأوسط وأخيه أبي أيوب سليمان [1]، بل أن الأمير محمد أبدى، بعد توليه الإمارة، شغفا كبيرا بهذه اللعبة، مما شجع على انتشارها في أوساط فتيانه الصقالبة [2].

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 138.

[2]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 211- 212 // مجهول ـ الطبيخ في المغرب والأندلس ـ ص 199.

[3]ـ القلقشندي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 158.

[4]ـ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم (ت 476هـ/ 1083م) ـ المهذب في فقة الإمام الشافعي ـ دار الكتب العلمية ـ د ت ـ ج 3 ص 438.

[5]ـ ابن رشد القرطبي، أبو الوليد ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ـ تحقيق محمد حجي وآخرون ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت - لبنان ـ ط 2 ـ 1408هـ/ 1988م ـ ج 17 ص 577- 578.

[6]ـ ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد (ت 328هـ/ 940م) ـ العقد الفريد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1404هـ/ 1984م ـ ج 3 ص 353.

[7]ـ القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت 684هـ/ 1285م) ـ الذخيرة ـ تحقيق محمد حجي ـ دار الغرب الإسلامي- بيروت ـ ط 1 ـ 1994 م ـ ج 13 ـ ص 285.

[8]ـ الأصبهاني ـ المصدر السابق ـ ص 171// ابن دحية الكلبي ـ المصدر السابق ـ ص 75.

ولم تبق هذه اللعبة حبيسة قصور الأمراء، بل انتشرت بين فئات المجتمع الأندلسي، فحذقها عدد كبير من الأندلسيين، على اختلاف مستوياتهم الإجتماعية والثقافية، وأصبح بعضهم مدمنا عليها، بحيث يستغرقون النهار كله وجزءً من الليل أمام رقعة شطرنج غير مبالين بالطعام [3]، وساهين عن التزاماتهم الدينية، مما أدى إلى ارتفاع أصوات تذم هذه اللعبة وأصحابها، وتعتبرها شؤما عليهم، من ذلك أبيات للشاعر الأندلسي الغزال، وجهها إلى ابن أخته، ينهاه فيها عن لعب الشطرنج، منها:

غَمَّنِي عِشْقُكَ لِلشَّطْـــــــرَنْجِ هذا يَابْـرَهِيمُ
عَـمَـلٌ فـي غـيـر بِـرٍّ واخْـتلافٌ ولُزومُ
لُـعْبَةُ الشـطرنجِ شُؤْمٌ فـاجْتَنِبْها ياشَؤُومُ [4]

وعبر عن هذا المعنى المثل الأندلسي القائل: "اقُلْ للنحْسْ أيْ تمشِي ؟ قال : لِشطرنجِي انْ مُوَرَّكْ " [5]، كما طالب المحتسبون الحكامَ بالتدخل لمنع الناس عن الإنشغال بلعبة الشطرنج عن أداء واجباتهم الدينية [6].

من ذلك يتبين أن لعبة الشطرنج استطاعت أن تفرض نفسها في المجتمع الأندلسي، خلال الفترة قيد الدراسة، وأن تصبح اللعبة الأكثر ممارسة من طرف الأندلسيين.

وإلى جانب الشطرنج، تواجدت بالأندلس ألعاب أخرى منها لعبة الصولجان، التي يشترك فيها مجموعة من الفرسان، يمسك كل واحد منهم بعصا، يضرب بالطرف المعقوف منها كرة [7]، وكان الحكم الربضي من الشغوفين بهذه اللعبة، فكان يلعبها في قصره المسمى الحائر مع فرسان من خواصه [8].

ويبدو أن هذه اللعبة اقتصرت على الأثرياء، لأنها تحتاج إلى شروط، من بينها المكان

---

[1]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 159.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ص 180 ـ الهامش رقم 1.

[3]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 509.

[4]ـ يحيى ين الحكم البكري الملقب بالغزال (ت 250هـ/ 864م) ـ ديوان يحيى الغزال ـ تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1413هـ/ 1993م ـ ص 73.

[5]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 22 رقم 76.

[6]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 53.

[7]ـ أبو منصور ـ المصدر السابق ـ ج 10 ص 298.

[8]ـ ابن عبد ربه ـ المصدر السابق ـ ج 5 ص 233 // مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 117.

الفسيح، وتوفر الأحصنة.

كما انتشرت في المجتمع الأندلسي ألعاب منها، على سبيل المثال الأزلام [1]، والنرد [2] والقِرْقُ [3]، وهذه الألعاب كانت تشغل الناس عن شؤونهم الدنيوية وواجباتهم الدينية، وفوق كل ذلك فقد كانوا يلعبونها على سبيل القمار، لذا طالب ابن عبدون في رسالته بأن يتدخل أولوا الأمر لمنع الناس من الإقبال عليها [4]، ومُنع الصبيان من ممارسة لعبتين كانوا يلعبونها، هما هما لعبة اللطمة ولعبة المقرع [5]، وقد بحثنا عن هاتين اللعبتين إلا أننا لم نجد لهما شرحا في المصادر المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها. ولكن يحتمل أن تكون لعبة اللطمة متمثلة في تلاطم الأطفال، أي محاولة كل منهم ضرب الآخر على وجهه، مع احتراسه من أن يُلطم، أما لعبة المقرع، فيمكن أن تكون مرتبطة بالمقرعة، وهي "خشبة في رأسها سير يضرب به البغال والحمير " [6]، فيحتمل أن تتم هذه اللعبة بعصي يتقارع بها الصبيان، ويكون كل ذلك مصحوبا بهرج وصخب شديدين، وجري في اتجاهات مختلفة، مما يؤثر سلبا على حركة المارة في الشارع.

ب) حملات الصيد:

كان لغنى الأندلس بالحيوانات البرية المختلفة، من ثدييات وطيور، دور كبير في حث الأندلسيين على القيام بحملات الصيد، بهدف اصطياد هذه الحيوانات، والترويح على النفس، والهروب من أعباء الحياة اليومية ومن ضوضاء المدينة.

---

[1]ـ الأزلام وهي الميسر، نوع من أنواع القمار. ينظر: أبو هلال الحسن العسكري (ت 395هـ/ 1005م) ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ـ تحقيق عزة حسن ـ دار طلاس ـ دمشق ـ ط 2 ـ 1996 ـ ص 430.

[2]ـ النرد لعبة تعتمد على الحظ، وهو جسم مكعب يتكون من ستة سطوح مربعات متساوية الأضلاع والزوايا، يرسم على كل سطح نقاط سوداء من واحد إلى ستة. ينظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/ 997م) ـ مفاتيح العلوم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط2 ـ 1409هـ/ 1989م ـ ص 231.

[3]ـ القرق لعبة تلعب بالحجارة فخيلها هي الحجارة، وقيل هي الأربعة عشر خط مربع في وسطه خط مربع في وسطه خط مربع ثم يخط من كل زاوية من الخط الأول إلى الخط الثالث وبين كل زاويتين خطّ فتصير أربعة وعشرين. ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت538هـ/ 1143م) ـ الفائق في غريب الحديث والأثر ـ تحقيق محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة – لبنان ـ ط2 ـ د. ت ـ ج3 ص 183.

[4]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 53.

[5]ـ المصدر نفسه ـ ص 52.

[6]ـ ابن هشام اللخمي (المتوفى 577هـ/ 1181م) ـ المدخل إلى تقويم اللسان ـ تحقيق حاتم صالح الضامن ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1424هـ/ 2003م ـ ص 244.

وقد أبدى الحكام الأمويون ولعا كبيرا بالصيد، ومن بينهم عبد الرحمن الداخل وعبد الرحمن بن الحكم، اللذان كانا يخرجان في حملات، في فصل الشتاء، لصيد طائر الغرنوق [1]، ولذلك اهتموا بتربية الطيور الجارحة، كالبازي والصقر، وتدريبها على الصيد، وأحدثوا لذلك خطة خاصة سميت بخطة البيازرة، التي عهد الناصر بها إلى فطيس بن أصبغ [2]، ثم تولاها بعده الطبيب نجم بن طرفه [3].

وإلى جانب الصيد بالجوارح، كانت تنظم حملات صيد بالكلاب المعدة لذلك، وهي من نوع السلوقي، نسبة إلى سلوق باليمن [4]، وأحيانا بالحراب والرماح والسهام [5] ، وعادة ما تتخلل تتخلل حملاتِ الصيد مجالسُ اللهو والشرب [6].

وبلغ شغفُ الأندلسيين بحملات الصيد، أن خلدوها في أشعارهم، منها أبيات تنسب إلى عباس بن فرناس [7]، يتحدث فيها عن ذهابه إلى الصيد، رفقة كلب معد ومدرب لذلك، وكيف أنه اصطاد أرنبا [8]، كما جسدوا بعض هذه الحملات على عدد من علب العاج الأميرية، والتي حفرت عليها مشاهد صيد بالطيور الجارحة وبالحراب وغيرها [9].

إلا أنه يجب أن نسجل بأن إمكانية امتلاك طائر جارح مدرب ومعد للصيد، كانت مقصورة على أفراد الطبقة الميسورة، في الوقت الذي كان فيه بإمكان أفراد من الطبقة العامة حيازة كلب للصيد، ذلك لأن تربية الطيور الجارحة وإعدادها للصيد أكثر كلفة من تربية وتدريب كلاب الصيد، وبذلك يمكننا القول بأن بعض العناصر من العامة كانت تقوم بحملات صيد باستعمال الكلاب، لاصطياد الأرانب أو بعض أنواع الطيور مثل الحجل.

ج) مجالس الغناء والرقص:

---

[1]ـ ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج 1 ص 41 // ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 125.

[2]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 159.

[3]ـ ابن أبي أصيبعة ـ المصدر السابق ـ ص 491.

[4]ـ السيد عبد العزيز سالم ـ " صور من المجتمع الأندلسي " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 19 ـ 1976– 1978 ـ ص 74.

[5]ـ المرجع نفسه ـ ص 78.

[6]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 180.

[7]ـ عباس بن فرناس بربري مولى لبني أمية، من أهل قرطبة، فيلسوف وشاعر وعالم فلك، صاحب أول محاولة طيران، توفي سنة 274هـ/ 887م. ينظر: ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 333 رقم 239.

[8]ـ الكتاني ـ المصدر السابق ـ ص 175.

[9]ـ يمكن تتبع تفاصيل هذه المشاهد من خلال مقال: السيد عبد العزيز سالم ـ صور من المجتمع الأندلسي ـ المذكور أعلاه.

أظهر الأندلسيون، منذ قيام الدولة الأموية على أرضهم، ولعا بالغناء وبعقد مجالس الطرب واقتناء المغنين والمغنيات من الأمصار المختلفة، ويمكننا القول بأن الغناء شهد تطورا كبيرا في الأندلس، تزامنا مع قيام الدولة الأموية هناك، وذلك لعدة عوامل يمكن إجمالها في:

ـ إقبال بعض الخلفاء الأمويين في المشرق على سماع الغناء وامتلاك جواري مغنيات، مثل معاوية بن أبي سفيان ﷺ (41- 60هـ/ 661- 680م) ، وابنه يزيد(60- 64هـ/ 680- 683م)، والوليد بن عبد الملك (86-96هـ/ 705- 715م)، ويزيد بن عبد الملك(101- 105هـ/ 720- 724م)، والوليد بن يزيد (125- 126هـ/ 743-744م) [1]، يعني أن الحكام الأمويين في الأندلس ورثوا حبهم للغناء عن أسلافهم في المشرق.

ـ ارتفاع المستوى المعيشي لسكان الأندلس، وبخاصة الطبقة الميسورة، وعلى رأسها الحكام الأمويين، يتقدمهم عبد الرحمن الداخل الذي نشأ في وسط متحضر، ميَّزَته مظاهر الترف، من بينها الموسيقى والغناء.

إذ يذكر المقري مجلسا للغناء ضم رَجليْن، في بيت مسلم بن يحيى مولى بني زهرة، غنت فيه جاريته المسماة العجفاء، فأجادت الغناء والنقر على العود، فبلغ بالحاضريْن من الهيام أنهما لم يدركا ما قاما به من أفعال، ولذلك اشتراها الأمير عبد الرحمن الداخل من صاحبها [2]، كما كان كان للحكم بن هشام مغني يهودي يسمى منصور [3].

ـ اتفاق مجموعة من الفقهاء الأندلسيين، ذوي الصيت الذائع، على حلِّيَة سماع الغناء.

فالفقيه ابن عبد ربه [4] يرى أن الغناء: " مراد السمع، ومرتع النفس وربيع القلب، ومجال ومجال الهوى، ومسلاة الكئيب، وأنس الوحيد، وزاد الراكب؛ لعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأخذه بمجامع النفس"، وأورد بابا في كتابه " العقد الفريد" بعنوان: " كتاب الياقوتة

---

[1] ـ م.د. رحيم حلو محمد ـ " مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي" ـ **مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية** ـ مج 8 ـ ع 15 ـ كانون الأول 2009 ـ ص 117.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 141- 142.

[3] ـ المصدر نفسه ـ ج 3 ص 124.

[4] ـ هو أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حُدَير بن سالم (246- 328هـ/ 860- 940م)، أديب وشاعر وفقيه، وفقيه، سمع من بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشني. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 48 رقم 118// ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ صص 270- 275.

الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه " أورد فيه مجموعة من الأحاديث النبوية، وآراء مختلفة، وأقوال لفقهاء، تفيد بإباحة الغناء [1].

أما الفقيه أبو بكر بن العربي [2] فيقول:" وأما الغناء فإنه من اللهو المُهيِّج للقلوب عند أكثر العلماء، منهم مالك بن أنس، وليس في القرآن ولا في السنة دليل على تحريمه" [3]، يعني أنه مباح.

وكان ابن عبد البر من علماء الأندلس الذين كانوا يحضرون مجالس الغناء، إذ أنه مر ببيت من بيوت الأسر الثرية في قرطبة، فأعجب بصوت جارية تغني من داخله، فأرسل إلى صاحب البيت يستسمحه لحضور مجلس غناء هذه الجارية، فخرج إليه صاحب البيت وأدخله وأكرم وفادته، وضيفه أياما [4]، كما حضر قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن أبي عيسى [5] مجلسا غنت فيه جارية أبياتا كتبها في كفه، ثم خرج إلى المقبرة لأداء الصلاة على جنازة [6].

أما الفقيه ابن حزم الظاهري [7] فله رسالة موسومة ب" الغناء الملهي، أمباح هو أم محظور"؟، أورد فيها مجموعة من الأحاديث المنسوبة إلى النبي ﷺ، وأقوال بعض الصحابة التي تحرم الغناء، ثم أثبت أن هذه الأحاديث موضوعة وغير صحيحة، وجاء بعد ذلك بآراء وأقوال بعض الصحابة التي تبيح ذلك، وتوصل في الأخير إلى أن سماع الغناء للترويح عن النفس

---

[1]- ابن عبد البر - العقد الفريد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1404هـ - ج 7 صص 3- 28.

[2]- ابن العربي، أبو بكر (468 - 543هـ، 1076 - 1148م)، فقيه محدِّث مفسر أصولي أديب متكلِّم، له عدة مؤلفات، توفي بمراكش. ينظر: السُّيوطي، جلال الدين (849- 911هـ/ 1445- 1505م) - طبقات الحفاظ - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 1403هـ - ص 468- 469 رقم 1046.

[3]- ابن العربي - أحكام القرآن - تحقيق محمد عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط3 - 1424هـ/ 2003م - ج 3 ص 10.

[4]- ابن دحية - المصدر السابق - 152- 153.

[5]- محمد بن عبد الله بن أبي عيسى(284- 339هـ/ 897- 950م)، ولي القضاء أيام الأمير عبد الرحمن بن محمد وأدرك عهد الناصر، وأصبح قاضي الجماعة بقرطبة عام 326. ينظر: الخشني - المصدر السابق صص 233- 236.

[6]- الحميدي - المصدر السابق - ص 66- 67.

[7]- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (384- 456 هـ/ 994- 1064م)، رأس المذهب الظاهري في الأندلس، كان فقيها وأديبا ونسابة، له مؤلفات عديدة. ينظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852هـ/ 1448م) - لسان الميزان - تحقيق دائرة المعرفة النظامية - الهند - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - ط2 - 1390هـ / 1971م - ج 4 ص 198- 202.

مباح [1].

ـ استقبال الأندلس للمغنيات والمغنين، أهمهم زرياب الذي أحدث ثورة في الغناء هناك، كما أنشأ مدرسة لتعليم الغناء.

فقد استقبلت الأندلس في عهد هذا الأمير الحكم بن هشام مغنييْن حجازييْن مجيديْن هما علون وزرقون [2]، ثم وفد بعدهما على الأمير عبد الرحمن الأوسط المغني العراقي زرياب [3]، فصيره هذا الأميرُ غنيا، وخصه لنفسه، وفتح له بابا خاصاً في قصره، يستدعيه منه متى احتاجه [4]، وقد أحدث زرياب ثورة في الموسيقى والغناء في الأندلس، وكان له دور كبير في انتشار الغناء فيها على نطاق واسع.

كان لزرياب عشرة أبناء، ثمانية منهم ذكور وابنتين، كلهم كانوا يجيدون الغناء [5]، ناهيك ناهيك عن جواريه اللواتي تعلمن منه الغناء، ومنهن غزلان وهنيدة، ومتعة التي كلف بها الأمير عبد الرحمن الأوسط، فأهداها له زرياب [6].

كما قام زرياب بوضع أسس لمدرسة الغناء والتلحين في الأندلس، فكان يعلم ذلك لمن يتوسم فيه استعدادا للتعلم، ووضع لها ما يشبه القوانين لتعليم وتعلم الغناء [7]، وأخذ عنه عدد من الأندلسيين، نذكر منهم مصابيح جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قلهيل [8]، وبذلك أورث أورث صناعة الغناء بالأندلس.

وبعد وفاته، ظل الأندلسيون متهافتين على تعلم أسلوب غناء زرياب، فلم يجدوا إلا ابنته علية التي طال بها العمر، فأخذوا عنها هذه الصناعة [9]، كما كان من نتائج نشاط زرياب

---

[1]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج 1 ج 1 صص 430- 439 // ابن حزم ـ المحلى بالآثار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ت ـ مسألة بيع آلات اللهو ـ ج 7 صص 559 – 567.

[2]ـ خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مصلوب ـ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ـ دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ـ ط 1 ـ 2000 ـ ص 424.

[3]ـ زرياب، علي بن نافع، أبو الحسن، توفي حوالي 238هـ/ 853م، خرج من بغداد بعد سوء تفاهم بينه وبين معلمه إسحاق الموصلي، ودخل الأندلس في بداية إمارة عبد الرحمن بن الحكم. ينظر: المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 122.

[4]ـ المقري ـ المصدر نفسه ـ ج 3 ص 125.

[5]ـ المصدر نفسه ـ ج 3 ص 129.

[6]ـ نفسه ـ ج 3ص 131.

[7]ـ نفسه ـ ج 3 ـ ص 128 – 129.

[8]ـ نفسه ـ ج 3 ص 131.

[9]ـ نفسه ـ ج 3 ـ ص 131.

وأبنائه في الأندلس، ظهور علماء في الغناء والموسيقى منهم عباس بن فرناس [1] وعقيل بن نصر [2]، وأسلم بن أحمد بن سعيد [3].

واستقدم عبد الرحمن بن الحكم أيضا الجواري المغنيات، أبرزهن فضل وعلم وقلم المدنيات، وبنى لهن دارا خاصة، سميت بدار المدنيات، وكان يكثر من السماع لهن [4].

ولم يقتصر سماع الغناء على العامة والعلماء، بل انتقل إلى أفراد الأسرة الأموية الحاكمة، إذ كان المطرف بن الأمير محمد من الذين حذقوا الموسيقى وبرعوا فيها، وكان يؤلف الألحان، وابتكر طرقا في الغناء أخذها عنه المغنون [5]، وكان أبو الأصبغ عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر الناصر مغرما بالغناء ، إذ أنه انقطع عن شرب الخمر، ولم يستطع الإنقطاع عن الغناء [6].

هذه العوامل كان لها دورها المؤثر في انتشار مجالس الغناء، وبالأخص خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (10 و11م)، حتى أن أحدهم لم يستطع النوم بمالقة، في إحدى ليالي سنة 406هـ/ 1015م، لكثرة ما كان يعزف من آلات موسيقية [7]، وازداد الغناء انتشارا في فترة ملوك الطوائف والدولة النصرية، حتى فشا في الأسواق والدكاكين البسيطة [8]

وعادة ما كان يتم تناول الخمر من طرف الحاضرين في مجالس الغناء، حتى إذا ما انتشوا قاموا يرقصون فرادى أو مثنى أو جماعات [9]، ومن أهم الرقصات المعروفة في الأندلس، رقصة الدك ورقصة السيوف [10].

---

[1]ـ عباس بن فرناس، أبو القاسم (ت 274هـ/ 887م)، بربري، عالم في الفلك، والكيمياء والموسيقى. ينظر: ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 333 رقم 239.

[2]ـ عقيل بن نصر، أديب شاعر، له أغان يقلد فيها الموصلي. ينظر: الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 291 رقم 747.

[3]ـ أسلم بن أحمد بن سعيد بن القاضي أسلم، أبو الحسن، شاعر، وله كتاب معروف في أغاني زرياب، توفي سنة 395هـ/ 1004م. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 93 رقم 282.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 140.

[5]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 205 و210.

[6]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 189 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 584.

[7]ـ شوقي ضيف ـ" الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 23 ـ 1985- 1986 ـ ص 14.

[8]ـ ابن الخطيب ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ـ تحقيق محمد زينهم ـ الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة ـ ص 42.

[9]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 261.

[10]ـ نفسه ـ ج 3 ص 217 و497 // السيد عبد العزيز سالم ـ" صور من المجتمع الأندلسي " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 19 ـ 1976- 1978 ـ ص 70.

وقد خلد الأندلسيون بعض مجالس الغناء والرقص، بأن حفروها على علب من العاج، تعود إلى الفترة محل الدراسة، تظهر من خلالها الآلات الموسيقية، وبعض الرقصات المنتشرة آنذاك، وأنواع الثياب وطريقة تصفيف الشعر، وقد قام السيد عبد العزيز سالم بدراستها دراسة قيمة، وسجل كل الملاحظات التي أمكنه الوصول إليها من خلال الرسوم المحفورة [1]. لذلك كله كله تطور الغناء وانتشرت مجالسه في أوساط الخاصة والعامة على حد سواء.

د) خرجات النزهة:

حبا الله الأندلس طبيعة غناء، تنوعت مظاهرها من جبال وغابات وأنهار وشواطئ بحرية وغيرها، تحفز الفرد الأندلسي على أن يقصدها بحثا عن الترويح على النفس، ولعل أحسن ما يمكن أن نستشهد به في هذا المقام، ما جاء على لسان الشاعر الأندلسي ابن خفاجة [2]:

يَا أَهْلَ أندلسٍ للهِ دَرُّكُـــــمُ ماءٌ وظلٌّ وأنـهارٌ وأشـجارُ
ما جَنّةُ الخُلدِ إلا في دِيارِكـمُ ولَوْتَخَيَّرْتُ هذا كنتُ أختارُ [3]

يستفاد من هذين البيتين أن الأندلسيين افتتنوا كثيرا بالمجاري المائية والخضرة، فقد قال أحد الشعراء:

ثلَاثة تُذْهِبُ عَن قلبِيَ الحزَنْ الماءُ والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ [4]

انطلاقا من ذلك اهتم الحكام الأمويون في الأندلس، منذ قيام دولتهم، بإيجاد أماكن يلجؤون إليها للترويح عن أنفسهم، ومن الأعمال الأولى التي قام بها عبد الرحمن الداخل، بعد أن استقر له حكم الأندلس، ابتياعه منية من رزين البرنسي، أحد الداخلين مع طارق بن زياد، تقع إلى الشمال الغربي من قرطبة، وسماها الرصافة نسبة إلى رصافة دمشق، واعتنى بها عناية كبيرة، إذ ساق إليها الماء، ونقل إليها غرائب النباتات والأشجار من كل ناحية [5]، فجعل منها

---

[1] المرجع نفسه ـ صص 62- 70.

[2]ـ ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن عبيد الله الهواري (451- 533هـ/ 1059- 1138م) ، أديب وشاعر، من أهل جزيرة شقر، له ديوان شعر يكثر فيه من وصف الطبيعة. ينظر: ابن الأبار ـ التكملة ـ ج 1 ص 124- 125 ـ رقم373.

[3]ـ ابن خفاجة ـ ديوان ابن خفاجة ـ تحقيق عبد الله سندة ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1427هـ/ 2007 ـ ص 133- 134.

[4]ـ أبو الفتح العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت 963هـ/ 1556م) ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ عالم الكتب – بيروت ـ د. ت ـ ج 1 ص 219.

[5]ـ فيما يتعلق بخبر منية الرصافة، يمكن العودة إلى: ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 227 و234، الإحالة رقم 405// المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 466- 467.

جنة على وجه الأرض، يلجأ إليها كلما أحس بالإنقباض، واعتنى بها أبناؤه وأحفاده من بعده، وظلت من أهم المنتزهات في قرطبة.

وقد حذا حذو عبد الرحمن الداخل أغلب الأمراء والخلفاء الذين حكموا الأندلس بعده، وتبعهم في ذلك بعض رجال الدولة، بحيث قاموا بإنشاء منتزهات لهم، تمثل بعضها في قصور منها قصر الدمشق، الذي أبدع الأمويون في بنائه، وجعلوه ميدان مراحهم، ومضمار انشراحهم، وفيه يقول أبو بكر بن عمار:

كُلُّ قَصْرٍ بَعدَ الدِّمَشْقِ يُذَمُّ فِيهِ طَابَ الجَنَى وفَاحَ المَشَمُّ [1]

وكذا القصر الفارسي الذي كان يقع في ظاهر قرطبة [2]، وقصر قرقريط الواقع جنوبها، والذي كان يقيم فيه الخليفة عبد الرحمن الناصر للنزهة [3]، وقصر أرحي ناصح، الذي كان يرتاده الخليفة هشام المؤيد [4].

إلا أن إقامة القصور المعدة للنزهة لم يقتصر على الحاضرة قرطبة، بل عم أغلب مدن الأندلس، ومن أمثلة ذلك، وُجود قصر " بله نوبه " في بلنسية وسط حدائق غناء [5]، وقصر السرور [6] في سرقسطة .

إلى جانب القصور، اتخذ أفراد الطبقة المحظوظة متنزهات خاصة بهم سميت بالمُنى أو المُنْيات (مفردها مُنْية) [7]، منها، على سبيل المثال لا الحصر، المنية العامرية، التي أنشأها الحاجب المنصور، والتي يصفها ابن أبي الحباب: [8]

لا يَومَ كاليومِ في أيَّامِنا الأُوَّلِ في العامِـريَّةِ ذاتِ المـاء والعلَلِ
هَوَاؤُها في جميعِ الدّهْرِ مُعتدِلٌ طِيباً وإن حَلَّ فَصْلٌ غَيرُ مُعتَدِلِ [1]

---

[1]ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 255.

[2]ـ السيد عبد العزيز سالم ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ـ 1997 ـ ج1 ـ ص 213.

[3]ـ ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 483.

[4]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 40.

[5]ـ عبد الله عنان ـ دولة الإسلام في الأندلس ـ مكتبة الخانجي، القاهرة ـ ط 4 ـ1417هـ/ 1997ـ ج 2 ص 242.

[6]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 2 ص 436.

[7]ـ من خلال أوصاف بعض المنى أو المنيات في المصادر، يمكننا القول بأن المنية هي عبارة عن قطعة أرض، عادة ما تكون منعزلة عن المدينة، تغرس فيها أنواع مختلفة من الأشجار ونباتات الزينة، يتخللها مجرى مائي، يتخذ في وسطها قصر أو مكان للراحة.

[8]ـ هو أبو المطرف بن أبي الحباب، أديب وشاعر قرطبي، كان على عهد الدولة العامرية. ينظر: الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 364 رقم 955.

والمنية التي أهداها الفتى دري للخليفة الحكم المستنصر، وقد بلغت درجة عالية من الجمال والأبهة وحسن الترتيب، حتى أجمع من رافق الخليفة أثناء زيارتها أنهم لم يشاهدوا في المتنزهات السلطانية أكمل ولا أهذب ولا أعم منها [2]، ومنية عجب ، على حافة النهر الكبير جنوب المدينة، والتي تحولت إلى ربض حمل اسم هذه المنية، ومنية الناصر على الضفة اليمنى للوادي الكبير قرب مقبرة الربض [3]، وغيرها من المنى الكثيرة التي وردت أسماؤها في المصادر [4].

إلا أنه من الواجب علينا أن نسجل هنا بأن هذه القصور والمنيات لم تكن مفتوحة في وجه العامة، لكونها ملكيات خاصة، وفي ذات الوقت، وُجدت متنزهات عامة يقصدها الأفراد من مختلف طبقات المجتمع، وتتمثل هذه المتنزهات في:

ـ الأنهار: أبرزها نهر قرطبة المسمى الوادي الكبير، الذي كان يعتبر " من أحسن الأنهار، مكتنف بديباج المروج، مطرز بالأزهار، تصدح في جنباته الأطيار " [5]، وبذلك كان أهم الأماكن التي يقصدها القرطبيون قصد الراحة والتسلية على النفس، فعلى ضفتيه أقيمت عدة منيات لكبار رجال الدولة، من الأسرة الأموية ومن غيرها، مثل منية الناعورة التي بناها الأمير عبد الله ومنية نصر الخصي [6]، وكذا رياض بني مروان [7]، التي يُرجح أنها كانت ملكا للأسرة الأموية الحاكمة، ثم سُمح للعامة بالنزهة فيها، كما كانت تعقد على ضفاف هذا الوادي مجالس الأنس والطرب [8]، ولعل أهمها مجلس الأنس الذي كان يعقده الحاجب المنصور بن أبي عامر، في زورق له على صفحة نهر قرطبة، مع مجموعة من بعض وزرائه والمقربين منه [9]، وكان بعض العامة يستغل تواجده على ضفاف نهر قرطبة للنزهة ولممارسة هواياتهم المتمثلة في اصطياد الأسماك [10].

---

[1]ـ المصدر والصفحة نفسهما.

[2]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 107.

[3]ـ توريس بلباس ـ المرجع السابق ـ ص 211- 212.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 584.

[5]ـ المصدر نفسه ـ ص 153.

[6]ـ سالم بن عبد الله الخلف ـ نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ـ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ ط1 ـ 1424هـ/ 2003م ـ ج 1 ص 285.

[7]ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 334.

[8]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 2 ص 131.

[9]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 299.

[10]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 214.

ويشكل امتداد الوادي الكبير، الذي يمر بإشبيلية، أحد أهم متنزهات هذه المدينة، إذ يعتبره البعض أحسن بكثير من نهر الفرات [1]، وفي ذلك يقول أبو البقاء الرندي [2]:

وَأَيْنَ حِمْصٌ وما تَحْوِيهِ مِن نُزَهٍ وَنَهْرُهَا العَذْبُ فَيَّاضٌ ومَلآنُ [3]

ولذا كان هذا النهر مقصد الإشبيليين، كلما أحسوا بالملل، امتطوا زوارق، رفقة أصدقائهم، وجابوا النهر [4].

ومما زاد من حسن وبهاء نهر إشبيلية، وجود بساتين كثيرة وجنات عالية ورياضات زاهرة [5]، وطلاء كل المباني المشيدة على ضفتيه باللون الأبيض، وانعقاد مجالس الأنس والغناء حواليه باستمرار ليل نهار [6]، وهذا ما شجع سكان إشبيلية على الذهاب إلى هذا النهر للإستراحة من نَصَبِ الحياة اليومية.

وإلى جانب الوادي الكبير، وُجد في إشبيلية وادي الطلح، وهو نهر مليح في نهاية الْحسن [7]، يقع في شرف إشبيلية، يتميز بكثافة الأشجار وكثرة الأطيار [8]، وكان المعتمد ابن عباد عباد حاكم إشبيلية (431- 488 هـ/ 1040- 1095م) كثيرا ما يذهب للنزهة في هذا النهر، رفقة زوجته اعتماد الرميكية وأولي أنسه ومسرته [9].

كما وجدت أنهار في مدن أخرى من الأندلس، نذكر منها وادي الزيتون في سرقسطة [10]، والوادي الكبير بمالقة [11]، ووادي لورقة ذا البساتين الكثيفة [12]، ووادي شنيل

---

[1]ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 767.

[2]ـ أبو البقاء، صالح بن يزيد بن أبي القاسم بن علي بن شريف، أبو الطيب النفزي الرندي (601- 684هـ/ 1204- 1285م)، قاضي وفقيه وشاعر وعالم بالفرائض، اشتهر بقصيدته النونية التي مطلعها " لكل شيء إذا ما تم نقصان ". ينظر: عبد الله كنون ـ" أبو البقاء الرندي وكتابه الوافي في نظم القوافي " ـ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 6 ـ ع 1- 2 ـ 1378هـ/ 1958م ـ صص 205- 220.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 487.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 606 وج 4 ص 211.

[5]ـ مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ ص 114.

[6]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 292// المقري ـ المصدر نفسه ـ ج3 ص 212// الضبي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 504.

[7]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 296.

[8]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 691.

[9]ـ المصدر نفسه ـ ج 2 ص 285.

[10]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 436.

[11]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 161.

[12]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 275.

أو وادي الثلج الذي تقع عليه عدة مدن مثل غرناطة وإستجة وقرمونة ومورور، وأركش، ورندة وغيرها من المدن، ويعتبر هذا النهر أحد أهم متنزهات غرناطة، وفي ذلك يقول أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد [1]:

انْظُرْ لِشَنَّيلٍ يُقَابِلُ وَجْهُهُ		وَجْهَ الهِلالِ كَقَارِئٍ أَسْطَارَهُ [2]

وعلى الضفة اليمنى من هذا النهر، يقع حور مُؤَمِّل الذي كان من أجمل متنزهات غرناطة وأظرفها [3].

يضاف إلى الأنهار، البساتينُ [4]، وشواطئُ البحر [5]، والغاباتُ مثل شرف إشبيلية، والغابة والغابة المحيطة بمدينة مرسية [6]، وأخرى بمدينة طليطلة [7].

على كل، فإن الأندلسيين كانوا يحبون الخروج للنزهة، بين الفينة والأخرى، وكانوا يعدون لذلك عدته، فقد كان الحكام الأمويون يعدون لنزههم كل ما تتطلبه من عدة [8]، وكان بعض العامة إذا عزموا الخروج للنزهة، أخذوا معهم طعاما، وبخاصة المجبنات، يكفيهم يومهم [9].
يومهم [9].

ولم يقتصر الخروج للنزهة على الرجال، بل أن المرأة الأندلسية نالت حظها من ذلك، رغم دعوة بعض الفقهاء إلى منعها من الخروج إلى النزهة على ضفاف الأنهار، إلا أن تكون مع محرم، بسبب كثرة الفساق [10]، فقد اعتاد الحكام الأمويون اصطحاب كرائمهم في نزهاتهم [11]،

---

[1]ـ ابن سعيد المغربي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد، يكنى أبا الحسن (610- 685 هـ/ 1214- 1286م)، مؤرخ وشاعر وأديب، من مواليد قلعة يحصب قرب غرناطة، له عدة مؤلفات، أهمها المغرب في حلى المغرب. ينظر: ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 129- 135.

[2]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 103.

[3]ـ مريم قاسم الطويل ـ مملكة غرناطة في عهد بني زيري 403- 483هـ/ 1012- 1090م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1414هـ/ 1994م ـ ص 35.

[4]ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ مج 1 ص 236.

[5]ـ عنان ـ المرجع السابق ـ ج 2 ص 201.

[6]ـ الحموي ـ المصدر السابق ـ مج 4 ص 249.

[7]ـ ابن سعيد المصدر السابق ـ ج 2 ص 8.

[8]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 22.

[9]ـ النباهي ـ المصدر السابق ـ ص 81 // المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 461.

[10]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 57 // الجرسيفي ـ رسالة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ـ 1955 ـ ص 121

[11]ـ ابن حيان ـ المصدر السابق ـ ص 22.

كما كانت نساء العامة، إماء وحرائر، يخرجن للنزهة في رياض بني مروان في قرطبة [1]، ويذهبن إلى الأنهار فيسبحن ويلعبن [2]، ويخرجن للتسوق والنزهة في آن واحد، إذ كانت غالبية نساء قرطبة يتجهن إلى سوق العطارين [3]، وكان حور مؤمل، أحد أشهر منتزهات قرطبة، ملتقى العاشقين بمعشوقاتهم [4].

خلاصة القول، أن الأندلسيين، رجالا ونساء، بمختلف مستوياتهم الإجتماعية، كانوا يخرجون للنزهة إلى أماكن مختلفة، مثل القصور والمنيات، وضفاف الأنهار، والغابات، والبساتين، والجبال، والحدائق، كل حسب رغبته، وكانوا يعدون لذلك عدته، وبخاصة الأكل والشراب.

من خلال إيرادنا لبعض مظاهر الحياة اليومية للأندلسيين، أصبح بإمكاننا القول بأن المجتمع الأندلسي كان مجتمعا راقيا، إذ أنهم تأنقوا في لباسهم، فلبسوا الحرير بمختلف أنواعه، وجعلوا لكل فصل من فصول السنة ألبسة خاصة.

كما أبدوا رقيا اجتماعيا في احتفالهم بأعيادهم ومواسمهم، إذ أن أتباع كل ديانة من الديانات السماوية الثلاث، كانوا يحترمون احتفال أتباع الديانتين الأخريتين بأعيادهم، بل أن الجميع اشتركوا في الإحتفال ببعض الأعياد، مثل النيروز والعصير والمهرجان، والتي سميناها أعيادا وطنية أو قومية.

وفيما يخص الغذاء، توصل الأندلسيون إلى طرق ناجعة في حفظ مختلف الأغذية، كما ابتكروا أكلات عديدة حاولوا أن يراعوا فيها الجانب الصحي والذوق الرائع.

وفي مجال اللهو والتسلية، مارسوا عدة ألعاب لعل أبرزها لعبة الشطرنج، التي انتشرت في المجتمع الأندلسي انتشارا واسعا، وهذه اللعبة تساعد على تنمية الفكر، ووضع الخطط العسكرية، وإيجاد حلول ملائمة لوضعيات صعبة، وذلك دليل آخر على رقي هذا المجتمع.

ولا يخفى على الخاص والعام، أن الأندلس كانت لها مساهمة كبيرة في تطور الغناء والموسيقى، بفضل المغنين والمغنيات والموسيقيين الذين استقبلتهم من أمصار مختلفة من العالم الإسلامي، وقدمت لهم كل التسهيلات والحوافز، ونتج عن ذلك قيام مدرسة أندلسية للغناء والموسيقى، وانتشار هذا الفن في كل ربوع الأندلس، وابتكار الأندلسيين طابعا غنائيا لا زال

---

[1] ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 334– 335.
[2] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 146.
[3] ـ ابن حزم ـ الرسائل ـ ج 1 ص 120.
[4] ـ ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 277.

يحمل، إلى حد الساعة، اسم الموسيقى الأندلسية، كما لا تزال الرقصة الأندلسية المسماة بالدك، تفرض نفسها على الجزء الجنوبي من شبه جزيرة إيبيريا، وتحمل هناك اسم " الفلامنكو ".

4) الأحداث الحزينة في حياة الأسرة:

إلا أن أيام الأسرة الأندلسية لم تكن كلها مرح وفرح وتسلية، بل كانت تتخللها، من حين لآخر، عوارض تحول المسرات إلى أحزان، لعل أبرز هذه العوارض، انفصال الزوجين بشكل نهائي، أو وفاة أحد أفراد الأسرة.

أ) الـــطـلاق:

تشير كتب النوازل إلى أن حياة عدد من الأسر الأندلسية كانت تنتهي بانفصال الزوجين عن بعضهما، أي بالطلاق، رغم ما في ذلك من آثار سلبية على كل أفراد الأسرة، ولذلك قال النبي ﷺ: " أبْغضُ الحلال عند اللهِ الطلاقُ " [1]، ويبدو أن المرأة كانت تكره أن تطلق، لذلك قالت العامة:" أنا نطلقها وهي تفرش السرير " [2] .

ويعود الطلاق في الأندلس، خلال الفترة المعنية بالدراسة، إلى أسباب مختلفة، منها زواج الرجل على زوجته، وهذا ما كان يؤرق النساء، وأكثر ما تخشاه من أزواجهن، حتى أن الزوجة كانت تتمنى موت زوجها على أن يتزوج أخرى غيرها، وفي هذا المعنى صاغت العامة المثَل القائل: " مَشِيْتُه لَلْحُفْرَة، وْلاَ مَشِيْتُه لْبيتْ أخرى " [3]، وقد عبرت عن ذلك زوجة أخي ابن حزم الظاهري، بعد وفاة زوجها، بقولها: " ما يُقَوّي صبري ويُمسِك رمَقي في الدنيا ساعةً واحدةً بعد وفاته، إلاَّ سروري وتَيَقُّني أنه لا يضُمُّه وامرأةً مضجعٌ أبداً، فقد أَمِنت هذا الذي ما كنت أتخوف غيره " [4]، لذلك اشترطت بعض الزوجات على أزواجهن، في عقد نكاحهن، ألا يتزوجوا عليهن [5]، وذهبت بعضهن إلى منع أزواجهن من التسري عليهن [6] .

---

[1] ـ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ/ 888م) ـ سنن أبي داود ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ـ كتاب الطلاق ـ باب في كراهية الطلاق ـ ج 3 ص 505.

[2] ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 27 رقم 96.

[3] ـ المصدر نفسه ـ ص 350 رقم 1541.

[4] ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 260.

[5] ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 303 و308.

[6] ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 259.

ومن الأسباب المؤدية إلى الطلاق، طول غياب الزوج عن زوجته، خاصة إذا لم يُعلم المكان الذي ذهب إليه، ووقتُ رجوعه، فكان من حق الزوجة أن تطلب من القاضي أن يطلقها من زوجها الغائب [1]، وبعض المتزوجين يحددون في عقود أنكحتهم المدة التي يُسمح للزوج بغيابها عن زوجته، وبعدها يصبح من حق الزوجة تطليق نفسها [2].

ويحدث الطلاق لعيوب تظهر في أحد الزوجين، أهمها عدم استطاعة الرجل إتيان زوجته، لمعاناته من ضعف جنسي، أو عدم رغبته في إتيانها، أي أنه لا يعطيها حقها الذي كفله لها الشارع، بحيث أقر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قاله الصحابي سلمان الفارسي [3] لأبي الدرداء [4] ـ رضي الله عنهما ـ : " إن لربِّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلِك عليك حقّا، فأَعطِ كل ذي حقّ حقَّه " [5]. وانطلاقا من ذلك، فقد أفتى ابن رشد بالتفريق بين زوجين، بعد أن اشتكت الزوجة من عدم إتيان زوجها لها، واعتُبِر ذلك ضررا لحق بها [6].

كما اعتبر الأندلسيون عدم اهتمام المرأة بنظافة جسمها وهندامها، من الأسباب التي تدفع الزوج إلى الإبتعاد عن زوجته، ولذلك قالوا: " إذَا رِيتْ الْمَرَا تْمَخَّطْ في قْنَعْها، وتْخَرَّج الْمَفْتول بأصْبَعْها، لا تَبْقى مْعَها " [7].

وأحيانا يتسبب عدم رضا الزوجة بالمستوى المعيشي الذي يوفره لها الزوج، في انفصالهما، وفي ذلك يقول عبد الملك بن جهور [1]:

---

[1]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 19– 29.

[2]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 259.

[3]ـ سَلْمان الفارِسي، يكنى أبا عَبْد الله. أسلم في السنة الأولى من الهجرة، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، شارك في غزو العراق، وحضر فتح المدائن وتوفي بها سنة 36هـ/656م. ينظر: الخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1073م) ـ تاريخ بغداد ـ تحقيق بشار عواد ـ دار الغرب الإسلامي – بيروت ـ ط 1 ـ 1422هـ/ 2002 م ـ ج 1 ص 508.

[4]ـ أَبُو الدَّرْدَاء، عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل من القُرَّاء ورواة الحديث والحكماء والفقهاء، شهد أحدا والمشاهد بعدها، توفي سنة 32 هـ/ 652م. ينظر: ابن الأثير، عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1233م) ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1415هـ/ 1994م ـ ج 4 ص 306 رقم 4142.

[5]ـ البخاري ـ المصدر السابق ـ كتاب الصوم ـ باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له ـ ج ج 3 ص 38 رقم 1968.

[6]ـ ابن رشد ـ فتاوى ابن رشد ـ ص 185.

[7]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 13 رقم 38.

مَن ذَا يَفُكُّ إِسَارِيَهْ وَيَحُلُّ عَـقْدَ عِقَالِيَهْ
إِنِّي بُلِيتُ بِشَرِّ مَن تحْت السمَاءِ العالِيَهْ
ما أبصَرَتْها مُـقْلتي مُذْ أبْصرتُها راضيَهْ [2]

وكان تكرار زيارات أقارب الزوجة لها في بيتها، سببا يؤدي إلى حدوث نزاعات بين الزوجين، تفضي أحيانا إلى انفصالهما، ولهذا قالت العامة الأندلسية: " إذا رِيتْ سلْفَكْ سَلّ سيفَكْ " [3]، خاصة إذا تدخلوا في حياة ابنتهم الزوجية، فينتج عن ذلك تنغيص الحياة على الزوج، الذي يبدأ بالإحساس بالإشمئزاز منهم، ثم من زوجته، وينتهي ذلك بالإنفصال بين الزوجين، وفي هذا السياق يقول نفس الشاعر:

ولَـهَا أُهَـيْـلٌ مُـنْـتِـنٌ عُورُ الوُجُوهِ سَواسِيَهْ
لولاَ الحياءُ بَصَقْتُ في تـلكَ الوُجوهِ الـبالِيَهْ [4]

لهذه الأسباب وغيرها كان ينفصل الأزواج عن زوجاتهم، بنوع من أنواع الطلاق التي كانت معروفة عند الأندلسيين، والمتمثلة في:

ـ طلاق المبارأة، وهو أن يتراضى الزوج والزوجة على أن ينفصلا، مقابل تنازل الزوجةعن حق لها للزوج، لاستحالة الحياة بينهما [5]، وقد وقعت حالات من هذا الطلاق في الأندلس، خلال الفترة المدروسة، احتفظت لنا كتب النوازل ببعضها [6].

وذهب بعض الأزواج إلى نوع آخر من الطلاق، والمعروف باللعان، والذي يتم اللجوء إليه في حالة ضبط الزوج لزوجته متلبسة بكبيرة الزنا، أو اتهامه لها بأنها زنت، ويكون وفق ما نصت عليه الآيات الشريفة في قوله عز وجل: " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ۝ وَالْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ

---

[1]ـ عبد الملك بن جهور، أبو مروان وزير جليل، أديب شاعر كاتب ولاه عبد الرحمن الناصر الخزانة سنة 300هـ/ 912م، ثم أسند إليه منصب الكتابة، ثم تولى الوزارة سنة 305هـ/ 917م. ينظر: الكتاني ـ المصدر السابق ـ ص299– 300// الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 249– 250.

[2]ـ مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 140.

[3] الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 17 رقم 55.

[4]ـ نفس المصدر ـ نفس الصفحة.

[5]ـ ابن رشد القرطبي ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ـ تحقيق محمد حجي وآخرون ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط2 ـ1408هـ/ 1988م ـ ج5ص 207.

[6]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ص 290.

عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ [1] . ويبدو أن اللعان لم يكن محبذا من قبل الأندلسيين، ذلك أن ابن الهندي [2]، عندما لاعن زوجته سنة 388هـ/ 998م في المسجد الجامع بقرطبة، عوتب عتابا شديدا من قبل الفقهاء والأدباء، وكان ذلك آخر لعان شهدته الأندلس [3].

ومن أنواع الطلاق التي انتشرت في المجتمع الأندلسي، الخلع [4] وهو مفارقة المرأة زوجها زوجها بعوض يأخذه منها [5]، وقد خصص الونشريسي الجزأين الرابع والعاشر من كتابه " المعيار المعرب " لهذا النوع من الطلاق، ولما ينجر عنه من نتائج، مما يدل على كثرة حدوثه في المغرب والأندلس.

إضافة إلى الظهار، وهو أن يقول الرجل لامرأته: " أنت علي كظهر أمي "، فتَحرُم عليه [6]، ورغم أن الله عز وجل ينهى المسلمين عن اللجوء إلى مثل هذا الطلاق في قوله الكريم: الكريم: " ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ [7]، إلا أن بعض الأندلسيين كانوا يلجؤون إليه [8].

أما الإيلاء، " وهو اسم ليمين يمنع بها المرء نفسه عن وطء منكوحته والفيء هو تحنيث نفسه بالوطء في المدة وعزيمة الطلاق الثبات على البر بترك الوطء حتى تمضي أربعة أشهر

---

[1]ـ سورة النور ـ الآيات 6- 7- 8- 9.

[2]ـ ابْن الْهِنْدِيّ، أَبُو عمر أَحْمد بن سعيد بن إِبْرَاهِيم الْهَمدَانِي، كان فقيها، وحافظا لأخبار أهل الأندلس، بصيرا بعقد الوثائق، توفي سنة 399هـ/ 1008م. ينظر: ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 217 رقم 147.

[3]ـ البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت 841هـ/ 1438) ـ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (فتاوى البرزلي) ـ تحقيق محمد الحبيب الهيلة ـ دار الغرب الإسلامي ط 1 ـ 2000 ـ ج 2 ص 471.

[4]ـ ابن رشد ـ المصدر السابق ـ ص 297.

[5]ـ السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م) ـ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ـ تحقيق تحقيق محمد إبراهيم عبادة ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ط1 ـ 1424هـ/ 2004م ـ ص 57.

[6]ـ الخوارزمي ـ المصدر السابق ـ ص 34.

[7]ـ سورة المجادلة ـ الآية رقم 2.

[8]ـ ابن رشد ـ المصدر السابق ـ ص 1175- 1176// الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 265.

فتطلق"[1]، فكان قليل الحدوث في الأندلس، لذلك لم نعثر على حالات متعددة منه في كتب النوازل[2].

ونتج عن الطلاق نتائج سلبية على المجتمع الأندلسي، أبرزها تشتت الأسر[3]، زيادة على على مشاكل حضانة الأولاد[4]، والإنفاق عليهم[5]، وتأمين بيت لهم بمستلزماته، يأويهم وأُمَّهُم[6].

ب) الجــنـائـز:

ومن الأحداث الحزينة التي كانت تلم بالأسرة الأندلسية، وفاة أحد أفرادها، فيستتبع ذلك مجموعة من الطقوس والعادات، تبدأ منذ اللحظة التي يلفظ فيها الميت أنفاسه، وتتواصل إلى بضعة أيام بعد دفنه.

فأثناء احتضاره، يقدم المحتضِر وصاياه إلى من يحيط به من أفراد أسرته أو أصدقائه، وغالبا ما تتعلق هذه الوصايا بما يجب عليهم القيام به في جنازته، كأن يوصي بمكان دفنه، وبما يُكتب على اللوح الذي يوضع على القبر[7]، أو بما يوضع داخل كفنه[8].

وبعد أن تُسْتَلَّ من الشخص المحتضِر روحُه، يجتهد أفراد أسرته في إظهار حزنهم على فقيدهم، فتجتمع، في منزل الجنازة، النساء من أهلها وقريباتهن وجاراتهن، وترتفع أصواتهن بالبكاء والنواح، والصراخ العالي ولطم الخدود[9]، بل إن هذا الأمر لم يتوقف على النساء، إنما تعداه إلى الرجال[10]، وفي ذلك يقول الشاعر ابن دراج القسطلي في رثاء السيدة صبح زوجة الخليفة الحكم المستنصر:

وجيبُ القلوبِ وشقُّ الجيوبِ وشجْوُ الـنحيبِ ولهْفُ النداءِ

---

[1]ـ النسفي، نجم الدين عمر بن محمد (ت 537هـ/ 1142م) ـ طلبة الطلبة ـ المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ـ بغداد ـ د. ط ـ 1311هـ/ 1893م ـ ص 61.

[2]ـ البرزلي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 170.

[3]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 57.

[4]ـ نفسه ـ نفس الصفحة.

[5]ـ نفسه ـ ص 41.

[6]ـ ابن سهل المصدر السابق ـ ص 276- 277.

[7]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج1 ص 258 // ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 191.

[8]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 318// ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 288.

[9]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج6 ص 419.

[10]ـ القاضي عياض ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 362.

فحـاشى لـرِزْئِـك أن يـقْتَضيه عــوِيلُ الرجال ولَــدْمُ النساءِ [1]

كما يقومون بارتداء البياض، وبخاصة الظهائر والأردية البيض [2]، التي كانت مظهرا من من مظاهر الحزن لدى الأسر المنكوبة، وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

أَلاَ يا أهلَ أنـدلسٍ فـطِنـتُـم بـلطْـفِكم إلى أمـرٍ عجيبِ
لبِستُم في مـآتِـمِكُـم بـيـاضاً فـجِئتُم منه في زيٍّ غريبِ
صدَقتُم فالبياضُ لباسُ حزنٍ ولا حزْنَ أشدَّ من المشيبِ [3]

وقد استن أهل الأندلس لبس البياض في المآتم، منذ أن قامت الدولة الأموية هناك على يد عبد الرحمن الداخل [4]، الذي كان يؤثر اللون الأبيض، فجعله شعارا لدولته، سعيا منه إلى محاولته الحفاظ على استمرارية الدولة الأموية المندرسة في المشرق على يد العباسيين، والتي كانت تتخذ البياض شعارا لها، كما أنه أراد بذلك مخالفة شعار بني العباس المتمثل في السواد [5].

أما أبو الحسن الحصري [6]، الذي قدم من بلده القيروان على الأندلس، في بداية النصف النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (11م) [7]، فوجد الأندلسيين قد اعتادوا على لبس البياض في مآتمهم، فأنشد:

إذا كان البَياضُ لبـاسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاك مـن الـصوابِ
أَلَـمْ ترَني لبستُ بياضِ شيْبِي لأنِّي قد حزنْتُ على الشبابِ [8]

ثم يسعى أحد أفراد أسرة الميت إلى أن يأتيه بغاسل لغسله، إذا لم يكن أحد من ذويه أو أصدقائه أو جيرانه يُحسن ذلك، وممن عُرفوا بإجادتهم غسل الموتى، أحمد بن محمد بن سعيد

---

[1]ـ ابن دراج القسطلي ـ ديوان ابن دراج ـ تحقيق محمود علي مكي ـ المكتب الإسلامي ـ ط2 ـ 1389هـ/ 1969م ـ ص 100. 100.

[2]ـ سحر السيد عبد العزيز سالم ـ المرجع السابق ـ صص 159 – 178 ـ ص 171.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 440 – 441.

[4]ـ ابن دحية الكلبي ـ المصدر السابق ـ ص 81.

[5]ـ أحمد مختار العبادي ـ" شخصية عبد الرحمن الأول الأموي، الملقب بالداخل وصقر قريش " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 29 ـ 1997 ـ ص 26.

[6]ـ علي بن عبد الغني أبو الحسن الفهري الحصري المقرئ، توفي سنة 488هـ/ 1095م. ينظر: ـابن العماد الحنبلي ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ تحقيق محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق، بيروت ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1986م ـ ج5 ص 381 – 382.

[7]ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 283.

[8]ـ ابن دحية الكلبي ـ المصدر السابق ـ ص 81.

الأموي [1]، والفقيه أحمد بن عفيف، [2] الذي كان يجيد غسلهم وتجهيزهم، [3] أما الفقيه سعيد بن بن محسن [4] فقد اختص بغسل موتى الطبقة الخاصة [5].

مما يدفع إلى القول أن الأندلسيين كانوا يلجؤون إلى الفقهاء لغسل موتاهم لأحد سببين، إما لأن غالبيتهم كانوا يجهلون طريقة غسل الأموات، أو لأنهم كانوا يسعون إلى الحصول على بركة هؤلاء الفقهاء، والسبب الأول في نظرنا أرجح، إذ يقول ابن بشكوال، عن الفقيه أحمد بن عفيف أنه كان يجيد غسل الأموات، أي أن بعض الفقهاء لم يكن يجيد ذلك، فكيف بالعامة ؟

وفي الوقت نفسه ينشغل أفراد آخرون من أسرة الميت بإحضار الجهاز له، والمتكون عادة من الكفن والقطن الذي تُسد به الفتحات ويوضع بين فخذيه [6]، كما كان بعضهم يفضل الإحتفاظ بشيء من ماء زمزم لجهازه [7]، يضاف إلى ذلك الحنوط [8]، وفي هذا السياق يقول الشاعر الشاعر الأندلسي يحيى الغزال، بعد موت الفتى الصقلبي نصر الخصي [9]:

فَصار فيها كأشْقَى العالمينَ وإن لَفُّوهُ بالنَّفحِ في مِسْكٍ وكافُورِ [10]

وبعد أن يَنتهي الغاسل من عمله، يضع القطران في مخارج جسد الميت [11]، ثم يقوم بتبخير الكفن بالبخور [12]، ثم يكفن به الميت، وبذلك يكون هذا الأخير جاهزا ليُصلى عليه ثم ليُدفن.

---

[1]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 53 رقم 94.

[2]ـ أحمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول بن جراح بن حاتم الأموي، يكنى أبا عمر (348 ـ 420هـ/ 959 ـ 1029م). ينظر: القاضي عياض ـ المصدر السابق ـ ج2، ص 302.

[3]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 48.

[4]ـ سعيد بن محسن يكنى أبا عثمان ويلقب بالغاسل، توفي 401هـ/ 1010م. ينظر:المصدر نفسه ـ ص 183 رقم 474

[5]ـ المصدر نفسه ـ ص 183.

[6]ـ الرُعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد المغربي(ت 954هـ/ 1547م) ـ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط3 ـ 1412هـ/ 1992م ـ ج2 ـ كتاب الجنائز ـ ص 226.

[7]ـ النباهي ـ المصدر السابق ـ ص 89.

[8]ـ الحنوط هُوَ مَا يُخلط مِنَ الطِّيب لأَكفان الْمَوْتَى وأَجْسامهم خَاصَّةً، مِنْ ذَرِيرة أَو مِسْك أَو عَنْبَرٍ أَو كافُور مِنْ قصَبٍ هِنْدِيٍّ أَو صَنْدَلٍ مَدْقُوق. ينظر: ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج7 ص 279 ـ مادة حنط.

[9]ـ منٍ أهل قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى: أبا الفتح، مولى الأمير عبد الرحمن الثاني، توفي سنة 236هـ/ 850م ، بعد أن شرب سما حاول أن يسقيه الأمير. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 138 ـ رقم 1493.

[10]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 11.

[11]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص141.

[12]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ 318.

وقبل المشي بالجنازة إلى المسجد، يقوم أهلها بالإنذار لها، إما بأنفسهم، بمشيهم على سكان القرية أو المدينة، وبخاصة الأعيان منهم [1]، أو أنهم يوكلون من يقوم بذلك [2]، والهدف من والهدف من ذلك أن يشهد الجنازة عدد كبير من الناس، مما يسمح لأهلها بالتفاخر والمباهاة بها، وهذا ما استنكره بعض الفقهاء الأندلسيين [3].

وبعد تجهيزها، توضع الجنازة على نعش أو داخل تابوت، فأما العلماء والصلحاء فكانوا يُحملون على النعوش، ويُحتمل أن يكون ذلك بوصية منهم، لأن الفقهاء كانوا يكرهون وضع الموتى في التوابيت، واعتبروا ذلك من عادات النصارى [4]، ورغم ذلك فإن عددا من الأندلسيين الأندلسيين كانوا يفضلون دفن موتاهم في توابيت.

فعندما توفي الأمير المنذر، وضعه أخوه عبد الله في تابوت ونقله إلى قرطبة [5]، كما وُضع وُضع المظفر أبو مروان عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في تابوت ودفن بالزهراء، ورغم معارضة الفقهاء لهذه العادة، كما سبقت الإشارة إليها، إلا أنها استمرت في الأندلس إلى غاية القرن السابع الهجري (ق 13م) [6].

وقبل أن تُحمل إلى المسجد، يتم تضميخ الجنازة بالطيب، وبخاصة الغالية، وأول من أحدثت ذلك في الأندلس، فنيان حظية الأمير محمد، التي ضمخت ابنها الأصبغ بن الأمير محمد [7]، وتتولى مجموعة من الرجال حمل الجنازة نحو أحد المساجد ليُصَلى عليها، فتوضع عند باب من أبوابه مُعَدٍّ خصيصا لذلك، أما إن كان الميت من المغضوب عليهم، فإن نعشه يوضع في مكان غير لائق من المسجد مثل اسطوانة الميضأة، التي كان يوضع بها الموتى المحاويج والغرباء [8].

والغرباء [8].

[1]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 456.

[2]ـ أبو بكر الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ ص 153.

[3]ـ المصدر نفسه ـ ص 153.

[4]ـ أبو بكر الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ 153.

[5]ـ ابن حيان ـ القطعة الثالثة من المقتبس ـ ص 2.

[6]ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ـ ج3 ص 318.

[7]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 214.

[8]ـ ابن سعيد ـ المغرب في حلى المغرب ـ ج1 ص157.

وبعد الفراغ من صلاة الظهر أو العصر، يقوم المؤذن بالنداء على المصلين، طالبا منهم الصلاة على الجنازة، مع ذكر جنسها ذكرا كانت أم أنثى [1]، ويتولى الصلاة عليها إمام المسجد، أو قاضي الجماعة [2]، أو أحد أبنائه [3]، أو أحد الرجال الصالحين، الذي يوصي به المُتوفَّى [4].

ثم يتولى حمل النعش، نحو أقرب مقبرة، مجموعة من الرجال، وفي هذا المعنى يقول أبو عامر بن شهيد [5] ينعى القاضي ابن ذكوان [6]:

وَلـمَا أَبى إلاَّ التَّحَمُّلَ رائـحًا مَنحنَاهُ أعناقَ الكِرامِ ركائِبَا
يسيرُ به النَّعشُ الأعزُّ وحوله أباعِدٌ كانوا للمصابِ أقاربَا [7]

ويتقدم الجنازة عدد من الرجال رافعين أصواتهم، تارة بالإنشاد، وتارة أخرى بالإستغفار والتكبير، وذلك ما نهى عنه الفقهاءُ الناسَ، واعتبروه بدعة [8].

وبمجرد وصول الموكب الجنائزي إلى المقبرة، يتم دفن الميت في قبر دون لحد [9]، فيتكفل أفراد من أقرباء الميت بإدلائه في قبره، ثم يسوون فوقه الخشب واللبن [10]، ويتم غلق المسامات بالطمي، حتى لا تتسرب الرائحة، ثم توضع فوق القبر، عند رأس الميت، لوحة، من الرخام في الغالب، يسجل عليها اسم الميت، وكنيته، ووظيفته، وتاريخ وفاته، وما أوصى بكتابته عليها من آيات قرآنية، أو نثر، أو شعر، أو دعاء له بالرحمة والغفران [11].

---

[1]ـ ابن عبدون ـ رسالة في الحسبة ـ ضمن ثلاث رسائل في الحسبة ـ ص 23 وأحمد بن عبد الرؤوف ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ضمن ثلاث رسائل في الحسبة ـ ص 74.

[2]ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 67.

[3]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 17.

[4]ـ الضبي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 240.

[5]ـ أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد، يكنى أبا عامر (382 – 426 هـ/ 992 – 1035 م)، شاعر وعالم بالبلاغة، تولى منصب الوزارة. ينظر: الضبي ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 238-240 رقم 442.

[6]ـ أحمد بن عبد الله بن ذكوان (ت 413 هـ/ 1022م)، نال حظوة كبيرة على عهد الدولة العامرية، إذ عين قاضي القضاة، ثم أضيفت له الوزارة. ينظر: النباهي ـ المصدر السابق ـ ص84-87.

[7]ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 196- 197// المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 360.

[8]ـ الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ ص 153 // ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 76.

[9]ـ نفسه ـ ص 154.

[10]ـ الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 120.

[11]ـ ينظر الملحق رقم 10.

وبعد الإنتهاء من الدفن، يقف أصحاب الجنازة ليتشكروا لمعزيهم [1]، وخلال ذلك، يقوم يقوم أحدهم بتأبين الميت، إما بطلب من أحد أفراد أسرته، أو بوصية من الميت نفسه، فقد كتب ابن شهيد، المذكور آنفا، يوصي صديقا له، بتأبينه:

فَلاَ تَنْسَ تَأْبِينِي إذا مَا فَقَدْتَنِي   وتِذْكارِ أَيَّامِي وفضْلِ خَلاَئِقِي [2]

وأحيانا يقوم أحد الصالحين بالدعاء للميت ولأهله خاصة، وللأمة عامة [3]، ثم يغادر المشيِّعون المقبرة.

وقد اعتاد بعض الأندلسيين إقامة أخبئة على قبور موتاهم، يبيتون فيها طيلة الأسبوع الذي يلي الدفن [4]، ربما اعتقدوا، بعملهم هذا، مواساة الموتى والتخفيف من وحشتهم. وبعد انتهاء الأسبوع، يقومون ببناء القباب والسقائف على القبور [5]، وبخاصة ذوي اليسار منهم، وفي ذلك يقول الشاعر الأندلسي يحيى الغزال:

أرَى أهْلَ اليَسارِ إذا تَـوَفَّوْا   بَنَوْا تلك المقابِرَ بالـصخورِ
أَبَوْا إلاَّ مباهاةً وَفــــخْـــراً   على الفقراءِ حتى في القبورِ [6]

ثم يتعهدون تلك القبور بالزيارة، وبخاصة النساء، بعد الانتهاء من صلاة الجمعة [7]، وفي وفي المناسبات الدينية والأعياد والمواسم [8]، رغم أن الفقهاء يكرهون خروج المرأة إلى المقابر، إلا إلا إذا تعلق الأمر بزوجها أو أبيها أو ابنها [9].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المقابر في الأندلس تواجدت خارج أسوار المدن، بالقرب من أبوابها [10]، ورغم ذلك فإن الأندلسيين عرفوا باعتنائهم بمقابرهم أشد العناية، فمقبرة مالقة،

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 565.

[2]ـ ابن خاقان ـ المصدر السابق ـ ص 201.

[3]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 229.

[4]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج1 ص456 – 457.

[5]ـ أبو الوليد بن رشد ـ فتاوى ابن رشد ـ تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط1 ـ 1407هـ/ 1987م ـ ج2 ص 1242 – 1243.

[6]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 256.

[7]ـ توريس بلباس، المدن الإسلامية، ص 376 / / Levy provençal - Histoire de l’Espagne Musulmane - T 3 p 440 440

[8]ـ عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية، ص 69.

[9]ـ الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ ص 176-177.

[10]ـ توريس بلباس ـ المرجع السابق ـ ص 191.

على سبيل المثال، عرفت بقبورها المزخرفة، وبالأزهار والأشجار المغروسة على جوانب الممرات، مما أضفى عليها رونقا وجمالا، حتى أن المار بها يتمنى أن يُدفَن فيها [1].وكانت مقابر الجزيرة الخضراء "حسنة في نهاية من الأخذ بالقلوب والفرجة" [2].

وكانت السلطات الحاكمة بالأندلس تهتم بالمقابر، من حيث توسيعها وتنظيمها وصيانتها مما يدنسها [3]، وأسندوا هذه المهمة إلى موظفين حكوميين، يأتي على رأسهم القاضي، الذي كان كان يسهر على منع إدخال الآلات الموسيقية إلى المقابر، أو استعمالها فيها [4]، وكذا المحتسب [5]، المحتسب [5]، ورغم ذلك كانت بعض المقابر تتعرض لانتهاكات خطيرة من طرف بعض المنحرفين، إذ كانوا يقصدونها لتناول الخمور، وارتكاب الفواحش [6]، ومعاكسة النساء، وعرض وعرض السلع للبيع [7].

كما تجدر الإشارة في هذا المقام، إلى أن النصارى واليهود، الذين كانوا يعيشون في الأندلس إلى جانب المسلمين، كانت لهم، في كل مدينة، مقابرهم الخاصة [8]، وكانوا أحراراً في المشي بجنائزهم ودفنها، وكتابة ما يشاؤون باللغة اللاتينية أو العبرية على الألواح التي توضع على القبور [9].

مما سبق، أمكننا القول بأن الأندلسيين تميزوا باهتمامهم المفرط في ملابسهم، وفي تنويع أكلهم، كما استطاعوا جلب أمهر المغنيين، واستيعاب علم الغنى، والعمل على تطويره، وأبدوا ميلا كبيرا إلى حب الطبيعة، والخروج في حملات للصيد أو للنزهة، ترفيها على النفس، وتمتعا بمناظر الطبيعة.

ولم يفوتوا على أنفسهم فرصة المآتم ليبرزوا تميزهم عن بقية العالم الإسلامين، إذ كانوا يرتدون فيها الألبسة البيضاء، خلافا لما اعتاده بقية المسلمين.

---

[1]ـ ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج2 ص267.

[2]ـ ابن سعيد ـ المغرب ـ ج1 ص 321.

[3]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 92.

[4]ـ محمد بن حارث الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 235.

[5]ـ رسالة ابن عبدون في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل في الحسبة ـ ص 26.

[6]ـ نفسه ـ ص 26.

[7]ـ نفسه ـ ص 27.

[8]ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 253.

[9]- Dufourcq - op. cit - p 167

من أهم ما ميز الأندلس، خلال الفترة محل الدراسة، تعايش أتباع الديانات السماوية الثلاث، المسلمون والنصارى واليهود، على أرضها، مع احتفاظ كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث بخصائصها المميزة لها من جهة، ولعل أبرز هذه الخصائص الأعياد والمواسم الدينية،مع اشتراكها من جهة أخرى في بعض الأعياد، التي عُدت قومية أو وطنية.

1 ـ الأعياد:

كثرت الأعياد في الأندلس وتنوعت، بسبب تواجد أتباع الديانات السماوية الثلاث، وتعايشهم، فكان لكل طائفة أعيادها الخاصة بها، واشتركت جميعها في بعض الأعياد التي يمكن أن نسميها بالأعياد الوطنية أو القومية.

أ) أعياد المسلمين ومواسمهم:

ـ الأعياد:

أهم أعيادهم على الإطلاق، عيد الفطر وعيد الأضحى، وهما اللذان نصت عليهما الشريعة الإسلامية [1].

ـ عيد الفطر: كان من عادة المسلمين الإستعداد لعيد الفطر بشراء الحلوى ابتداء من الليلة السابعة والعشرين من رمضان [2]. وفي صباح هذا اليوم، يتزين الأندلسيون بتخضيب بعضهم لحيته وشعر رأسه بالحناء أو تسويدهما [3]، ويلبسون الثياب الجديدة [4]، بينما تقوم النسوة بتكحيل عيونهن، وتنظيف شعورهن وتسريحها، وترقيم أكفهن بالحنّاء، ووضع السواك على الشفاه، ولبس حليهن من عقود وأسورة، وتضميخ أنفسهن بالغالية [5]، ويرتدين أحسن الثياب، وبذلك يبدين في أحسن صورة، ويتوجه الكل إلى المصليات جماعات ووحدانا [6]،

[1]ـ أبو داود ـ كتاب الصلاة ـ باب صلاة العيدين ـ ج1 ص 295 ـ رقم 1134.

[2]ـ الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد، أبو بكر (ت 520هـ/ 1126م) ـ الحوادث والبدع ـ تحقيق علي بن حسن الحلبي ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ـ ط 3 ـ 1419 هـ/ 1998م ـ ص 150.

[3]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 15.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 95.

[5]ـ ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 353 – 354.

[6]ـ المصدر نفسه ـ ج2 ص 353.

مختلطين رجالا ونساء [1]، فأما الرجال فيؤدون صلاة العيد، وأما النساء والأطفال فيقيمون الخيم بالقرب من المصليات للتفرج لا للصلاة [2].

وكانوا يتفاخرون، بعضهم على بعض، بالثياب الجديدة، لذلك أنشد الشاعر أبو إسحاق الإلبيري [3] يُعرِّض برجل رآه يوم عيد الفطر يجر ثيابه الجديدة مزهُوًا مختالاً:

ما عيدُك الفخْمُ إلاَّ يومَ يُغْفَرُ لكْ   لاَ أن تَـجُـرَّ بـه مـسْـتـكْـبِـرا حُـلَلَكْ
كَمْ من جديـدِ ثيـابٍ دينـهُ خَـلِقٌ   تـكادُ تلعنُـهُ الأقـطـارُ حـيـثُ سَـلَكْ
وكمْ مُـرَقَّـعِ أطْمـارٍ جـديـدِ تُقَى   بكتْ عليهِ السَّما والأرضُ حينَ هلكْ [4]

وبعد انقضاء صلاة العيد، يتفرق الناس، فمنهم من يتوجه إلى زيارة الأهل والأحباب، ومنهم من يُيَمِّمُ نحو المتنزهات، ومنهم من يتوجه إلى المقابر لزيارة موتاهم [5].

أما الحكام، فبعد انصرافهم من الصلاة، يجلسون في إحدى جنبات قصر من قصورهم، لتلقي التهاني من وجوه الدولة وقادة الجيوش، ثم الإستماع إلى قصائد شعرية يهنئ فيها الشعراء الأمير أو الخليفة [6]، ثم تبدأ مجالس أنس، يقدم فيها الأكل والشراب، وتتخللها فترات فترات فكاهة وضحك [7].

ـ عيد الأضحى: يأتي هذا العيد بعد انتهاء المسلمين من أداء فريضة الحج، ويصادف اليوم العاشر من شهر ذي الحجة من كل سنة. فقبيل حلوله بأيام قليلة، تصبح الأضحية وسعرها وشكلها مدار حديث الناس [8]، ويقبل الناس على شراء الأضاحي، وأصبحوا

---

[1]ـ الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ ص 150.

[2]ـ المصدر نفسه ـ ص 152.

[3]ـ هو إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحاق التُّجيبي الإلبيري (375- 460هـ/ 985- 1068م) شاعر أندلسي أصله من أهل حصن العقاب. عاش في غرناطة وأنكر على ملكها استيزاره لليهودي ابن نغرلة فنفي إلى البيرة.. ينظر: ابن الأبار ـ التكملة ـ ج1 ص 119 رقم 352.

[4]ـ أبو إسحاق الإلبيري ـ ديوان أبي إسحاق الإلبيري (ت 460هـ/ 1068م) ـ تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ ط1 ـ 1991م ـ ص 80.

[5]ـ ابن الحاج، محمد أبو عبد الله العبدري (ت737هـ/ 1136م)ـ المدخل ـ دار التراث ـ القاهرة ـ دت ـ ج1 ص 286.

[6]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 28 – 29.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 95.

[8]ـ نفسه ـ ج 3 ص 383.

يتنافسون " في الضحية للإفتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا"[1]، ولذلك كثيرا ما يُضطر ربُّ البيت، من طرف أفراد أسرته، إلى رهن أشياء ثمينة أو الإستدانة لشراء كبش العيد [2]. أما بالنسبة لمن يملكون ضياعا في البوادي ويسكنون المدن، فإنهم يتلقون منها، بهذه المناسبة، كبشا حيا رباعيا [3].

وفي صباح يوم العيد يتوجه المسلمون باكرا إلى المصليات، ويتم إحضار أضحية من الماعز أو من الضأن [4]، لكي يقوم الإمام الخطيب بذبحها، بعد فراغه من الصلاة، حتى يتسنى للمسلمين بعده ذبح أضاحيهم، وفق أحكام الأضحية في الشريعة الإسلامية [5]

وبعد انتهاء صلاة وخطبة العيد، يعود الأندلسيون إلى منازلهم لنحر أضاحيهم، أما حاكم الأندلس فيعود إلى قصره لتلقي التهاني من طرف أقربائه ووزرائه وأعيان الدولة والمجتمع، والإستماع إلى القصائد الشعرية التي يلقيها الشعراء أمامه بهذه المناسبة [6].

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض حكام الأندلس لم يتورعوا عن ارتكاب المحرمات، مثل تناول الخمور والإنغماس في اللهو والمجون، في يوم عيد الأضحى [7]، كما أن بعض أصحاب المناصب الحساسة، مثل القضاة، كانوا يفضلون العودة إلى أعمالهم في اليوم الثاني من أيام العيد، حتى لا تتعطل مصالح الناس [8].

❖ المواسم الإسلامية:

وإلى جانب العيدين الشرعيين، احتفل مسلمو الأندلس بمواسم أظهروا فيها فرحتهم وابتهاجهم، واتخذوها أعيادا، وتتمثل في:

---

[1]ـ الطرطوشي ـ الحوادث والبدع ص 152.

[2]ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 3 ص 325.

[3]ـ ابن العطار ـ الوثائق والسجلات ـ ص 60 ـ 61.

[4]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 55.

[5]ـ ابن عبد البر ـ الكافي في فقه أهل المدينة ـ تحقيق محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني ـ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ـ ط ط 2 ـ 1400هـ/ 1980م ـ ج 1 ـ كتاب الضحايا ـ باب وقت ذبح الضحايا ـ ص 423.

[6]ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 60 – 61 – 94 – 184.

[7]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ مج 1 ص 245.

[8]ـ ابن الأبار ـ التكملة ـ ج2 ص 196.

ـ عاشوراء: يصادف اليوم العاشر من محرم، وقد صامه النبيﷺ وأمر بصيامه،[1] ويُندب فيه التوسع في النفقة على الأهل والأقارب والتصدق على اليتامى والمساكين[2]، وفي هذا المضمار كتب عبد الملك بن حبيب [3] إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط بن الحكم يدعوه إلى الإحتفال بعاشوراء:

لاَ تَنْس ـ لاَ يُنْسِك الرَّحمنُ ـ عَاشُورا   واذْكُرْه، لاَ زِلْتَ فِي الأَحْياءِ مَذْكُوراً
قَال الـرَّسولُ ـ صـلاةُ اللَّهِ تَشْـمُلُهُ ـ   قَولاً وَجَدْنا عَلَـيـهِ الحـقَّ والـنُّـورَا:
مَن بَاتَ فِي لَيْلِ عاشـوراءَ ذَا سَـعَـةٍ   يَـكُنْ بِـعَـيْشَتِـهِ في الحَـوْلِ مَحْبـورَا
فَارْغَبْ ـ فَدَيْتُكَ ـ فـيمَا فيه رَغَّـبَنَـا   خَيْرُ الـوَرَى كُـلِّهِمْ حَـيّاً ومَـقْبُـوراً [4]

ويبدو أن صاحب الأبيات لمح إلى الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه النبي ﷺ: " مَنْ وَسَّعَ عَلَى عِيَالِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِه " [5]، والراجح أن أهل الأندلس عملوا بهذا الحديث، فكانت الأسر الأندلسية تشتري المكسرات من قسطل وبلوط وجوز ولوز، إضافة إلى التين الجاف وشرائح التين وغيرها [6]، ومن المحتمل أنها كانت تقوم بذبح الدجاج وغيرها من الطيور، وطبخ الحبوب بمناسبة هذا اليوم، كما كان يقوم بذلك سكان المغرب [7].

ـ ومن المواسم المحتفل بها في الأندلس حلول شهر رمضان وليلة السابع والعشرين منه، فمنذ الأيام الأخيرة من شهر شعبان يبدأ المسلمون بالاستعداد لاستقبال شهر الصيام،

[1]ـ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ/ 870 م) ـ الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري) ـ تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ـ دار طوق النجاة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1422هـ/ 2001م ـ كتاب الصوم ـ باب صيام عاشوراء ـ ج3 ص 44 رقم 2004.

[2]ـ ابن الحاج ـ المدخل ـ ج1 ص 289.

[3]ـ عبد المَلِك بن حَبِيب بن سُلَيْمان بن هارون (174- 238 هـ/ 790- 853م)، عالم الأندلس وفقيهها، تصانيفه تزيد عن الألف، أهمها "الواضحة".ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج1 ـ ص 246 رقم 816.

[4]ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 48.

[5]ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت 360هـ/ 971م) ـ المعجم الكبير ـ تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ـ مكتبة ابن تيمية – القاهرة ـ ط2 ـ باب من روى عن ابن مسعود أنه لم يكن مع النبي ﷺ ليلة الجن ـ ج 10 ص 77 ـ رقم الحديث 10007.

[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 83 ـ المثل رقم 364.

[7]ـ ابن الحاج ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 289.

بالامتناع عن المحرمات كالزنا وشرب الخمر، وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء:

قَالُوا غدًا رمضانُ فاسْتَعِدْ تُقىً وبِتْ على الصَّومِ والهِجْرانِ لِلكاسِ [1]

وفي ليلة الثلاثين من شعبان يشكل حاكم الأندلس لجنة لرصد هلال رمضان، يترأسها قاضي الجماعة، فإذا ثبتت رؤية الهلال، يكتب القاضي بذلك إلى الحاكم، ويتم الإعلان رسميا عن بداية شهر رمضان [2]، فيقوم هذا الأخير بتفريق الصدقات على الفقراء والمحاويج، حتى يتسنى لهم مثل باقي السكان، الإستعداد لهذا الشهر [3].

وخلال هذا الشهر يتم إيقاد الأنوار في المساجد التي تستقبل المصلين، خاصة لأداء صلاة التراويح [4]، فقد كان المسجد الكبير في قرطبة يستهلك في رمضان نصف كمية الزيت المخصصة له سنويا لإيقاد القناديل، مما يوحي بأن القناديل والأسرجة كانت تبقى موقَدة طيلة الليل إلى ما بعد صلاة الصبح.

ومباشرة بعد الإنتهاء من صلاة التراويح، يخرج سكان المدن إلى الشوارع، التي تغص بالمارة والباعة المتجولين، الذين يعرضون أصناف الحلويات والمشروبات الباردة [5].

إلا أن أعظم ليلة في هذا الشهر، هي بلا شك ليلة السابع والعشرين، إذ اعتاد الأندلسيون في هذه الليلة على شراء الحلويات [6]، ربما كان ذلك منهم استعدادا لعيد الفطر الوشيك، وتوقد في المساجد المزيد من الأنوار، حتى تبدو لناظرها وكأنها النهار، وفي ذلك يقول الشاعر ابن أبي الخصال [7]:

أَجِدُكَ لم تَـشهدْ بها لـيْلةَ الـقدْرِ وقَدْ جَاشَ بَرُّ الناسِ منه إلى بَحرِ
وقدْ أُسرِجَتْ فيه جِبالٌ من الزَّهرِ فَلَو أن ذلكَ النُّورَ يُقْبَسُ مِن فَجرِ

1ـ ابن الصيرفي، أبو القاسم، علي بن منجب بن سليمان(ت 542هـ/ 1148م) ـ المختار من شعر شعراء الأندلس ـ تحقيق عبد الرزاق حسين ـ دار البشير، عمان ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1985م ـ ص 70.

2ـ النباهي ـ المصدر السابق ـ ص 78.

3ـ ابن حيان ـ القطعة الخامسة من المقتبس ـ ص 23.

4 - Levy Provençal - op. cit - t 3 p 436.

5 - Ibid - t 3 p 436.

6ـ الطرطوشي ـ المصدر السابق ـ ص 150.

7ـ ابن أبي الخِصَال، محمد بن مسعود الغافقي (465- 540 هـ/ 1073- 1146م)، شاعر وأديب. ينظر : ابن بشكوال ـ الصلة ـ ص 458 رقم 1297.

لَأَوْشَكَ نُورُ الفَجرِ يَفْنَى ويَنْضَبُ [1]

كما كانت هذه الليلة مناسبة يتوجه فيها أفراد الأسرة كلهم، رجالا ونساء وأطفالا إلى المساجد [2]، التي توقد فيها كميات هامة من البخور والأفاويه، وبخاصة العنبر والعود الرطب [3]، ومن غير المستبعد أن تكون منازل المسلمين في الأندلس قد نالت نصيبها من هذه البخور.

مما سبق يمكننا القول بأن الغالبية العظمى من المسلمين الأندلسيين كانوا يقدسون عيدي الفطر والأضحى، ويقومون فيهما بما توجبه عليهم الشريعة الإسلامية، من إظهار السرور والبهجة، وارتداء أبهى الثياب، والتزاور، والقيام بالنسك، أي أنهم كانوا يظهرون لمن يساكنهم من أهل الذمة، مدى تشبثهم بهويتهم الإسلامية العربية.

ب) أعياد المسيحيين ومناسباتهم:

يمكن تقسيم أعياد المسيحيين في الأندلس، إلى عامة أو كبرى، يشتركون فيها مع بقية المسيحيين في مختلف الأمصار، وأعياد أخرى خاصة أو صغرى، يُحتفل بها في الأندلس فقط.

❖ **الأعياد الكبرى (العامة):** وعددها سبعة[4]، وهذه الأعياد ترتبط حسب زعمهم بأحداث وقعت للمسيح عليه السلام، وتتمثل في:

ـ **عيد البشارة:** يحتفل به المسيحيون يوم الخامس والعشرين من شهر مارس من كل سنة، اعتقادا منهم أن جبريل عليه السلام، بشر مريم في هذا اليوم بميلاد المسيح عليه السلام، ومن أهم عادات النصارى في هذا العيد، الامتناع عن إقامة حفلات الزواج.

ـ عيد ميلاد المسيح عليه السلام: وهو من أعظم أعيادهم، يكون ليلة الخامس والعشرين من شهر ديسمبر [5]، وتتواصل الاحتفالات به لمدة ثمانية أيام، إلى غاية ليلة الفاتح

---

[1]ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 2 ص 281.

[2]ـ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد (ت 528 هـ/ 1134م) ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ تحقيق محمد علي شوابكة ـ دار عمار – مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ/ 1983م ـ ص 192.

[3]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 288.

[4]– القرطبي شمس الدين– الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام– تحقيق أحمد حجازي حجازي السقا– دار التراث العربي ـ القاهرة– ط1 1398هـ/ 1978– ص424.

[5]ـ عريب بن سعيد ـ المصدر السابق ـ ص 115.

من يناير، يتهادى فيه المسيحيون الهدايا، وخاصة المأكولات المختلفة والحلوى[1]، وتخرج فيه النساء إلى الكنائس لابسات الحرير المذهب، وملتحفات اللحف الرائقة، ومتنقبات بالنقب الملونة، ومنتعلات الأخفاف المذهبة، ومتحليات بحليهن، ومخضبات ومتعطرات [2]، مما يبرز أهمية هذا العيد، وقدسيته، كما يُكثِر النصارى فيه من إيقاد النيران، وشراء الشموع وطهو الطعام.

ـ عيد رأس السنة الميلادية:

ويسميه الأندلسيون النيروز أو النوروز، أو ليلة الحجوز، أو العجوز[3]، وهو سابع ميلاد عيسى بن مريم عليه السلام ويوم ختانه [4]، يزعم النصارى أن يحي عليه السلام، غَسَّلَ فيه عيسى عليه السلام، في بحيرة الأردن، ومن عاداتهم في هذا العيد، أن يتهادوا صنوف الأطعمة، وأنواع التحف والطرف، ويتركون أعمالهم فيه [5]، وكان الأندلسيون يعتبرون هذه الليلة، أنسب ليلة للزواج، إذ تم فيها، على سبيل المثال، زواج المنصور بن أبي عامر من أسماء بنت غالب الناصري [6].

ومن عاداتهم أيضا شراء الفواكه، وبالأخص الأترج، الذي كان من لوازم الاحتفال بالنيروز [7]، وكذا شراء اللحوم والتوابل، وإقبال الناس على شراء اللعب للأطفال كالزيافات كالزيافات أو الزرافات والكمادين وما يشبهها [8]، والتخضب بالحناء [9].

---

1 – Duffourcq–op. cit – p 75.

2– ابن جبير ـ المصدر السابق ـ ص 308.

3– سحر السيد عبد العزيز سالم- " الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط في الأندلس (دراسة سياسية أدبية واجتماعية)" ـ **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي**- ص73 .

4 – Le calendrier de Cordoue - p 18.

5– الونشريسي- المصدر السابق- ج11 ص150.

6– سحر السيد عبد العزيز سالم- المرجع السابق- ص72.

7– الزجالي – المصدر السابق ج 2- ص328.

8– ابن رشد، أبو الوليد القرطبي (ت 520هـ/ 1126م)- فتاوى ابن رشد- تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي ـ دار دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1407هـ/ 1987 ـ ج2 ص940، والزرافة: منزفة الماء. ينظر: ابن منظور- لسان العرب- ج9 ص133- مادة زرف.

9– ابن بسام الشنتريني- الذخيرة- ج1 ص433.

ـ عيد الفصح:

وهو العيد الكبير عندهم، ويسمونه قيامة المسيح أو عيد النور أو العيد الكبير[1]، وتبدأ الاحتفالات بهذا العيد في اليوم الثاني والعشرين من مارس، بعد صومهم الذي يبدأ مباشرة بعد عيد رأس السنة الميلادية، والذي يدوم اثنين وأربعين يوما [2].

ومن عاداتهم في هذا العيد خروج النساء، وصبغ البيض، وشراء الخمور، والتهادي بالبيض واللبن واللحم والغنم، ذلك لأن صومهم هو عن الحيوان وما يخرج منه [3]، كما كانوا كانوا يحتفلون بخميس أبريل أو خميس العهد، وهو أول أيام الفصح بشراء المجبنات الحارة والاسفنج [4].

ـ عيد الرقي أو الصعود أو السلاق: ويحتفل به بعد اثنين وأربعين يوما من عيد الفصح، وذلك بمناسبة امتطاء المسيح سحابة بحضور الحواريين رقت به إلى السماء [5]، حسب زعمهم.

ـ عيد العنصرة: ويسميه الأندلسيون المهرجان أو عيد القديس يوحنا، ويصادف يوم الرابع والعشرين من شهر جوان من كل سنة، ويعتقد النصارى أن الروح القدس نزل فيه على الحواريين وحل فيهم فتكلموا بجميع الألسنة، وتفرقوا في العالم يدعون إلى دين المسيح[6]، كما كانوا يعتقدون أن يحي بن زكريا عليهما السلام ولد في مثل هذا اليوم [7].

ـ عيد الشعانين(Fiesta de las palmas): ويقابل كلمة شعانين في اللغة العربية التسبيح، وفي هذا العيد يخرج المسيحيون من كنائسهم حاملين سعف النخل، وذلك في ذكرى دخول المسيح عليه السلام صهيون [8]، راكبا حماره(العفور)، والناس يُسَبّحون بين

---

[1] - ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (728هـ/ 1328م) – مجموع الفتاوى– تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – 1416هـ/ 1995م – ج 25 ص322.

[2] ـ عريب بن سعيد ـ المصدر السابق ـ ص 15.

[3] - نفسه – ج25 ص 172.

[4] - الطرطوشي- المصدر السابق- ص117.

[5] - القرطبي- الإعلام بما في دين النصارى من المفاسد والأوهام- ص424.

[6] - المصدر السابق- ص424/ القلقشندي- المصدر السابق- ج2 ص455.

[7] ـ عريب بن سعيد ـ المصدر السابق ـ ص 65.

[8] - صهيون بكسر أوله وإسكان ثانيه هو اسم لبيت المقدس، وهو كنيسة جليلة حصينة عند بيت المقدس- البكري- معجم ما استعجم- تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م- ج3 ص844/ الحميري- المصدر السابق- ص370.

يديه،[1] وتكون الاحتفالات بهذا العيد أحد أيام الأسبوع السابق لعيد الفصح، يخرج فيه المسيحيون حاملين صلبانهم ومسبحين.

❖ -**الأعياد الصغرى (الخاصة)**: هي متعددة ومنها ما هو خاص بشبه الجزيرة الإيبيرية كلها، ومنها ما هو خاص بمدينة أو ناحية أو قرية، وسوف نكتفي بذكر البعض منها على سبيل المثال:

ـ عيد الرسل أو عيد القديسين: يَحتفل به المسيحيون في أول يوم من شهر نوفمبر من كل سنة، ويقومون فيه بإيقاد الشموع، ذكورهم وإناثهم، صغارهم وكبارهم [2]، وتتواصل الاحتفالات به لبضعة أيام.

ـ عيد العصير: يسمونه في الشرق عيد الصليب [3]، ويحتفلون به إحياء لذكرى صلب المسيح عليه السلام حسب زعمهم، ويصادف الواحد والعشرين من شهر سبتمبر أي مع الاعتدال الخريفي متزامنا مع موسم قطف العنب [4]، يخرج فيه أهل الأندلس إلى الحقول بعائلاتهم، ويقضون أياما في جو ملؤه المرح والرقص والغناء، يقومون خلالها بجني العنب [5].

ـ عيد الرسل السبع: كان هذا العيد ينظم في مدينة وادي آش بكورة غرناطة، وتبدأ الاحتفالات به في فاتح ماي، وتدوم أسبوعا كاملا، ومناسبته أن سكان شبه جزيرة إيبيريا يعتقدون أن القديس توركاتوس (San Torcuato) وصل إلى المنطقة على رأس سبعة رسل بهدف تمسيح سكانها، وبعد وفاته دفن بكنيسة كان قد غرس عندها شجرة زيتون كانت تزهر يوم الثلاثين من أفريل، وتثمر وتنضج ثمارها يوم الفاتح ماي، فكان مسيحيو المنطقة يتوجهون إليها في مثل هذا اليوم، فيجنون زيتونها ويستخرجون منه الزيت لإضاءة الكنيسة [6].

ـ احتفالات ليلة النصف من شهر أوت: كان نصارى الأندلس يعظمون هذه الليلة تعظيما كبيرا، لأنهم يزعمون أن مريم العذراء نزلت، من السماء، في مثل هذه الليلة، على

1- القلقشندي- صبح الأعشى- ج2 ص455.
2- ابن جبير- المصدر السابق- ص90.
3- المقدسي- المصدر السابق- ص165.
4- المصدر نفسه – ص 165.
5- كمال السيد أبو مصطفى- تاريخ مدينة بلنسية- ص245.
6- العذري- المصدر السابق- ص7.// Simonet – op . cit – p 161

المطران دون أذفونش (El metropolitano don Alfonso) بالكنيسة الجامعة (كاتدرائية طليطلة)، وكست رأسه بقجيلة وجسمه بثياب مزينة [1].

ج) أعياد اليهود:

أعياد اليهود التي حددتها التوراة خمسة [2]:

ـ عيد رأس السنة: يصادف اليوم الأول من شهر أكتوبر المسمى عندهم (تشرى)، وهو بمثابة عيد الأضحى عند المسلمين، لأنهم يدَّعون أن الله أمر إبراهيم بذبح إسحاق، وليس إسماعيل، ثم فداه بذبح عظيم.

ـ عيد حوماريا أو صوماريا، ويسميه اليهود أيضا بالكيبور (Kippur) وهو عندهم الصوم الكبير، الذي مدته خمس وعشرون ساعة، يبدأ في اليوم التاسع ويستمر إلى نهاية اليوم العاشر من أكتوبر، وعقوبة من لم يصمه القتل، ويزعمون أن الله يغفر لهم خطاياهم بهذا الصوم.

ـ عيد المظلة، يبدأ من اليوم الخامس والعشرين من أكتوبر، ويدوم سبعة أيام، وهو ذكرى لإظلال الله لهم في التيه بالغمام.

ـ عيد الفطير، ويسمى أيضا عيد الفصح، يكون في الخامس عشر من أبريل، ويدوم سبعة أيام يأكلون خلالها الفطير [3]، يحتفلون فيه بذكرى نجاتهم من فرعون.

ـ ومنها عيد الأسابيع، وهى الأسابيع التى فرضت عليهم فيها الفرائض، ويكون بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع، ويسمّى عيد العنصرة، وعيد الخطاب، ويسمى بالإنجليزية (Pentecost)، يقولون أنه كمّل فيها الدّين. يأكلون فيه القطائف ويجعلونها بدلا عن المنّ الذي أنزل عليهم في هذا اليوم.

إلى جانب الأعياد المذكورة أعلاه، أحدث اليهود عيدين، كانوا يحتفلون بهما في كل الأمصار، وهما:

---

[1] - القرطبي- الإعلام- ص386.

[2] ـ للمزيد عن هذه الأعياد، يمكن العودة إلى: النويري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 195 و196 // القلقشندي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 463 و464 و465.

[3] ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 11 ص 111.

ـ عيد الفوز أو الفوريم (Purim)، يحتفلون به في الخامس عشر من شهر آذار (مارس) من كل سنة، بمناسبة نجاتهم من الإبادة التي نوى الفرس تنفيذها في حقهم.

ـ عيد الحنكة: يشرعون في الإحتفال بهذا العيد من منتصف ديسمبر ولمدة ثمانية أيام، ومعنى الحنكة التنظيف، لأنهم نظفوا فيه بيت المقدس (الهيكل بزعمهم) من الجبابرة وأشياعهم.

د) الأعياد الأندلسية العامة أو المشتركة:

وهي الأعياد التي يشترك سكان الأندلس كلهم، على اختلاف دياناتهم، في الإحتفال بها، وتتمثل في:

ـ النيروز أو النوروز، وقد ذكر الشاعر محمد بن مسعود [1] كيفية الاستعداد للاحتفال به في الأبيات التالية:

أَبَا القاسمِ اسْمعْ من عُبَيْدِك طُرْفةً   أُبثُّكَهَا فَاذنْ لها تلِجُ الأذنَا
دنَتْ ليلةَ النَّيْروزِ منَّا ولم تكنْ   لِترضَى لنَا فيها من العيْشِ بالأدنَى
وقالتْ خَجولي سِرْ إلى السوقِ واحْتَفِلْ   ولا تُبْقِ فيها من جراديقِها فَنَّا
وقِفْ بِابْنِ نصْرٍ واحْشَوَنَّ ثَمَّ قُفةً   من أَطْرفِ ما يَحْويهِ كي تُذْهِبِ الشَّجَنا
وجُزْ بالفتى الجزَّارِ واخْتَرهُ هابِلاً   بِقَدِّ ابنِ فَتْوِي أبي بكرٍ المُضْنَى
ولابُدَّ من أُتْرُجَّةٍ صعْتَريَّةٍ   وإيَّاك أنْ تنسَى التَّوابِلَ والحَنَّا [2]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن الأندلسيين كانوا يستعدون للنيروز بشراء الأترج والحناء قصد التزين بها، والتوابل لتحضير أطباق خاصة بهذه المناسبة، كما يتبين أن أرباب الأسر الأندلسية كانوا يوسعون في النفقة على عيالهم بشراء اللحوم والفواكه وتحضير أطيب المأكولات الخاصة بهذا العيد، أبرزها ثريدة المثوم التي تحضر بالدجاج أو طيور أخرى أو الأرانب والجبن [3].

---

[1]- أبو عبد الله محمد بن موسى بن مسعود من مشاهير شعراء المائة الخامسة. ينظر: ابن سعيد- المصدر السابق- ج1 ص 134 - رقم 66.

[2]- ابن بسام- المصدر السابق – ج1 ص433.

[3]ـ ابن رزين التجيبي ـ فضالة الخوان في طيبات الطعام ـ تحقيق محمد بن شقرون ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط2 ـ 1984 ـ ص 54.

وكان عامة الأندلسيين يدخرون الأترج لاستعماله في عيد النيروز، إذ كان يصنع منه مريب، وفي ذلك يقول المثل العامي "في شهر يناير يعمل مريب الأترج وشراب الحماض" [1] ومن جهة أخرى كان المسيحيون يقدمون الهدايا لأصدقائهم المسلمين في مثل هذه الأعياد، ويدعونهم إلى وجبات خفيفة [2]، ومما لا شك فيه أن المسلمين كانوا يقبلون هذه الهدايا ويلبون هذه الدعوات، وهذا في حد ذاته دليل على حسن تقبل العامة المسلمة لهذه الأعياد، كما كان المسلمون يشترون اللعب لأبنائهم، بل إن بعضهم كان يصنعها ليبيعها لأطفال المسيحيين والمسلمين [3]، وبعضهم كان يشتري المجبنات والإسفنج في خميس أبريل [4] مثلما يفعل المسيحيون في هذا العيد.

ويتحسر أبو بكر الداني [5] على عدم حضوره احتفالات رأس السنة الميلادية (النيروز) نظرا لتقدمه في السن، مما يوحي أنه لم يكن يغيب عنها في شبابه إذ يقول:

لَوْ أَنَّ لِي قُوَّةَ عَهْدِ الصِّبَا   لَمْ أَتْرُكِ النَّيْرُوزَ دُونَ اصْطِبَاحِ [6].

وكانت الأسر الأندلسية تتفنن في صناعة العجائن في هذا العيد، وتصنع منها أشكالا جميلة جذابة، هذا ما جاء على لسان أحد شعراء الأندلس، حين دخل بيتا من بيوت الأغنياء يوم نيروز فوجد فيه أشكالا متنوعة من العجائن، فأنشد:

مَـدِينَـةٌ مُـسَـوَّرَهْ   تَحَـارُ فِيهَا السَّحَرَهْ
لَـمْ تَـبْـنِـهَا إِلاَّ يَـدٌ   عَـذْرَاءُ أَوْ مُـخَدَّرَهْ
بَدَتْ عَرُوسًا تَجْتَلِي   مِنْ دَرَمِكَ مُزَعْفَـرَهْ
وَمَـا لَـهَـا مَـفَـاتِحُ   إِلاَّ الـبَنَـانُ العَشَـرَهْ [7]

[1]- الزجالي – المصدر السابق- ص328.

[2] - Duffoucq – op cit – p75.

[3]- ابن رشد – فتاوى ابن رشد – المصدر السابق – ج2 ص940، وج6 ص70.

[4]- الطرطوشي- الحوادث والبدع- ص117.

[5]- هو محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني يكنى أبا بكر ويعرف بابن اللبانة، كان من جلة الأدباء وفحول الشعراء توفي بميورقة سنة 507هـ/ 1113م ينظر: ابن الأبار- التكملة لكتاب الصلة – ج1ص333 رقم1183/ ابن بسام –الذخيرة – ج3 ص500.

[6]- ابن بسام- المصدر السابق- ج3 ص527.

[7]- المصدر نفسه- ج4 ص63-131 / ابن سعيد- المصدر السابق- ج 1 ص 294 .

ـ المهرجان (العنصرة):

أما بالنسبة للمهرجان (العنصرة) فكان هو الآخر موسما وعيدا تستعد له الأسر الأندلسية وتحتفل به، وكانت تنتظره كمناسبة للزينة والسعادة والتكافل الاجتماعي، وفي ذلك يقول حسان بن مالك بن أبي عبدة [1]:

أَرَى المَهْرَجَانَ قَدِ اسْتَبْشَرَا غَـدَاةَ بَـكَى المُزْنُ وَاسْـتَعْبَرَا
وَسَرْبَلَتْ الأَرْضُ أَمْوَاهَهَا وَجَلَّلَتِ السُّنْدُسَ الأَخْضَرَا
وَهَـزَّ الـرِّيَـاحُ صَنَايِـيـرَهَا فَضَوَّعَتِ المِسْـكَ وَالعَنْـبَـرَا
تَهَادَى بِهِ النَّاسُ أَلْـطَـافَـهُ وَسَـامَـى المُـقِلُّ بِـهِ المُـكْثِرَا [2]

وكان سكان الأندلس على اختلاف مراتبهم وأعمارهم يحضرون عيد العنصرة، ويحتفلون به بإقامة ألعاب مختلفة، واستعراضات للأسطول البحري الأندلسي، وعن ذلك يقول أبو بكر بن اللبانة:

بُشْـرَى بِـيَـوْمِ المَهْرَجَـانِ فَـإِنَّـهُ يَـوْمٌ عَلَيْهِ مِـن احْـتِـفَائِكَ رَوْنَقُ
طَـارَتْ بَنَاتُ المَاءِ فِيهِ وَرِيشُـهَا رِيشُ الغُرَابِ وَغَيْرُ ذَلِكَ شَوْذَقُ
وَعَلَـى الخَلِيـجِ كَتِـيبَـةٌ جَـرَّارَةٌ مِـثْـلَ الخَـلِيجِ كِـلاَهُمَـا يَتَـدَفَّقُ [3].

ومن عادات الأندلسيين في هذا اليوم إقامة المباريات وسباق الخيول، وإقدام النساء على زركشة بيوتهن، وإخراج ثيابهن ليلا، وتحضير أطباق من ورق الكرنب والخضرة والاغتسال بالماء [4].

ـ عيد العصير:

يقام في موسم جني محصول العنب وعصره، أي في شهر سبتمبر [5]، فكان الأندلسيون ينتقلون إلى مساكنهم وضياعهم في الريف، ويقيمون هناك عدة أيام لجمع المحصول وتحويله إلى

[1]- حسان بن مالك بن أبي عبدة (ت 416هـ/ 1025م): من أهل اللغة والأدب، له أشعار في أغراض عديدة. ينظر: الصلة لابن بشكوال- ص140 / ابن الأبار- المصدر السابق- ج3 ص4 رقم 5.

[2]- المقري- المصدر السابق- ج3 ص547.

[3]- المراكشي- المعجب- ص153.

[4]- الونشريسي- المعيار المغرب- ج11 ص151.

[5]ـ توريس بلباس ـ المرجع السابق ـ ص 207.

زبيب، وهي أيام فرح يرتدون أزياءهم الزاهية وحليهم الثمينة ويغنون ويرقصون [1].

مما سبق، يتبين مدى التسامح الذي كان سائدا بين أتباع الديانات السماوية الثلاث المتواجدة في الأندلس، في الفترة التي نحن بصدد دراستها، فكل منها كانت تحترم أعياد الطائفة الأخرى، بل أنها كانت تشترك كلها في أعياد، كانت محسوبة على المسيحيين، مثل النيروز، مما يدل على تماسك عناصر المجتمع الأندلسي خلال هذه الفترة.

السلوكات في المجتمع الأندلسي:

إن اتساع المدن الأندلسية، وارتفاع ساكنتها، وتعايش المسلمين والمسيحيين واليهود فيها جنبا إلى جنب، عوامل شجعت على ظهور مجموعة من السلوكات، بعضها محمود، والبعض الآخر مذموم.

أ) السلوكات المحمودة:

ـ الإهتمام بالهندام:

يقول المقري: "وأهل الأندلس أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك ممّا يتعلّق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعةً على حالة تنبو العين عنها " [2]. يفهم من ذلك أن الأندلسيين يعتنون بلباسهم أشد اعتناء، ويحرص الواحد منهم، على أن تبدو ثيابه نقية، ذات ألوان جذابة ومتناسقة، لذلك يقول الشاعر السميسر:

تَحَفَّظْ مِنْ ثِيَابِكَ ثُمَّ صُنْهَا   وَإِلاَّ سَوْفَ تَلْبَسُهَا حِدَادَا [3]

وكان أهل الأندلس يستهزئون بالشخص الذي يرتدي ثيابا غير متناسقة، أو ذات ألوان غير متناغمة [4]، لذلك كانوا يرتدون الثياب الرفيعة الملونة، المصنوعة من الصوف أو الكتان أو غيرهما [5]، وجعلوا لكل فصل ألبسة خاصة، إذ كانوا يلبسون الثياب البيض في فصل الصيف،

---

[1] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 422 // أحمد مختار العبادي ـ " الإسلام في أرض الأندلس " ـ **مجلة عالم الفكر** ـ وزارة الإعلام ـ الكويت ـ مج 10 ـ العدد 2 ـ سبتمبر 1979 ـ ص 107.

[2] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 223.

[3] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 100.

[4] ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 80.

[5] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 52// العمري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 231.

الصيف، الذي يبدأ حسبهم من الرابع والعشرين من شهر جوان، إلى غاية أول أكتوبر، ثم ينتقلون، في فصل الخريف، إلى ارتداء الثياب الملونة، والمتمثلة خاصة في الجباب والدراريع التي لا بطائن لها، وفي الشتاء ينتقلون إلى الثياب ذوات الحشو والبطائن الكثيفة [1] .

ـ الإهتمام بنظافة البدن:

اشتهرت المدن الأندلسية بكثرة حماماتها العمومية، التي كان يقصدها السكان، على اختلاف دياناتهم، لتنظيف أجسامهم، والمسلمون منهم لرفع الحدث الأكبر، وللإغتسال، استعدادا لصلاة الجمعة، عملا بقول النبي ﷺ : " غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ" [2]، كما أن استنشاق هواء الحمام الساخن، ينعش النفس ويبعث فيها الشعور بالفرح والسرور [3] .

ولهذا ارتفع عدد الحمامات في المدن الأندلسية، ففي قرطبة مثلا، وصل عددها إلى، في عهد الخلافة الأموية، إلى تسعمائة حمام [4]، منها ثلاثمائة خاصة بالنساء [5]، مما يدفع بنا إلى القول بوجود أكثر من حمام واحد في كل ربض من أرباض المدينة.

ويقل عدد الحمامات كلما انخفضت الكثافة السكانية، مما يسمح بالقول بأن الأرياف التي تعرف انخفاضا كبيرا في الكثافة السكانية، كانت تفتقر إلى هذا المرفق الحيوي، لذلك كان الريفيون يتنقلون إلى المدن، ويقصدون حماماتها، مثل حمام الشطارة بإشبيلية [6] .

ويقوم المستحم، داخل الحمام، بحك جلده بنفسه، أو بواسطة حكاك يستعمل قفازا من الشعر، فيزيل به الطبقة العلوية من الجلد، والتي يتجمع فيها الغبار والأوساخ [7]، وعادة ما يقوم المستحمون، وبخاصة المسلمون، بالتخلص من الشعر الموجود في مغابنهم، باستعمال

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 128.

[2]ـ البخاري ـ المصدر السابق ـ كتاب الشهادات ـ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم ـ ج 3 ص 177 رقم 2665.

[3]ـ ابن خلدون ـ المقدمة ـ ص 108.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 540.

[5]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 232.

[6]ـ توريس بلباس ـ الأبنية الإسبانية الإسلامية ـ مرجع سابق ـ ص 112.

[7]ـ المرجع نفسه ـ ص 114.

النورة [1] أو الموسى [2]، ثم يغسل جسمه بالماء والصابون، ويخرج، بعد أن يلتحف مناشف، إلى قاعة الإستراحة، أين يجد حلاقا، يصفف له شعره، ويوضب له لحيته، ويقص له شاربه، وبذلك يكون المستحم قد تنظف نظافة كاملة.

ورغم ذلك، فإن بعض الأندلسيين عزفوا عن الذهاب إلى الحمام، منهم الزاهد محمد ابن الزراد [3] الذي لم يدخل حماما مدة ثلاثين سنة، إلى أن توفي [4]، وربما يعود سبب ذلك إلى عدم عدم احترام بعض المستحمين للآداب الإسلامية، وبخاصة ستر العورة، ولهذا قال أبو الحسن الرعيني [5]، وقد رأى من أحد المستحمين ما ساءه:

أَلاَ لُـعِنَ الحَـمَّـامُ دَارًا فَـإِنَّـهُ   سَوَاءٌ بِهِ ذُو الجَهْلِ والعِلْمِ فِي القَدْرِ
تَضِيعُ بِهِ الآدَابُ حَتَّى كَأَنَّهَـا   مَصَابِيحُ لَمْ تُـنْفَقْ عَلَى طَلْعَةِ الفَجْرِ [6]

واستعمل الأندلسيون لنظافة أفواههم سواكا معطرا، وفي ذلك يقول شاعر أندلسي:

أَرَى نُكْهَةَ المِسْواكِ فِي حُمْرَةِ اللِّمَى   وَشَارِبُكَ المُخْضَرُّ بِالمِسْكِ قَدْ خَطَـا
عَـسَـى قُـزَحٌ قَـبَّـلْـتَـهُ فَـإِخَـالُـهُ   عَـلَى الشَّفَّةِ اللَّمْيَاءِ قَدْ جَاءَ مُخْتَطًّا [7]

وفي المقابل كان الأندلسيون يذمون الوسخ والنتانة، واعتبروهما من الأسباب التي توجب طلاق الرجل لزوجته، فقالوا: " إذا رِيت الْمرا تْمَخَّط في قْنَعْها وتْخَرَّجْ المفتول بأصبعها، لا تبقى معها " [8]، كما رأوا أن عدم اهتمام المرء بتنظيف فمه، ومنع الروائح الكريهة من الإنبعاث منه، من الأشياء التي تسيء إلى سمعة الفرد، فقد قال أحد شعرائهم:

---

[1]ـ النورة حجر كلسي يطحن ويخلط بالماء ويطلى به الشعر فيسقط. ينظر: قلعجي وقنيبي ـ المرجع السابق ـ ص 490.

[2]ـ عبد الواحد المراكشي ـ المصدر السابق ـ ص 93.

[3]ـ محمد بن أحمد بن عبد الملك بن سلام المعروف: بابن الزَرَّاد، من أهل قُرْطُبَة، عالم زاهد، اعتنى بالحسبة وأخبار العباد والزهاد. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 27 رقم 1165.

[4]ـ الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ ص 167.

[5]ـ مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني، يكنى أبا الحسن(393- 435هـ/ 1002- 1043م)، قرطبي، كان ملما بعدد من من العلوم، استقضاه الحاجب عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر على ألمرية فأحسن السيرة، واستقل بالحكم. ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 484 رقم 1377.

[6]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 208.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 52.

[8]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 13 رقم 38.

وَمُنْتِنِ الرِّيحِ إِنْ نَاجَيْتُهُ أَبَدًا كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خَيْشُومِهِ فَارُ [1]

- حبهم التزين والتطيب:

إلى جانب عنايتهم بنظافة أجسامهم، كان الأندلسيون حريصين على أن يبدو الواحد منهم في هيئة جميلة، وتفوح منه رائحة عطرة، ويعود ذلك إلى عوامل أهمها قول الله عز وجل: " يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ " [2]. وكان رسول الله ﷺ يسري شعره ولحيته قبل أن يخرج للقاء أصحابه، ورُوِي عنه ﷺ أنه قال: " إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى إِخْوَانِهِ فَلْيُهَيِّئْ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ " [3]. كما يُؤثر عن الإمام مالك أنه كان يلبس أحسن الثياب، ويتطيب بأحسن العطور [4].

ولذلك كله أَوْلَى رجال الأندلس عناية فائقة بحسن مظهرهم، فقد كانوا يخضبون شعورهم ولحاهم بالحناء وبالسواد، ولعل أول من خضب من المسلمين في الأندلس، القائد موسى بن نصير أثناء حصاره لماردة [5]، كما شُهِر بعض الأمراء والخلفاء الأمويين بالخضاب، فمنهم من خضب بالحناء مثل الأمير عبد الرحمن الأوسط، وابنه الأمير محمد، والأمير المنذر بن محمد [6]، ومنهم من كان يخضب بالسواد مثل الأمير عبد الله، والخليفة عبد الرحمن الناصر [7].

الناصر [7].

وينطبق ما سبق قوله على العلماء الأندلسيين، فبعضهم استعمل الحناء والبعض الآخر السواد [8]، ما يسمح لنا بالقول بأن عددا غير قليل من سكان الأندلس كانوا يخضبون

---

[1] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 83.

[2] ـ سورة الأعراف ـ الآيتان 31- 32.

[3] ـ الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت 347هـ/ 958م) ـ اعتلال القلوب ـ تحقيق حمدي الدمرداش ـ منشورات نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة- الرياض ـ ط2 ـ 1421هـ/ 2000م ـ ج1 ص 170 رقم 352.

[4] ـ القاضي عياض ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 51- 52.

[5] ـ مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 26.

[6] ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 81، و94، و113.

[7] ـ نفسه ـ ص 121- و156.

[8] ـ ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 220 رقم 576/ / ابن الأبار ـ التكملة ـ ج 1 ص 141 رقم 433.

شعورهم، ويُجْمِل أحد الأدباء الأندلسيين بعض مزايا الخضاب بالسواد في قوله: " وفي السواد إغلاظ على العدو، وتجمل للأهل، وتسكين للروعة من الشيب، وتأنيس للنفس، وتعليل للقلب" [1]، إضافة إلى أنهم كانوا يخضبون أرجلهم [2] وأيديهم بالحناء [3].

كما استعملت نساء الأندلس الحناء لتخضيب أرجلهن وأيديهن، وإلى ذلك يشير أحد الشعراء في قوله:

وَإِنْ حَلَفَتْ لاَ يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينَا [4]

واشترك الأندلسيون رجالا ونساء في استعمال الكحل للزينة [5]، ولمنافعه التي ذكرها الرسول ﷺ [6]، إضافة إلى أن المرأة كانت تتفنن في زينتها، من صبغ وجهها، وارتداء الثياب الجميلة، ولبس الحلي الذهبية [7].

وعرف عن الأندلسيين حبهم للطيب، في كل الأوقات، وبأنواعه المختلفة، حتى أن الأمير الأموي الحكم الربضي دعا، يوم هيج الربض، بغالية خلل بها شعر رأسه، ثم طلب مسكا، فذره على رأسه [8]. كما أنهم كانوا يضمخون الميت بالطيب قبل المشي به إلى المسجد للصلاة عليه [9]، مما يوضح بأن الأندلسيين لم يكونوا يتخلون عن الطيب، حتى في الأوقات الحرجة.

ومما يشهد على إقبال الأندلسيين على اقتناء الطيب، وتوفر أنواع عديدة منه، وجود أسواق خاصة به في كل مدينة من مدن الأندلس، منها سوق العطارين في قرطبة [10]، ومثيله

---

[1]- ابن بسام ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 292.

[2]- الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 198// الضبي ـ المصدر السابق ـ ج2 ـ ص 110 رقم 1409.

[3]- أبو محمد الرشاطي(ت 542هـ/ 1147م) وابن الخراط (ت 581هـ/ 1186م)- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اختصار اقتباس الأنوار- تحقيق إيميليو مولينا وبوسك بيلا ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ـ مدريد 1990- ص 78.

[4]- ابن عبد ربه ـ طبائع النساء ـ ص 172.

[5]- ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 353// الرشاط وابن الخراط ـ المصدر السابق ـ ص 78.

[6]- يقول ﷺ: «خَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ، يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعرَ». ينظر: ابن ماجة ـ المصدر السابق ـ كتاب الطب ـ باب الكحل بالإثمد ـ ج4 ص 536 رقم 3497.

[7] ابن بسام ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 267// ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج 1ص 40 وج 2 ص353.

[8]- مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 119.

[9]- ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 214.

[10]- ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 383.

في غرناطة [1].

وفي الوقت ذاته، كان أهل الأندلس يجتهدون لطرد الروائح الكريهة عن أجسامهم، إذ استعملوا ذرور الورد وزهر الريحان لمحاربة رائحة الصنان التي تنبعث من الآباط، إلا أن زرياب، بعد أن ورد عليهم قادما من العراق، أرشدهم إلى استعمال المرتك [2] المتخذ من المرداسنج [3]، فاستحسنوه واستعملوه [4].

من ذلك يتبين أن سكان الأندلس، وبخاصة سكان الحواضر، كانوا شديدي الإعتناء بنظافة أجسامهم، ونقاوة ملابسهم، وطيب روائحهم، ومرد ذلك، في نظرنا، إلى ارتفاع عدد سكان الحواضر، واختلاطهم ببعضهم، واحتراف عدد منهم لمهن لا تتطلب جهدا، ولا تتسبب في اتساخ الملابس، مع محاولة العامة تقليد الخاصة. أما سكان الأرياف فلم يولوا هذا الأمر أهمية بالغة، نظرا لطبيعة أعمالهم، وعدم اختلاطهم ببعض.

ـ حبهم العلم وتبجيلهم للعلماء:

حفلت الأندلس بعدد كبير من العلماء، تبحروا في فنون مختلفة من العلوم، احتفظت كتب التراجم المتعددة، بأسماء جمٍّ غفير منهم، ظلوا يتنافسون لاكتساب المزيد من العلوم، لذلك قال الحافظ ابن عبد البر النمري [5]:

إِذَا فَاخَرْتَ فَافْخَرْ بِالعُلُومِ وَدَعْ مَا كَانَ مِنْ عَظْمٍ رَمِيمِ
فَكَمْ أَمْسَيْتُ مُطَّرَحاً بِجَهْلٍ وَعِلْمِي حَلَّ بِي بَيْنَ النُّجُومِ [6]

وكان الأندلسيون، من فرط حبهم للعلم، يرحلون إلى مختلف أصقاع العالم الإسلامي، اقتفاء لآثار العلماء، سعيا للأخذ عنهم، فكانت الرحلة، وبخاصة نحو المشرق الإسلامي، تزيد

---

[1] ـ ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 185// المقري ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 194.

[2] ـ المرتك هو أول أكسيد الرصاص، يصنع منه مرهم يسمى بالنخلي. ينظر:دوزي ـ المرجع السابق ـ ج 10 ص 186.

[3] ـ مرداسنج أو مرداستك هو كبريت الفضة أو أكسيد الرصاص. المرجع نفسه ـ ج 10 ص 40.

[4] ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 127.

[5] ـ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، أبو عمر (368- 463هـ/ 978-1071م)، مؤرخ وحافظ، ولي قضاء قضاء لشبونة وشنترين. وتوفي بشاطبة، له عدة مؤلفات في فنون عديدة. ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 521- 522- 523.

[6] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص408.

من شأن العالم، وتثقل من سيرته الذاتية، لذلك يركز عليها المؤلفون الذين ترجموا للعلماء الأندلسيين، مثل ابن الفرضي في كتابه " تاريخ علماء الأندلس "، وابن بشكوال في كتابه " صلة تاريخ علماء الأندلس " وغيرهما.

حظي العلماء في الأندلس بعناية ورعاية واحترام الحكام، ولعل أبرز هؤلاء الأخيرين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر، الذي " لم يُسمع فِي الإِسْلام بخليفة بلغ مبلغه فِي اقتناء الكتب والدواوين، وإيثارها، والتَّهَمُّم بهَا، أَفَاء على الْعلم، ونوه بأَهْله، وَرغّب النَّاس فِي طلبه، ووصلت عطاياه وَصلاته إِلَى فُقَهَاء الْأَمْصَار النائية عَنهُ" [1]، ومن جهة أخرى، كان بعض حكام الأندلس يحاولون تجنب، ما أمكن، الإساءة إلى العلماء، حتى لا يُسجل ذلك عليهم [2].

وكانت العامة من جهتها، تحب العلماء، وتجلهم، وتهابهم [3]، ومن مظاهر ذلك، أن جنائز العلماء والعالمات، كانت تُشيع من قبل خلق كبير، ومن الأمثلة على ذلك، تزاحم الناس على نعش العالم بالقراءات سليمان بن أبي القاسم نجاح [4]، وعلى نعش العالمة الفقيهة فاطمة بنت يحيى المغامي [5].

وتنافس الأندلسيون، مُتَعَلِّمُهم وأمِّيُهُم، على اقتناء الكتب، وتكوين مكتبات خاصة في منازلهم [6]، رغم أن الحكام الأمويين أقاموا في قرطبة عددا من المكتبات العامة، ناهز عددها سبعين مكتبة.

ولم يقتصر الأمر على المسلمين، بل تعداه إلى المسيحيين، الذين شغفوا بقراءة الكتب العربية، وجمعها، وتكوين مكتبات، وهذا ما يستفاد من النداء الذي وجهه ألفارو القرطبي (Alvaro de Cordoba)، خلال القرن الثالث الهجري(9م)، إلى الشباب المسيحي جاء فيه:

---

[1]- ابن الأبار ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 201.

[2]- ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 117.

[3]- ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 343.

[4]- سليمان بن أبي القاسم نجاح (413- 496هـ/ 1022- 1102م)، مولى الخليفة هشام المؤيد بالله، كان عالماً بالقراءات ورواياتها وطرقها. ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 177- 178 رقم 457.

[5]- فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامي. كانت خيِّرَة فاضلة عالمة فقيهة، استوطنت قرطبة وبها توفيت سنة 319هـ/ 931م. ينظر: ابن بشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 531 رقم 1530.

[6]- المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 463.

"...إن الشباب المسيحي لا يجد المتعة إلا في قراءة الكتب العربية وآدابها، وينفقون الأموال الطائلة على شراء الكتب وتشكيل مكتبات ضخمة..." [1].

أما سكان البوادي والأرياف، فقد كانوا يوصفون بالجهل والجفاء [2]، وكانوا بذلك بعيدين عن الحضارة وأسبابها، حتى قال أحد شعراء الأندلس:

مَنْ لِي بِهِ بَدَوِيٌّ لاَ يُهَذِّبُهُ   لِينُ الكَلاَمِ وَلاَ يَرْتَاحُ لِلْغَزَلِ [3]

وقد نعتهم أحد الفقهاء المعينين من طرف السلطة الحاكمة، لإدارة مسجد من مساجد البوادي الأندلسية، بالجهل، والكفر، وابتعادهم عن مكارم الأخلاق، إذ يقول:

دَلَلْتُ عَلَيْهِمْ ـ خَيَّبَ اللهُ سَعْيَهُمْ ـ   فَـلاَ عَالِمٌ مِنْهُمْ وَلاَ مُتَعَلِّمُ
فَـقِـيـهُـهُـمْ لاَ يَـعْـبَـأُونَ بِـأَمْـرِهِ   وَإِنْ جَاءَ زَفَّانٌ يُعَزُّ وَيُكْـرَمُ [4]

إلا أن هذا الفقيه، يبدو أنه بالغ في تحامله على أهل البادية، بحيث نعتهم بكل النعوت السلبية، والراجح أن هناك أسبابا شخصية دفعته إلى هذا التحامل.

يتضح إذًا، أن الأندلسيين، وبخاصة سكان المدن، حكاما ومحكومين، كانوا يجلون العلماء ويحترمونهم، في حياتهم وبعد مماتهم، وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت بعدد منهم إلى الهجرة من أنحاء متعددة من العالم الإسلامي، نحو الأندلس.

ب) السلوكات المذمومة:

جاء في مقدمة ابن خلدون: " ومن مفاسد الحضارة أيضاً، الانهماك في الشهوات، والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ والمشارب وطيبها. ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح، من الزنا واللواط، فيفضي ذلك إلى فساد النوع " [5].

1- محمد القاضي- الإستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاث نماذج: خوان أندريس وغايانغوس وريبيرا- **مجلة التاريخ العربي**- الإصدار الثاني- العدد 20- خريف 1422هـ/ 2001م- ص 94.

2- الخشني ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ ص 364// ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 227.

3- ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 443.

4- دندش عصمت ـ المرجع السابق ـ ص 309 الهامش رقم 75.

5- ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ـ وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1421هـ/ 2001م ـ ص 467- 468.

من قول ابن خلدون، يمكن أن نستخلص أن الرقي الحضاري، الذي ينتج عنه اتساع المدن، وارتفاع عدد ساكنيها، وتحسن مستواهم المعيشي، يكون مصحوبا بظهور سلوكات سيئة، لا تلبث أن تنتشر، حتى تصبح مألوفة من طرف هؤلاء السكان.

وهذا ما ينطبق على أهل الأندلس، خلال الفترة المعنية بالدراسة، والذين غلب عليهم سوء الخلق، حسب ياقوت الحموي [1].

ومن بين السلوكات المذمومة التي انتشرت في أوساط الأندلسيين، والتي لم تستطع المصادر السكوت عنها، أو إنكارها:

ـ شرب الخمر:

انتشرت عادة شرب الخمور في الأندلس انتشارا واسعا، حتى أصبحت من الأمور اليومية المألوفة في أوساط كل طبقات المجتمع بدون تمييز، فكثرت الخمريات في الشعر الأندلسي، ويعود ذلك إلى عدة عوامل، نجملها في الآتي:

– تعاطيها من طرف بعض حكام الأندلس، وذويهم، والمقربين منهم، وجلسائهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الأمير الحكم بن هشام، الذي كان يشرب مع كبير صقالبتة المسمى سعيد الخير [2].

وكان هذا الأمير قد أقام فندقا في شقندة، وأوكل إدارته للنصراني ربيع بن تيودولف، فاستغله هذا الأخير لبيع الخمور، ويبدو أن الأمير كان على علم بذلك، إلا أنه لم يتدخل لمنعه، وبقي الأمر على حاله إلى أن قام ابنه وولي عهده عبد الرحمن، خلال احتضار أبيه، بإعدام ربيع، وهدم الفندق المذكور [3].

ومن جهتهم، كان أبناء عبد الرحمن بن الحكم الربضي، من المولعين بشرب الخمور، فدَارُ ابنه الأول عبد الله لم تكن تخلو من الغناء والطرب والموسيقى وتناول الخمور، أما محمد ابنه الثاني فكان يعقد مجالس شرب، يدعو إليها وزراءه والمقربين منه [4]، على رأسهم هاشم بن

---

[1] ـ ياقوت الحموي ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 211 ـ مادة الأندلس.
[2] ـ ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 324.
[3] – ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص186.
[4] ـ ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 160// ابن سعيد ـ المغرب ـ ج 1 ص 101.

عبد العزيز [1] وعبد الله بن عاصم الثقفي [2]، وكان المطرف، الإبن الثالث لعبد الرحمن بن الحكم، لا يفيق من سكره ليل نهار، بل أنه يتبجح بذلك، وينظمه في أبيات شعرية:

أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي الشُّـــــرْبِ وَالوُجُـوهِ المِـلاَحْ
وَلَـمْ أُضَـيِّـعْ أَصِـيـلاً وَلاَ اطِّـلاَعِ صَـبَاحْ
أُحْيِي اللَّيَـالِي سُـهْداً فِي نَـشْـوَةٍ ومِـرَاحْ
وَلَسْـتُ أَسْمَـعُ مَـاذَا يَقُولُ دَاعِـي الفَلاَحْ [3]

ولم يَحِدْ الخليفة عبد الرحمن الناصر عن ذلك، بل كان يُقْبِل على الشراب مع ندماء له، وخاصة من وزرائه، وكانت علامة سكره أن يميل برأسه إلى حجره [4]، وينشد:

مَازِلْتُ أَشْرَبُهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ حَتَّى أَكَبَّ الكَرَى رَأْسِي عَلَى قَدَحِي

كما كان بعض أبنائه مغرما بالخمر، منهم عبد الْعَزِيز، الذي تركه لبغض أخيه الحكم المستنصر له، الأمر الذي أسعد كثيرا هذا الأخير [5].

ولم يقتصر شرب الخمر على الحكام وذويهم، بل تعداه إلى الحكماء، منهم على سبيل المثال الطبيب أبو العرب يوسف الذي غلب عليه شرب الخمر، فكان لا يصحو من سكره، وبخاصة في آخر عمره، وتوفي سنة 430هـ/ 1039م، عن عمر ناهز 90 سنة [6].

واعتاد الحاجب المنصور بن أبي عامر عقد مجالس للترويح عن النفس، يدعو إليها وزراءه وندماءه، يسمعون خلالها إلى الموسيقى والغناء، ويرقصون، ويشربون الخمر حتى السكر [7]، أما ابنه عبد الملك المظفر فكان يقضي على معارضيه في مجالس الشراب [8]، وكان

---

[1]ـ هَاشم بن عبد الْعَزِيز، أَبُو خَالِد، وزير الأمير محمد، كان يتميز بالجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة، توفي في شوال 273هـ/ مارس 887م. ينظر: ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج1 ص 137– 142.

[2]ـ عبد الله بن حُسَيْن بن عَاصِم الثَّقَفِيّ الْقُرْطُبِيّ، أديب بارع، تقلد عدة مناصب في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن، منها الخزانة والشرطة والحسبة. ينظر: ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 185– 186.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 578.

[4]ـ ابن الأبار ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 183– 184.

[5]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 189.

[6]ـ ابن أبي اصيبعة ـ المصدر السابق ـ ص 495.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 261.

[8]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 206.

ابنه الآخر عبد الرحمن شنجول مدمنا على الخمر ومفاسد أخرى [1].

فتناولُ الحكام للخمور، شجع العامة على استهلاكها، لذلك قيل " الناس على دين مليكهم، إن كان خماراً كثر الخمر، وإن كان لوطياً فكذلك... " [2].

ـ تساهل بعض القضاة في معاقبة شاربي الخمر، إذ أبدى بعض قضاة الأندلس تساهلا تجاه شاربي الخمر، بل تجازوا عنهم، مثل القاضي أحمد بن بقي بن مخلد[3]، الذي كان يتجاوز عن السكارى، رغم رؤيته لهم أو ثبوت التهمة عليهم[4]، والقاضي محمد بن زياد اللخمي[5] الذي الذي استحسن قرار الفقيه محمد بن عيسى الأعشى[6] بإطلاق سراح سكران، كان القاضي قد أمر بإلقاء القبض عليه، وأخذه لإقامة الحد عليه [7].

وألقى ابن عاصم [8] صاحب السوق، القبض على شاب يترنح من السكر، وهمَّ بإقامة بإقامة الحد عليه، ثم تجاوز عنه، وأطلق سراحه، بعد أن ذكَّره السكرانُ ببيت شعر، كان قد قاله قبل توليته السوق، وهو:

إِذا عَابَ شُرْبَ الخَمْرِ في الدَّهْرِ عائِبٌ فَلاَ ذاقَها منْ كانَ يومًا يَعيبُهَا [9]

---

[1]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 49.

[2]ـ ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م) ـ البداية والنهاية ـ تحقيق علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م ـ ج 9 ص 186.

[3]ـ أحمد بن بقي بن مخلد يكنى أبا عمر، وقيل أبا عبد الله (ت 324هـ/ 936م أو 344هـ/ 955م)، تولى منصب قاضي الجماعة في قرطبة في عهد عبد الرحمن الناصر. ينظر: ابن الفرضي- المصدر السابق- ج1 ص44 رقم 103.

[4] ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 167.

[5]ـ محمد بن زياد اللخمي، استقضاه عبد الرحمن الأوسط، توفي بعد 240هـ/ 854م- الخشني- قضاة قرطبة- ص87/ ابن الفرضي- المصدر السابق- ج2 ص7- 8 رقم 1098.

[6]ـ محمد بن عيسى بن عبد الواحد بن نُجَيْح المعَافِرِيّ، المعروف: بالأعْشَى: من أهل قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى: أَبَا عبد الله، من الفقهاء والمحدثين، رحل إلى المشرق سنة 179هـ/ 795م، وأخذ عن تلاميذ الإمام مالك. توفي سنة 221هـ/ 835م. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ص 8- 9 رقم 1102/ / ابن حيان ـ القطعة الثانية من المقتبس ـ ص 81.

[7]ـ الخشني ـ المصدر السابق ـ ص 89.

[8]ـ عبد الله بن حسين بن عاصم الثقفي القرطبي، كان أديباً شاعراً، سريع البديهة، كثير النوادر، كان من ندماء الأمير محمد محمد بن عبد الرحمن، وولي له الشرطة. ينظر: الحميدي ـ المصدر السابق ـ ص 232- 233 رقم 560/ / ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 101 رقم 35.

[9] ـ ابن حيان ـ المصدر السابق ـ ص 187- 188/ / ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 101.

أما القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى[1]، الذي عرف بالحزم في إقامة الحدود، تجاوز عن سكران صادفه في أحد شوارع قرطبة، لمجرد أن أنشده السكران بضعة أبيات شعرية[2].

ومن جهته، دعا المحتسب ابن عبدون إلى منع أصحاب القوارب من كراء قواربهم للأشخاص المعروفين بشربهم للخمور، وألا يسمحوا لحامل خمر بركوب القوارب [3]، كما دعا دعا إلى نزع أسلحة الشباب المقبل على الأعراس، قبل أن يشرعوا في تناول الخمور، وإذا ما حدثت عربدة في العرس، فلا يؤخذ إلا الحاض عليها[4]. أي أن ابن عبدون لم يوص بمنع تناول الخمور، بل يبدو أنه أجازه ضمنيا.

وحاول الخشني تبرير تجاوز بعض القضاة الأندلسيين عن إقامة الحد على شاربي الخمر بعدم وجود إشارة إلى ذلك في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، إلا أنه ﷺ ضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين، وجَلَد أبو بكر رضي الله عنه أربعين أيضا، بينما جَلَد عمر رضي الله عنه ثمانين[5]، فكان على هؤلاء القضاة أن يستنوا بسنة أحد الخلفاء الراشدين، عملا بوصية النبي ﷺ"...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ "[6].

ـ مجاورة المسلمين للنصارى: فهؤلاء لا يحرمون على أنفسهم تناول الخمور، بل يحلونها، لأَنهم يزعمون أن الْمَسِيح عليه السلام، قَالَ من أكل لحمي وَشرب دمي كَانَ فِيَ وَأَنا فِيهِ، ويعوضون لحمه بالخبز ودمه بالخمر [7]، وجاء في الإنجيل أن نبي الله عيسى عليه السلام حَوَّلَ الماء إلى خمر، وأباح

---

[1]ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي، ولي قضاء إلبيرة وبجانة ثم قضاء الجماعة بقرطبة، في عهد الخليفة الناصر، توفي سنة 339هـ/ 950م. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج2 ص 56 رقم 1253.

[2]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 14.

[3]ـ ابن عبدون ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ص 29.

[4]ـ المصدر نفسه ـ ص 53- 54.

[5]ـ مسلم بن الحجاج (ت 261هـ/ 875م) ـ المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ كتاب الحدود ـ باب حد الخمر ـ ج 3 ص 1331 رقم 35 (1706).

[6]ـ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد(ت 241هـ/ 855م) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ـ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1421هـ/ 2001م ـ مسند الشاميين ـ ج 28 ص373 رقم 17144.

[7]ـ شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله محمد فرح الأنصاري (ت 671هـ/ 1273م) ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ـ تحقيق أحمد حجازي السقا ـ دار التراث العربي - القاهرة ـ ص 428.

وأباح لأتباعه شربها [1]، فهم إذًا يقدسونها، ويشربونها في أعيادهم ومواسمهم، في أماكن عبادتهم وفي منازلهم، كما أن الإسلام لم يُجِز للحاكم المسلم أن يأخذها منهم أو أن يمنعهم من شربها أو بيعها [2].

وبما أن عدد النصارى في الأندلس ظل مرتفعا، رغم إسلام عدد معتبر منهم، فإن استهلاك الخمر بقي هو الآخر منتشرا على نطاق واسع، وهذا ما زاد من تشجيع بعض المسلمين على تناول الخمور، إذ كانوا يذهبون إلى الكنائس والأديرة طلبا لها، وقد عبر عن ذلك مجموعة من الشعراء الأندلسيين، نذكر منهم أبا عامر بن شهيد [3]، الذي يصف ليلة باتها باتها في إحدى كنائس قرطبة، سُقي خلالها خمرا:

وَلَرُبَّ حـانٍ قـد أدَرْتُ بِـدَيْـرِهِ ... خَمْـرَ الصِّبا مُزِجَتْ بصَفْوِ خُمورهِ
في فِتيةٍ جعَلُوا الزِّقَاقَ تِـكاءَهُـم ... مُتصـاغِـريـن تــخـشُّـعـاً لـكَبـيرِهِ
وتَرَنُّم النَّاقوسُ عند صَلاتِـهِـم ... فَـفتَحْتُ من عيْني لِـرجْـع هَـدِيـرهِ
يُهْدي إلَيْنا الراحَ كلُّ مُعصفَرِيٍّ ... كالخِشفِ خَـفَّـره الْـتِماحُ خَـفـيرِهِ [4]

ويقول عبد الجبار أبو طالب المتنبي[5]، واصفا ليلة قضاها في كنيسة، وسط جو من الغناء والطرب وشرب الخمور:

وَخَمَّارٌ أنَـخْـتُ بـه مـسيـحـيٌّ ... رخيـمُ الدَّلِّ ذي وترٍ فصيحِ
سَقاني ثـمَّ غـنَّـاني بـصـوتٍ ... فدَاوى ما بقلبي منْ جـروحِ
وفَضَّ فمَ الدِّنانِ على اقتراحٍ ... ففاحَ البيتُ منها طيبَ ريحِ

---

[1]ـ أحمد ديدات ـ الخمر بين المسيحية والإسلام ـ ترجمة محمد مختار ـ المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير ـ القاهرة ـ 1412هـ/ 1991م ـ ص 11.

[2]ـ ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/ 1350م) ـ أحكام أهل الذمة ـ تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري ـ رمادى للنشر، الدمام ـ ط1، 1418 – 1997 ـ ج 1 ص 184.

[3]ـ هو أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد (382-426هـ/ 992-1035م): أشجعي النسب، يكنى أبا عامر، عالم بالأدب، له عدة مؤلفات في الأدب من بينها رسالة " التوابع والزوابع ". ينظر: الضبي- المصدر السابق- ص164 رقم 440/ / الحميدي- المصدر السابق- ص117- 120 رقم 232/ / ابن الأبار ـ الحلة السيراء- ج1 ص237.

[4]ـ ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426هـ/ 1035م) ـ رسالة التوابع والزوابع ـ تحقيق بطرس البستاني ـ دار دار صادر بيروت ـ ط2 ـ 1426هـ/ 1996م ـ ص 102

[5]– أبو طالب عبد الجبار المتنبي، من أهل جزيرة شقر، برع في الأدب شعرا ونثرا. ينظر: ابن بسام – المصدر السابق- ج1 ص693/ ابن سعيد- المصدر السابق – ج2 ص371.

فلما أنْ شَدا الناقوسُ صـوتًا دعاني أنْ هَلُمَّ إلى الصَّبُوحِ [1]

ويبدو أن الحانات، التي كان المسلمون يترددون عليها لشرب الخمر أوشرائه، وُجدت في الأحياء التي كانت تسكنها غالبية من المستعربين، وكانت إدارتها موكلة، في الغالب، إلى نساء نصرانيات [2]، ويؤكد ذلك ما جاء على لسان الشاعر ابن حمديس [3]:

ورَاهِبـةٍ غلـقَـتْ دَيْـرَها فَـكُنَّـا مع الليْلِ زُوَّارَهـا

هَدانا إلـيْـهـا شَـذا قهْوةٍ تُذيـعُ لأنْـفِـكَ أسْرارَهـا

فَما فازَ بالمسْكِ إلاَّ امـرؤٌ تَيَـمَّـمَ داريـنَ أو دارَها

طرَحْتُ بميزانِها دِرْهمـي فَأَجْرَتْ من الدِّنِّ دينارَها [4]

بينما كان يدير بعض هذه الحانات رجال من المسيحيين مثل ربيع بن تيودلف، الذي استغل إدارته للفندق الذي بناه الأمير الحكم الربضي في قرطبة، لبيع الخمور لكل راغب في استهلاكها.

فهذه العوامل كلها مجتمعة ساعدت على انتشار عادة شرب الخمر في المدن والأرياف على حد سواء، وأصبح عدد كبير من سكان الأندلس، مسلميها ومسيحييها، ميسوريها وفقرائها، مدمنين على شرب الخمر، لا يستطيعون الإقلاع عنها، فقد كان الصميل بن حاتم مدمنا على الخمر، لا يبيت ليلة إلا سكرانا[5]، ووصف الشاعر أبو الأصبع القلمندر[6] إقباله على على الخمر وإدمانه عليها بقوله:

جَرتْ منِّي الخمرُ مجرَى دَمـي فَجُلُّ حياتي منْ سُكْرِها

---

[1] ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 372.

[2] - Vincent Lagardère - Cépages, raisin et vin en Al-Andalus (Xe-XVe siècle)- in: **Médiévales** - N 33 - 1997 - pp 81- 90 -p 87.

[3] ـ ابن حَمْدِيس، عبد الجبار بن أبي بكر الصقلي، ولد وتعلم في جزيرة صقلّيّة، ورحل إلى الأندلس سنة 471 هـ/ 1078م، ومدح المعتمد بن عباد، ثم انتقل إلى إفريقية سنة 484هـ/ 1091م، ومدح ملوك الدولة الزيرية، وتوفي سنة 527 هـ/ 1133 م بجزيرة ميورقة. ينظر: ابن الأبار ـ التكملة ـ ج 3 ص 104 رقم 260.

[4] ـ العماد الإصفهاني، خريدة القصر ـ ج2، ص 203 – 204.

[5] ـ مجهول ـ أخبار مجموعة ـ ص 69.

[6] ـ أبو الأصبغ عبد العزيز البطليوسي الملقب بالقلندر أو القلمندر أو القمندر، طبيب وأديب، من القرن 5هـ/ 11م. ينظر: ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 369/ / المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 452.

ومهْما دَجَتْ ظلماتُ الهمومِ فتَمْزيقُها بـسنَـا بـدْرِهـا[1]

بل كان يقول بأنه لا يتركها لعلمه بمدى منفعتها للإنسان، وبعضهم، مثل ابن النسرة[2] بدد الثروة الطائلة التي ورثها في شرب الخمر.

وعرفت هذه العادة السيئة انتشارا واسعا في المجتمع الأندلسي، إذ غزت الشوارع والأماكن العامة، ففي إشبيلية كان المدمنون على الخمر يجتمعون على ضفتي واديها، للإستماع إلى الموسيقى والغناء وتناول المسكرات، دون أن ينكر عليهم أحد ذلك[3].

أما في قرطبة فاستغل الناس الفوضى الناجمة عن الفتنة التي شهدتها هذه المدينة في الفترة من 399هـ/ 1008م إلى 422هـ/ 1030م، ليجاهروا بالمعاصي، إذ أصبحوا يشربون الخمر، ويمارسون الزنا واللواط علنا[4].

وأمام استفحال هذه العادة الخطيرة، فكر بعض الأندلسيين في مواجهتها، إذ انتفض بعض فقهاء الأندلس، على رأسهم يحيى بن يحيى الليثي الذي أفتى بحرق دار كل مسلم يتاجر في الخمر[5]، أما الفقيه يحيى بن عمر[6] فقد أفتى بتحطيم القدور التي تستعمل في صناعة الخمور[7]. وقام الأمير عبد الرحمن الأوسط بهدم الفندق الذي أقامه أبوه في شقندة، والذي كانت تباع فيه الخمور[8].

كما هَمَّ الخليفة الحكم المستنصر بالقضاء على زراعة الكروم للحد من صناعة الخمور، إلا أن مستشاريه أعلموه أن العامة يمكنها أن تتخذ من عصير التين وغيره شرابا مسكرا،

---

[1]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 369.

[2]ـ أَبُو عمر أَحْمد بن النسره، أصله من الجزيرة الخضراء، ورث أموالا طائلة فبددها في شرب الخمر، وارتكاب بعض المنكرات. ينظر: ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 323.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 212.

[4]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 106.

[5]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 409.

[6]ـ يحيى بن عُمْر بن عَامر الكناني؛ يُكَنَّى: أَبَا زكرياء، رحَلَ من الأَنْدَلُس إلى إفريقية ومصر طلبا للعلم، واستقر بالقيروان ثم بسوسة، وكان فَقِيهاً حافظاً للرأي، ثقة في رِوَايته، له عدة مؤلفات في الفقه، منها أحكام السوق، توفي أواخر سنة 289هـ/ 902م. ينظر ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 162 رقم 1569.

[7] - Lagardère Vincent - op. cit - p 89.

[8]ـ ابن حيان ـ القطعة الأولى من المقتبس ـ ص186.

فتراجع عن مشروعه[1].

مما سبق، يمكننا القول بأن المحاولات التي قام بها بعض حكام الأندلس للقضاء على عادة تناول الخمر، واستئصالها من المجتمع الأندلسي، لم تجد نفعا، ولم يكن لها أي مفعول، بل يمكن القول أنها ولدت ميتة، ومرد ذلك إلى تجذر هذه العادة في الوسط الأندلسي، وزادت هذه العادة استفحالا في الأندلس خلال الفتنة البربرية، وبعدها في فترة ملوك الطوائف.

ـ التغزل بالغلمان:

اختُلِف في تحديد سن الغلام، فبعضهم يرى أنه الطفل الذي ينبت شعر شاربه[2]، والبعض الآخر يرى أنه الإبن الصغير[3]، ومنهم من يرى أن الغلام هو الشاب دون سن المراهقة[4]، وإذا احتلم وشب، أصبح رجلا[5]، وقال آخرون بأن لفظ غلام يطلق على الذكر من من حين أن يولد إلى أن يشيب[6]. من ذلك يتبين أن اللغويين لم يتفقوا على تحديد سن يمكن عنده اعتبار الإنسان غلاما أو رجلا.

أما اصطلاحا، فلفظ الغلام يطلق على الخادم أو الوصيف، ذكَرا كان أو جارية[7]، إلا أن أن الأندلسيين كانوا يطلقونه عموما على الخدم من الذكور، الذين كان منهم النُّدُلُ في الحانات، وهم الذين يسقون الزبائن، ومنهم من استُخدم في بيوت الميسورين وقصور الحكام، ومنهم من خدم الأدباء والشعراء في بيوتهم، وبخاصة أثناء مجالسهم وسهراتهم التي تدار فيها الخمور[8].

---

[1]- الحميدي- جذوة المقتبس- ص 19.

[2]ـ الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى (ت 1205هـ / 1790 م) ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ مجموعة من المحققين ـ د. ط ـ دار الهداية ـ ج 33 ص 176.

[3]ـ أبو العباس الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ - 1368م) ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ المكتبة العلمية - بيروت ـ د. ت ـ ج 2 ص 452.

[4]ـ إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ المعجم الوسيط ـ دار الدعوة ـ دت ـ ج 2 ص 1037.

[5]ـ ابن سيده ـ المخصص ـ تحقيق خليل إبراهيم جفال ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط 1 ـ 1417هـ/ 1996م ـ ج 1 ص 60.

[6]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 12 ص 440.

[7]ـ إبراهيم مصطفى وآخرون ـ المرجع السابق ـ ج 2 ص 1037.

[8]ـ جودة مدلج ـ الحب في الأندلس ـ دار لسان العرب ـ لبنان ـ 1985 ـ ص 201.

وكان هؤلاء الغلمان يشتركون في حسن الصورة، وجمال الزي، ولين الأخلاق ورقة الملمس، وتوسط القد، لذلك فُتن بهم بعض الأندلسيين، وكان يؤتى ببعضهم من مناطق بعيدة عن الأندلس، مثل بلاد الخزر(منطقة القوقاز)، وبلاد الروم (الدولة البيزنطية)، ومن بلاد الصقالبة[1].

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى تحريم مجرد النظر إلى الأمرد حسن الوجه، بشهوة أو بدونها، من غير ضرورة إلى ذلك[2]، بل اعتبر البعض الآخر النظر إلى الأمرد، نوع من أنواع اللواط[3]، فقد قال سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: " لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواطا "[4]، وحرم بعض الفقهاء التلذذ بصوت الأمرد[5].

مما سبق يتبين مدى تشدد الفقهاء في مسألة مجالسة الغلمان والتلذذ بالنظر إليهم وبالإستماع إلى أصواتهم، وذلك محاولة من هؤلاء الفقهاء لسد الذرائع أمام العابثين والمستهترين.

ورغم ذلك، لم يسلم بعض الفتيان المسلمين من التحرش بهم ـ إن جاز لنا تسميته كذلك ـ سواء كانوا من أبناء الحكام[6]، أو من أبناء الأسر الميسورة[7]، أو من أبناء العامة[8]، كما لم كما لم يسلم منه فتيان النصارى[9]، وجريرتهم أنهم اتصفوا بالأوصاف التي سبق لنا ذكرها.

واعتبر الغلمان، من أنفس الهدايا التي كان الأندلسيون يُتهادونها، من ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر رأى غلاما جميل الصورة عند أبي عامر بن شهيد، فأُعْجب به، فأهداه ابن شهيد مكرها إلى الخليفة، وكتب إليه بهذين البيتين:

---

[1]ـ ابن بسام ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 217// ابن حزم ـ الرسائل ـ ج 1 ص 156.
[2]ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 12 ص 372.
[3]ـ ابن الحاج ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 8.
[4]ـ المصدر نفسه ـ ج 3 ص 114- 115.
[5]ـ العدوي، علي بن أحمد بن مكرم، أبو الحسن (ت 1189هـ/ 1775م) ـ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ـ تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ دار الفكر - بيروت ـ 1414هـ/ 1994م ـ ج 2 ص 433.
[6]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 122.
[7]ـ ابن حزم ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 151.
[8]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ح 4 ص 40.
[9]ـ المصدر نفسه ـ ح 4 ص 37.

أَمَوْلاَيَ هذا البَدْرُ سار لأفْقِكُمْ ولَلْأُفْقُ أوْلى بالـبُدورِ من الأرض
أُرَضِيّكم بالنَّـفسِ وهي نَـفيسَةٌ ولَمْ أرَ قبْـلي من بِمُهجَتِه يُـرضِي[1]

ولم يكن أبو بكر المخزومي الأعمى[2] ليكف عن هجو نزهون القلاعية[3]، التي سبقته بهجائها له، في مجلس أبي بكر بن سعيد، لو لم يسترضه هذا الأخير بأن أهداه غلاما، لين القد رقيق الملمس، كان قد أرسله إليه ليقوده من منزله إلى المجلس[4].

وشهدت هذه الظاهرة انتشارا في عدة أوساط أندلسية، إلا أن المصادر لم تسجل لنا إلا ما تعلق بالأدباء والشعراء ورجال العلم، نظرا للسمعة الحسنة التي كانوا يتمتعون بها في المجتمع، ولأنهم عبروا بشعر أو نثر عما كانوا يحسون به تجاه الغلمان، فسُجِّل ذلك عنهم، بينما تسكت المصادر عما بدر من العامة، أو من الحكام إلا في إشارات عابرة توحي بأن بعض هؤلاء الأخيرين كانوا شغوفين بالغلمان، من ذلك وصف الخليفة عبد الرحمن الناصر لغلام أبي عامر بن شهيد بالقمر[5].

أما بالنسبة للشعراء والأدباء، فاختلفت عندهم درجة الميل إلى الغلمان، فمنهم من أفرط في حب الغلمان، ووصل به الأمر إلى حد عشقهم، ومن هؤلاء مقدم بن الأصفر الذي عشق فتى صقلبيا للوزير أحمد بن محمد بن حدير[6]، فكان ابن الأصفر هذا يتجشم معاناة التنقل التنقل مسافة طويلة، ليلا ونهارا، ليصلي في المسجد الذي يرتاده هذ الفتى، كما أنه كان يُسَرُّ بضرب الفتى له ضربا موجعا[7].

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص361.

[2]ـ أبو بكر المخزومي الأعمى، من فحول شعراء الأندلس، عرف بهجائه اللاذع، أصله من حصن المدور، وقدم على غرناطة غرناطة واستقر بها. توفي بعد سنة 540هـ/ 1145م. ينظر: ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 231- 235.

[3]ـ نزهون الغرناطية بنت القلاعي، شاعرة أديبة، سريعة البديهة، حاضرة الجواب، صاحبة فكاهة ودعابة، وكَانت ماجنة توفيت نحو 550 هـ/ 1155م. ينظر: المصدر نفسه ـ ج 3 ص 262- 263.

[4]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 235.

[5]ـ المصدر نفسه ـ نفس الجزء ونفس الصفحة.

[6]ـ أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير يكنى أبا عمر (255- 327هـ/ 868- 938م) ولِّي: خطة الوزارة، وأحكام المظالم لعبد الرحمن الناصر. ينظر: ابن الفرضي ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 48 رقم 117.

[7]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 156.

ومن فرط عشقهم للغلمان، لم يستطع بعضهم كتمان ذلك، بل صرح به علانية، منهم الشاعر ابن هانئ الأندلسي[1]، الذي أنشد:

يَا عَاذِلِـي لا تَـلْحَنِـي أنَّـنِـي   لَـمْ تُـصْبِنِي هِـنْدٌ وَلا زَيْنَبُ
لَـكِنَّـنِـي أصْبُـو إلَى شَــادِنٍ   فِـيـهِ خِـصَالٌ جَـمَّةٌ تُرْغَـبُ
لا يَرْهَبُ الطَّمْثَ وَلا يَشْتَكِي   حَمْلاً وَلا عَنْ نَاظِرٍ يُحْجَبُ[2]

واجتاحت عادة حب الغلمان المؤسسات التعليمية، إذ ابتُليَ بها بعض المؤدبين، الذين كانوا يُقرِئون الأطفال، منهم المؤدب ابن السيد البطليوسي[3]، الذي ولع بأبناء أحد أعيان غرناطة، حتى قال فيهم:

أَخْفَيْتُ سَقَمِي حَتّى كادَ يُخْفيني   وهِمْتُ في حُـبِّ عزُّونٍ فَعـزُّوني
ثُمَّ ارْحمُوني برَحْمونٍ فإنْ ظمِئْتْ   نَفْسي إلَى ريقِ حسُّونٍ فحَسُّوني[4].

وفي هذا السياق يندرج المثل العامي الأندلسي القائل: " أربعة لا تخلو عن أربعة، حُضَّار عن أمرد... "[5]، ويقصد بكلمة حضار الكُتَّاب الذي يقصده الأطفال الصغار للتعلم، بينما يقصد بالأمرد، الطفل المخنث.

كما شهدت السجون هي الأخرى انتشار هذه العادة، إذ تغزل بعض السجناء من الشعراء والأدباء، بغلمان سُجنوا معهم، من أمثلة ذلك تغزل الشاعر الرمادي[6] بغلام جميل من من أبناء العبيد، فأنشد:

تَـأَمَّلْتُ عيْنَيْهِ فخامَرَني السُّكْرُ   ولا شَكَّ في أنَّ العيونَ هيَ الخَمْرُ

---

[1]ـ أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي(326- 362هـ/ 938- 973م)، أشعر المغاربة على الإطلاق، ولد بإشبيليّة، ثم اتصل بالمعز لدين الله الفاطمي وأقام عنده في إفريقية، قُتل في برقة بعد رحيل المعز إلى مصر. ينظر: ابن العماد الحنبلي ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 329- 333.

[2]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 98.

[3]ـ ابن السيد البَطَلْيَوْسِي، عبد الله بن محمد، أبو محمد (444-521 هـ/ 1052- 1127م) من علماء النحو والأدب = = ولد ونشأ في بطليوس، وانتقل إلى بلنسية، وتوفي بها. ينظر: ابن يشكوال ـ المصدر السابق ـ ص 243 رقم 645.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج3 ص 459.

[5]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 119، المثل رقم 531.

[6]ـ الرمادي، يوسف بن هارون الكندي، أبو عمر، أصله من رمادة، من شعراء الأندلس، غضب عليه الخليفة المستنصر فسجنه، وكان من مداح المنصور بن أبي عامر، توفي 403هـ/ 1012م. ينظر: المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 35- 40.

أُنـاطِـقُـهُ كَـيْمَا يَقُـولُ، وإنَّـمَا أُنَـاطِـقُـهُ عَـمْـداً لِـيَنْـتَـثِـرَ الـدُّرُّ

أنا عبْدُهُ وَهُو المَليكُ كما اسمُهُ فَلِي منه شطْرٌ كـامـلٌ ولـه شطْـرُ[1]

وتغزل الشاعر محمد بن مسعود الغساني[2]، خلال مدة سجنه، بأحد أحفاد عبد الرحمن الناصر لدين الله، المعروف بالشريف الطليق[3]، الذي سُجن معه، وكان آنذاك غلاما وسيما، لم يتجاوز بعد السادسة عشر من عمره، فنظم فيه الأبيات التالية:

غَدَوْتُ فِي الحَبْسِ خِدْناً لابْنِ يَعْقُوب وَكـنت أَحْسَبُ هَذَا فِي التَّكَاذِيبِ

رَامَـتْ عِـدَاتِي تَـعْـذِيـبِي وَمَا شَعَرَتْ أَنَّ الـذِي فَـعَلُـوهُ ضِـدَّ تَـعْـذِيـبِـي

لَمْ يَـعْلَمُوا أَنَّ سِـجْنِـي ـ لا أَبَا لَهُمْ ـ قَـدْ كَـانَ غَايَـةَ مَأْمُولِي وَمَـرْغُوبِي[4]

مما سبق يتبين أن التغزل بالغلمان لم يقتصر على فئة معينة من المجتمع الأندلسي، كما أنه لم ينحصر في أماكن محدودة، وقد قاد انتشار هذه العادة، إلى ظهور عادة أخرى أشنع وأشد خطرا على المجتمع، والمتمثلة في اللواط.

ـ اللـــواط:

اللواط هو شذوذ جنسيّ بين رجلين[5]، أي إتيان الرجلِ الرجلَ في دبره، وسمي بذلك لأَن أول من عمله قوم نبي الله لوط عليه السلام.

وكان الأندلسيون يطلقون على كل متهم بالفعل الخبيث، أي المَلوط اسم" المُخَنَّثُ " [6]، [6]، إلا أن المخنث هو الذي ينكسر ويتراخى في مشيته، متشبها بالنساء[7].

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 40.

[2]ـ محمد بن مسعود أبو عبد الله، يعرف بالبجاني الغساني، سكن قرطبة فنسب إليها، وكان شاعراً مشهوراً، كثير الشعر، مليح الغزل، طيب القول، كان في حدود 400هـ/ 1010، اتهم بالزندقة، فسجنه المنصور بن أبي عامر. ينظر: ابن بسام ـ المصدر السابق ـ ص 434- 438.

[3]ـ مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، أبو عبد الملك، يعرف بالطليق، سجن أيام المنصور بن أبي عامر، كان أديبا شاعرا، توفي نحو 400 هـ/ 1010م. ينظر: الضبي ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 213 رقم 1347.

[4]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 191- 192.

[5]ـ أحمد مختار عبد الحميد عمر ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1429 هـ - 2008 م ـ ج 3 ص 2048.

[6]ـ الزبيدي ـ المصدر السابق ـ ص 239.

[7]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 145.

كما سموه " القطيم " وجمعه " القطماء "[1]، والقَطَمُ معناه شهوة اللحم والنكاح، والقَطِمُ والقطيم هو الرجل الذي " اهتاج وأراد الضراب " أي أراد أن يُلَوَّ طَ[2].

وأطلقت العامة على نفس هذا الشخص اسم " حاوي "، فقالوا: " عَشَيَّتْ حاوي ما يكلها إلا من يبيت "[3] أي لا يأكل عشاءَ المخنث إلا من يبيت عنده، وكانوا يسمونه تعريضا " رطب الذراع "[4].

أما حد اللواط، فالرجم مطلقا إلى حد الموت بالنسبة للمكلَّفَيْنِ، " أُحصنا أم لم يُحصنا، حُرَّين كانا أو رقيقين، مسلمين أو كافرين، ولو كان المفعول به مملوكا للفاعل، وأما لو كانا غير مكلفين فإنهما يؤدبان فقط "[5]، لقوله ﷺ: " الَّذِي يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَارْجُمُوا الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ، ارْجُمُوهُمَا جَمِيعًا "[6]، ويقول ﷺ " مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ "[7]، ولم يختلف الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، حين استشارهم الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في قتل مرتكبي هذه الفاحشة، بل أن عليا بن أبي طالب رضي الله عنه أفتى بحرقهم، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه بفتوى علي رضي الله عنه، وأرسل إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه ليعمل بها[8]، إلا أن الفقهاء أجمعوا على الرجم والقتل، دون الحرق.

ورغم ذلك، فإن الأندلس عرفت هذه العادة الشنيعة، التي انتشرت في عدد من مدن الأندلس، كما تشير إلى ذلك عبارة ابن سعيد[9]، ولكن مدينة قرطبة، اشتهرت عن غيرها من

---

[1]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 177// الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 88 و117.

[2]ـ ابن منظور ـ المصدر السابق ـ ج 12 ص 488.

[3]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 380 رقم 1668.

[4]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ص 177.

[5]ـ شهاب الدين المالكي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم (ت 1126هـ/ 1714م) ـ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي أبي زيد القيرواني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1415هـ - 1995م ـ ج 2 ص 209.

[6] ـ أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي (307هـ/ 920م) ـ مسند أبي يعلى ـ تحقيق حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث للتراث - دمشق ـ ط1 ـ 1404هـ/ 1984م ـ مسند أبي هريرة ـ شهر بن حوشب ج 12 ص 42 رقم 6687.

[7]ـ أبو داود السجستاني ـ المصدر السابق ـ كتاب الحدود ـ باب فيمن عمل عمل قوم لوط ـ ج 6 ص 510.

[8]ـ القرافي، أبو العباس شهاب الدين (ت 684هـ/ 1285 م) ـ الذخيرة ـ تحقيق محمد بوخبزة ـ دار الغرب الإسلامي- بيروت ـ ط 1 ـ 1994م ج 12 ص 66.

[9]ـ ابن سعيد المصدر السابق ـ ج 1 ص 177.

هذه المدن، بكثرة المخنثين، وتحديدا درب ابن زيدون[1].

والمعروف أن اللواط " فاحشة ابتلي بها غالب الملوك، والأمراء، والتجار، والعوام، والكتاب، والفقهاء، والقضاة ونحوهم، إلا من عصم الله منهم "[2]، فالإشارات المبثوثة في المصادر التي اطلعنا عليها، تثبت، رغم قلتها، ممارسة هذا الفعل في الأندلس من طرف بعض أفراد الأسر الميسورة، ولذلك قالت العامة: " أربعة لا تخلو من أربعة، من بينها دار أشرا ف من قطيم "[3]، ومن الأمثلة ما قاله هشام بن الأمير عبد الرحمن الأوسط في خادم أسود، كان يملكه يسمى ريحان:

أُحِبُّكَ يا ريْحانُ ما عشت دائماً ... ولَو لاَمَني في حُبِّكَ الإنسُ والجانُ
ولَوْلاكَ لَم أَهْوَ الظّلامَ وسُهدَهُ ... ولاَ حُبِّبَتْ لِي في ذُرَا الدَّارِ غِرْبَانُ
ومَا أعْشَقُ الرَّيْحانَ إلاَّ لأنّهُ ... شريكُكَ في اسمٍ فيه قَلْبي هَيْمَانُ
علَى أنّهُ لم يُكْمِل الظَّرْفَ مجْلِسٌ ... إذَا لَمْ يكُنْ فيهِ معَ الرَّاحِ ريْحانُ[4]

من خلال هذه الأبيات، يتضح أن هشاما هذا، كان يُسْتَدْبَرُ من طرف خادمه الزنجي، وكان يهيم به أشد الهيام، حتى أنه لم يستطع أن يكتم ذلك عن الناس.

ويبدو أن أخاه محمد، الذي تولى الخلافة بعد أبيه عبد الرحمن، كان مبتلى بهذا المرض، وهذا ما يمكن أن نستخلصه من القصة التي يرويها عنه أحد وزراء أبيه، الذي بات معه أثناء غياب الخليفة في إحدى الغزوات، إذ يقول هذا الوزير بأن محمد بن عبد الرحمن أوشك أن يقع في الفاحشة مع غلام صقلبي صغير السن وجميل الوجه، إلا أنه تماسك وأبعد الغلام عنه، وأغلق الباب على نفسه[5].

من خلال هذه القصة، يمكن القول بأن الأمير محمد بن عبد الرحمن كان من ممارسي هذا الفعل، إذ أن الوزير صاحب القصة يقول: " إني أخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن

---

[1]ـ المصدر نفسه ـ نفس الجزء والصفحة.

[2]ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/ 1372م) ـ البداية والنهاية ـ دار الفكر ـ بيروت ـ1407هـ ـ1407هـ / 1987م ـ ج 9 ص 162.

[3]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 119 رقم 531.

[4]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 579.

[5]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 298.

الهلاك بمواقعة المعصية وتزيين إبليس وأتباعه "، وكأنه كان يعلم مسبقا بأن محمد بن عبد الرحمن شاذ جنسيا.

وكان اتخاذ السادة لخدام عبيد، ليمارسوا معهم هذا الفعل القبيح، من الأمور المعتادة، لذلك قالت العامة: " لاتعمل خصلة إلا مع أسود "[1]، أي لا تمارس الفعل السيء إلا مع أسود، وفي هذا المعنى أنشد ابن الياسمين[2]، عندما عذله بعض أصدقائه لاتخاذه خادما أسود:

يَـعيبونَ حُـبِّي للسَّوادِ جهالةً   ومـا عَلموا مَـا فيه لي من مـآربِ
أُهِينُ لِقَصْدِي رَبَّهُ وَهْوَ خادِمٌ   إذَا مَا عَلاَ فَوْقِي بِـمِجْدافِ قَاربِ
وفِـيهِ خصَـالٌ جَمَّةٌ غَيْرَ هَذِهِ   أَحَـقُّ الـوَرَى طُـرّاً بِـخِدْمَةِ كَاتِبِ[3]

وكان عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن أبي عامر من المولعين بممارسة اللواط[4]، كما كان هشام بن عبد الجبار[5]، يتعشق غلاما صقلبيا، ولا يبيت الليل إلا مع مخنث أو مخنثين، وشاع عنه ذلك، حتى قال فيه أحد الشعراء:

أَمِيرُ النَّاسِ سُخْنَةُ كُلُّ عَيْـنٍ   يَـبِـيتُ اللَّـيْلَ بَيْـنَ مُخَنَّـثَيْـنِ
يَجْشُـمُ ذَا ويَلْـثُمُ خَـدَّ هَذا   وَيَـسْكَرُ كُـلَّ يَـوْمٍ سُكْرَتَيْـنِ
لَقَدْ وَلَّوْا خِلاَفَتَهُمْ سَـفِيهـاً   ضَعِيفَ العَقْلِ شَيْناً غَيْرَ زَيْنِ[6]

ولم يسلم من هذه العادة بعض الفقهاء، إذ كان أحدهم، في إشبيلية، يمارسها مع

1ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 461.

2ـ عبد الله بن محمد بن حجاج، ويعرف بابن الياسمين يكنى أبا محمد، عالم بالحساب والعدد والجبر، ولد بإشبيلية وتعلم بها، ثم رحل إلى مراكش، وُجد مذبوحا في بيته سنة 601هـ/ 1204م. ينظر: ابن سعيد ـ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار المعارف ـ مصر ـ ص 42- 49.

3ـ المصدر نفسه ـ ص 45.

4ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 49.

5ـ محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، أبو الوليد، انتزع الحكم من أيدي عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر، سنة 399هـ/ 1008م، وبايعه الناس فتلقب بالمهديّ باللّه وملك قرطبة وحبس هشام المؤيد بن الحكم في القصر، وكانت خلافته بداية للفتنة البربرية. قُتل سنة 400هـ/ 1010م. ينظر: الضبي ـ المصدر السابق ـ ج1 ص 22- 23.

6ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 80.

غلام[1]، كما يحدثنا ابن حزم عن رجل من الخاصة يسمى عبيد الله بن يحيى الأزدي، ويعرف بابن الجزيري، علق بفتى، وسعى إلى الحصول على بغيته منه، وأهمل لأجل ذلك أسرته، بل أنه عرض بناته وزوجته على الرجال[2].

ولم تقتصر هذه العادة على الطبقة الخاصة، بل انتشرت أيضا بين أفراد العامة، فقد اشتهر درب ابن زيدون في قرطبة بكثرة القطماء، واشتهر من بينهم أحد كان يلقب بالهيدورة، إذ كان يترك بابه مفتوحا بالليل حتى يستدرج اللصوص، فإذا ما دخل لص، أغلق عليه الهيدورة الباب، وأجبره على أن يعلوه، فإن يأبى، يهدده بالفضيحة[3]. وفي هذا السياق يقول الأعمى المخزومي:

قَـطِـيـمٌ يُـغْلِـقُ أَبْـوَابَـهُ   وَيَفْرحُ بِالبَيْتِ مَهْمَا خَلاَ
يُـفْـرِجُ أَوْلاَدَهُ عَـامِــداً   وَيُـبْـعِـدُهُمْ أَبَـدًا مَـنْـزِلاَ[4]

وتعددت أماكن ممارسة هذا الفعل القبيح في الأندلس، فإلى جانب المنازل، كانت السجون من الأماكن التي توفرت فيها كل الظروف المواتية لانتشاره، ومن بينها تجمع عدد كبير من الذكور في مكان واحد، ومبيتهم جنبا إلى جنب، وطول مكوث بعض السجناء فيه، مع ابتعادهم عن زوجاتهم طوال مدة سجنهم، لذلك طمأن ـ الهيدورة ـ أصدقاءه، الذين تحسروا عليه بعد دخوله السجن، بأنه في خير ونعيم، وأنه يحصل على ما يريد[5].

ولم تسلم بيوت العبادة من هذه الآفة، فقد قالت العامة: " أوسَع مَن شْكَارة حَبْلَصْ الذي كان يْطَّلَعْ فيهاالمُرْد لِلصُّمْعَ "[6]، وهذا المثل يُضرب في رجل كان يأخذ المخنثين إلى مآذن المساجد لممارسة الفاحشة، كما يحكى أن رجلا أُخذ مع صبي في صومعة، وسراويلهما في الأرض، فقيل له: ما هذا؟ قال: " أريد أن أبدل معه سراويلي بسراويله، فأنطر والله أيهما

---

[1]ـ شهاب الدين أحمد التيفاشي (ت 651هـ/ 1253م) ـ نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب ـ تحقيق جمال جمعه ـ رياض الزين للكتب والنشر ـ قبرص – لندن ـ ط 1 ـ يونيو 1992 ـ ص 177.
[2]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 279.
[3]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 176– 177.
[4]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق - ج 1 ص 230.
[5]ـ نفسه ـ ج 1 ص 177.
[6]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 117 رقم 519.

أجود لئلا يغشني"[1]. أما الكنائس الأندلسية فكان بعضها أوكارا لممارسلة الرذيلة، من زنا ولواط، لذلك حذر الفقهاء المسلمون من الاختلاء برجال الدين فيها، لأن أغلبهم كانوا زناة لوطة[2].

ومما تجدر الإشارة إليه، أن بعض الأندلسيين كانوا يجاهرون بهذه المعصية، وهي خصلة جُبل عليها كثير من الناس[3]، واستغل عدد من الأندلسيين فترة الفتنة، التي شهدتها قرطبة، للمجاهرة بهذه المعصية[4] غير آبهين بما يقال عنهم، من هؤلاء الشاعر الزجال ابن قزمان، الذي الذي يقول في أحد أشعاره:

وَإِنْ كَانَ فِي الوَرَى مَنْ فِيهِ أَحَدَ الخَصْلَتَيْنِ: لَوَّاطْ أَوْ زَانِي
فَأَنَا ذَا الخَصْلَتَيْنْ نَجْمَعْ[5]

ولم يستحي الشاعر عبيد الله بن جعفر الإشبيلي[6]، عن التعبير عن شدة حبه واهتباله بإتيان الذكور، إذ يقول:

وَأَغْيَدُ لَيْسَ تَعْدُوهُ الأَمَانِـي وَلَوْ حَكَمَتْ عَلَيْهِ بِاشْتِـطَاطِ
وَلَوْلاَ الرِّيقُ لَمْ أَظْفَرْ بِشَيْءٍ عَلَى عَدَمِ اهْتِبَالِي وَاحْتِيَاطِي
فَلاَ تَسْخَرْ بِـرِيقٍ بَعْـدَ هَـذَا فَـإِنَّ الـرِّيـقَ مِـفْتَـاحُ اللِّوَاطِ[7]

ووصل اهتبال أحدهم بهذا العمل إلى حد الكفر، إذ قال، مخاطبا من كان يهواه:

أَسْـلَمُ يَـا رَاحَـةَ الـعَلِـيلِ رِفْقًا عَلَى الهَائِمِ النَّحِيـلِ
وَصْلُكَ أَشْهَى إِلَى فُؤَادِي مِـنْ رَحْمَةِ الخَالِقِ الجَلِيلِ[8]

---

[1]ـ نفسه ـ ص 117.

[2]- ثلاث رسائل في الحسبة- ص48.

[3]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 386.

[4]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 106.

[5]ـ ابن قزمان القرطبي (ت 555هـ/ 1160م) ـ إصابة الأغراض في ذكر الأعراض أو ديوان ابن قزمان ـ تحقيق فيديريكو كوربنتي ـ دار أبي رقراق للطباعة والنشر ـ ط 1 ـ 1434هـ/ 2013م ـ ص 122.

[6]ـ عبيد الله بن جَعْفَر الإشبيلي، كَانَ وشاحاً مطبوعاً ظريفاً. ينظر: ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 267.

[7]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 61.

[8]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج ! ص 318.

وما تجب الإشارة إليه، أننا لم نعثر، في المصادر التي تصفحناها، على ما يوحي بأن حكام الأندلس بذلوا أدنى جهد لمحاربة هذه العادة، رغم أن الكل كان يعلم بوجود مخنثين في المجتمع، وبخاصة في المدن، وبأن هؤلاء كانوا يمارسون هذا الفعل القبيح، واقتصرت عقوبة من وُجد متلبسا به، أن يحمل الفاعلُ المفعولَ فيه، وفي ذلك يقول أحد الشعراء، عند رؤيته لغلام يحمل فوقه أحدبا، وُجدا متلبسَّيْن بممارسة اللواط:

رَأَيْـتُ الـيَوْمَ مَحْمُولاً وَأَعْجَبُ مِنْهُ مَنْ حَمَلَهْ
جِمَالُ النَّاسِ تَحْمِلُهُمْ وَهَـذَا حَـامِـلٌ جَمَـلَـهْ[1]

أما الفقهاء والمحتسبين فلم يدعوا إلى معاقبة مرتكبيه، واكتفوا بالدعوة إلى اتخاذ إجراءات وقائية لمواجهته، مثل عدم اتخاذ مؤدبين أو معلمين لوطة، وإقامة الكتاتيب في أماكن عامرة، ومنع المخنثين من حضور الولائم والمآتم، وألا يُكَلَّفوا بتربية الأطفال[2].

إلا أن مثل هذه الإجراءات ليست كفيلة بحماية المجتمع من هذه الآفة الخطيرة، التي لها آثار وخيمة على المجتمع، أبرزها انقطاع النسل البشري، لذلك كانت العقوبة التي سلطها الله على قوم لوط أشد وأنكى من العقوبات التي سُلِّطَت على باقي الأقوام السابقة.

ـ الزنـــا:

هو وطء الرجل لأنثى دون أن يملكها ملك نِكاح أو ملك يمين، وهو أيضا نكاح المرأة قبل إتمام عدتها، أو نكاحها بدون شهود أو مهر، ونكاح المحارم نسبا أو رضاعا أو صهرا، فإنّ الوطء المترتّب عن هذه الأنواع من الأنكحة يعتبر زنا شرعا ولغة[3].

والزنا من الكبائر التي ابتُليَت بها أغلب المجتمعات سواء منها السابقة أو اللاحقة على حد سواء، وهو من الأعمال التي حرمها الله عز وجل في محكم تنزيله: " وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا "[4]، وشدد في عقوبة الزاني والزانية غير المحصنين، فجعلها مائة

---

[1]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 4 ص 18.

[2]ـ المالقي ـ المصدر السابق ـ ص 68/ / ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 114.

[3]ـ التَّهَانوي، محمد بن علي بن القاضي (توفي بعد 1158 هـ/ 1745م) ـ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ـ تحقيق علي دحروج ـ ترجمه من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدي ـ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ـ ط 1 ـ 1996م ـ ج1 ص 912.

[4]ـ سورة الإسراء ـ الآية 32.

جلدة: " ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَاخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُومِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلاَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُومِنِينَ "[1]. أما الزاني والزانية المحصنَيْن فعقوبتهما الرجم حتى الموت، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه رجم من ثبت ارتكابه فاحشة الزنا، فقد قال عمر ابن الخطاب ﷺ: " لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: لاَ نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، أَلاَ وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى وَقَدْ أُحْصِنَ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الاعْتِرَافُ، أَلاَ وَقَدْ «رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ» "[2].

ورغم تحريمه والتشديد في معاقبة مرتكبيه، إلا أن الزنا كان يمارس في الأندلس، على مرأى ومسمع من الحكام الأمويين، بل برعاية وتشجيع منهم. فقد وُجدت هناك، خلال العهد الأموي، دور للبغاء، تضم نسوة يعرضن أجسادهن لكل راغب في ذلك، وتتمتع نساء هذه الدور بحماية ورعاية السلطة الحاكمة، مقابل دفعهن خراجا إلى بيت المال، لذلك سميت ب " نساء دور الخراج "[3].

ويبدو أن البغاء في الأندلس كان مقننا، وأن البغايا كان لهن نقيبة، متقدمة في السن، تمثلهن لدى السلطة الحاكمة، ففي عهد عبد الرحمن الناصر، كان اسم هذه النقيبة" رسيس"، وكانت تحظى بمكانة رفيعة مهيبة لدى هذا الخليفة، حتى أنه كان يسمح لها بالسير معه في مواكبه الرسمية[4]، مما يوضح نظرة بعض حكام الأندلس إلى البغاء.

ومما يبرز مدى الحرية التي كانت تتمتع بها هؤلاء النسوة، وعدم احترامهن لأعراف المجتمع الإسلامي الأندلسي، أنهن كن يخرجن إلى الشارع حاسرات الرؤوس، لذلك طالب المحتسبون من ذوي الأمر منعهن من ذلك[5]، ومن غير المستبعد أنهن كن يكشفن شعورهن، وربما أجزاء أخرى من أجسادهن حتى يغرين زبائنهن المتواجدين في الشارع.

[1]ـ سورة النور ـ الآية 2.
[2] البخاري ـ المصدر السابق ـ كتاب الحدود ـ باب الإعتراف بالزنا ـ ج 8 ص 168 ـ رقم 6829.
[3]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 76// ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 50.
[4]ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 76// ابن حيان ـ القطعة الرابعة من المقتبس ـ ص 37.
[5]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 50.

وأغلب المترددين على دور الخراج لقضاء إربتهم من نسائها، كانوا من سكان الريف، والتجار الوافدين على المدينة من مناطق بعيدة[1]، مما يعني بأن دور الخراج لم يكن لها وجود في أرياف الأندلس، لذلك كان الريفيون يغتنمون تنقلهم إلى المدينة لقضاء بعض حوائجهم، فيقوم بعضهم بزيارة هذه الدور.

والجدير بالذكر أن جل النساء اللواتي مارسن البغاء، سواء في دور الخراج أو في الشوارع، لم يكن مسلمات[2]، فبعضهن كن مسيحيات، وليس أدل على ذلك مما جاء في رسالة أبي عبد المنعم القروي[3]، التي رد بها على رسالة أبي عامر بن غَرْسية الشعوبي[4]: " ومن الآيات ذكر صواحب الرايات، والمباضعة عندكم كالمراضعة، ما في الشَّكر عندكم نُكر، تبيحون ولوج العلوج على بدور الحدوج، الزنا عندكم سنا، والفجار بينكم فخار، تقتادونهن وتستأدونهن..."[5]، وبعضهن كن يهوديات[6].

وكان المسيحيون أكثر إقبالا على ممارسة الزنا من المسلمين واليهود، إذ كان بعضهم يغري المسلمات على الخروج معه من بيتها إلى أماكن أخرى ليوقعها في الفاحشة[7]، ولم يقتصر الأمر على عامتهم، بل تعداه إلى رجال الدين من أساقفة وقساوسة وغيرهم، حتى أصبح من باب العسير العثور على رجل دين عفيف[8]، بحيث كان لكل واحد منهم خليلة أو أكثر يبيت معها، لذلك حذر بعض الفقهاء النساء، سواء المسلمات أو النصرانيات، من دخول الكنائس والاختلاء برجال الدين، لأنهم زناة لوطة[9].

---

[1]ـ عبد الوهاب خلاف ـ المرجع السابق ـ ص 319/ / Levy Provençal - op. cit - t 3 p 446

[2] ـ Duffourcq – op cit – p117 // Levy Provençal – op. cit – T3 p 289.

[3]ـ عبد المنعم بن من الله بن أبي بحر الهواري القيرواني أو القروي، يكنى أبا الطيب، كان أديبا شاعرا، توفي سنة 493هـ/ 1099م. ينظر: ابن بشكوال- المصدر السابق – ص315 رقم 841.

[4]ـ أبو عامر أحمد بن غرسية، أديب من أبناء البشكنس، من موالي إقبال الدولة بن مجاهد العامري ملك دانية والجزر، اشتهر برسالته في الشعوبية، التي يفتخر فيها بالعجم على العرب، وعارضها عدد من الأدباء العرب. ينظر: ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج2 ص406. وأورد ابن بسام رسالته وبعض الردود عليها في كتابه الذخيرة – ج3 ص 531-567.

[5]ـ ابن بسام- المصدر السابق- ج3 ص546.

[6]ـ ابن الخطيب ـ الإحاطة ـ ج 4 ص 231.

[7]ـ البرزلي- النوازل- ج 6 ص169/ / الونشريسي- المعيار المغرب- ج2 ص346.

[8]ـ ابن حزم- الفصل في الأهواء والملل والنحل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1996- ج1 ص174.

[9]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق- ص48.

هذا لا يعني أننا نبرئ مسلمي الأندلس من الزنا، بل أن هناك عددا من الإشارات توحي بانتشاره في أوساطهم ، وفي عدد من المدن الأندلسية.

من ذلك أن سعيد بن جودي[1] قُتل في بيت غانية من غواني اليهود في غرناطة، كان يتردد عليها[2]، ورغم كونه زعيما وشجاعا، إلا أنه يعاب عليه "استهتاره بالنساء ونهمه فيهن وانحطاطه في طلبهن"[3]. يضاف إلى ذلك إشارة كتب النوازل إلى بعض الأحداث التي تندرج في في هذا السياق، أن امرأة مسلمة اتهمت رجلا مسلما بأنه افتضها[4]، وأن الشاعر السناط[5] قتل قتل نفسه غيظا، لأنه وجد امرأته مع رجل[6]، كما اشتهر هشام بن عبد الجبار بارتكابه لعدة محرمات، من بينها الزنا[7].

ويعترف الشاعر يعلى بن أحمد[8] بأنه كان يرتكب هذه الفاحشة، ويعلن في نفس الوقت توبته عنها:

إِنِّي هَـجَرْتُ الغَانِـيَاتِ جَـمِيعًا وَنَزَعْتُ عَنْ كَلَفِي بِهِنَّ نُزُوعَـا
وَرَفَضْتُ لَذَّاتِي فَصِرْتُ لِنَاصِحٍ بَـعْدَ الإِبَـايَـةِ سَـامِـعًا وَمُطِيعَا
يَاحَـسْرَةً سَـاعَـاتُهَا مَـا تَنْقَضِي كَيْفَ النَّجَاةُ وَقَدْ أَسَأْتُ صَنِيعَا[9]

انتشر الزنا في عدد غير قليل من مدن الأندلس، إذ كانت توجد في كل منها دار للبغاء، تسمى القصيفة[10]، فإشبيلية كان يضرب بأهلها المثل في الخلاعة، لذلك قالت عامة الأندلس: "

[1]ـ سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي هو من هوازن، شَاعِرٌ شجاع، رأس العرب بغرناطة أيام فتنة فتنة عمر بن حفصون، قتل سنة 284هـ/ 897م. ينظر:ابن حيان ـ القطعة الثالثة من المقتبس ـ ص 123- 126.
[2]ـ ابن الخطيب ـ المصدر السابق ـ ج4 ص 231.
[3]ـ ابن حيان ـ المصدر السابق ـ ص 30.
[4]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 852.
[5]ـ هو الْحسن بن حسان السناط، شاعر قرطبي، اشتهر بمدحه للخليفة عبد الرحمن الناصر. ينظر: ابن سعيد ـ المصدر السابق السابق ـ ج 2 ص 37.
[6]ـ المصدر نفسه ـ نفس الجزء والصفحة.
[7]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ص 79.
[8]ـ يعلى بن أَحْمد بن يعلى، من شعراء الأندلس، كان أبوه قائدا في دولة المنصور بن أبي عامر، توفي سنة 393هـ/ 1003م. 1003م. ينظر: ابن الأبار ـ الحلة السيراء ـ ج 1 ص 284.
[9]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص284- 285.
[10]ـ توريس بالباس ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ص 282. والقصيفة هي الماخور أو بيت الدعارة. ينظر: دوزي ـ =

إشبيلية تفتك، وطريانة تؤدي الجعل[1]، ولم تسلم مقابر هذه المدينة من اتخاذها أماكن للفسق[2]، وقالت العامة أيضا: "فاجِراتْ شَرْشَرَ، اطْلُبْ وَحْدَة تُجَدْ عَشْرَ"[3]، والمثال يدل على كثرة الفاجرات في هذه المدينة المسماة شرشر. أما مدينة أبدة[4] فاشتهرت بكثرة ملاهيها، وراقصاتها اللواتي كن يُجِدْن الرقص بالسيوف والدك[5]، وأغلب الراقصات والمغنيات، وبخاصة في الأعراس، كن عواهر[6]، لذلك قالت العامة: " عاهرة منحوس لا تغني ولا ترقص"[7].

ولم يكن بعض الأندلسيين يتسترون بعد ارتكابهم للزنا، بل كانوا يفخرون بفعلهم، ويتبجحون به، ويحدِّثون به الناس[8]، كما كان آخرون يغتنمون حفلات الزفاف لارتكاب المحرمات، وبخاصة شرب الخمور، واختلاط النساء بالرجال، وارتكاب الزنا، على مرأى ومسمع وعلم الجميع، وأصبحت هذه الأفعال عرفا، بل واجبا، يُجبَر الزوج على توفير الجو لها، والمساهمة في إحداثها، أمام عجز أولي الأمر والفقهاء على القضاء عليها[9]، حتى أصبح الزنا، خلال الفتنة البربرية، مباحا غير مستور[10].

ولم يقتصر الزنا على النساء المتزوجات أو الثيبات، بل تعداه إلى الأبكار، إذ كان بعضهن يسمحن لعشاقهن بلمسهن وتقبيلهن ومداعبتهن، مع حفاظهن على بَكاراتهن من الإفتضاض، وقد عبر الأندلسيون على ذلك بالمثل القائل: " بُسْ واقْرُصْ، وخَلِّ مْوِيضَعْ

= تكملة المعاجم العربية ـ ج 8 ص 297.

1ـ الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 393.الزجالي يورد المثل بصيغة مخالفة " طريانة تفتك وإشبيلة تغرم الجعل "، إلا أن محقق كتاب أمثال العوام يعتبر صيغة المثال عند الحميري أصح. ينظر:الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 242.

2ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 26– 27.

3ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 419 رقم 1824.

4ـ أبدة أو أبذة (Ubeda) مدينة صغيرة بالأندلس، قريبة من بياسة، وعلى مقربة من النهر الكبير، ولها مزارع وغلات كثيرة. ينظر: الحميري ـ المصدر السابق ـ ص 6.

5ـ المقري المصدر السابق ـ ج 3 ص 217.

6ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 384.

7ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 412 رقم 1796.

8ـ ابن حزم ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 381.

9ـ الونشريسي ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 251.

10ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 3 ص 106.

العْرُوسْ "[1]، بينما كانت أبكار أخريات يستسلمن لأخدانهن، أو يختدعن، فيتم افتضاض بكاراتهن[2]، وربما أصبحت البكر بعد ذلك حُبلى، لذلك قالت العامة:"عزبة قريبة العهد بالنفاس "[3].

من ذلك، يمكننا القول بأن البغاء في الأندلس، كان مباحا ومقننا، إذ أن السلطة الحاكمة هناك ألزمت نفسها بتوفير الحماية والأمن للبغايا، وأماكن خاصة لهن، عرفت بدور الخراج، مقابل قبضها لضريبة منهن، إلا أن ذلك لم يمنع من انتشار الزنا في أوساط المسيحيين خاصة، واليهود وكذلك المسلمين. ولم يقتصر ذلك على النساء المتزوجات والثيبات، بل تعداه إلى الأبكار، وأصبح الزنا، لدى البعض، من الأعمال التي يُجهر بها، بل ويُفتخر بها، وبخاصة في أواخر الدولة الأموية، وإبان الفتنة البربرية، وبعدها، أي في فترة ملوك الطوائف.

ـ مواقعة الرجال للبهائم:

من الآثام المرتكبة في الأندلس، خلال الفترة محل الدراسة، مواقعة بعض الذكور للبهائم. فرغم أن أغلب المصادر، التي اطلعنا عليها، تلتزم السكوت عن هذا الموضوع، إلا أننا عثرنا في ثنايا بعضها على ما يفيد بأن هذه العادة وُجدت في الأندلس، ولو أنها لم تعرف انتشارا واسعا مثل شرب الخمر والزنا وغيرهما من العادات الفاسدة الأخرى.

ففي بداية حكم عبد الرحمن الناصر، أي مع بداية القرن الرابع الهجري (10م)، جيء إلى الطبيب يحيى بن إسحق برجل بدوي، يتضرع ألما من ورم أصابه في ذَكَره، فلما كشف عليه الطبيب، وعالجه، عرفَّه بعد ذلك على سبب علته، وقال له: " واقعت بهيمة في دبرها، فصادفت شعيرة من علفها، لحجت في عين الإحليل، فورم منها وقد خرجت في الصديد "[4]، فاعترف البدوي بذلك، وأقر بفعله، هذا يعني بأن ظاهرة إتيان البهائم كانت منتشرة في أوساط البدو، أي في الأرياف، أين يرتفع عدد البهائم، وتتعدد أنواعها.

---

[1]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 132 رقم 582.

[2]ـ ابن سهل ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 852.

[3]ـ الزجالي ـ المصدر السابق ـ ص 389 رقم 1705.

[4]ـ ابن جلجل، أبو دود سليمان بن حسان (ت بعد 384هـ/ 994م) ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ تحقيق فؤاد سيد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 2 ـ 1405هـ/ 1985م ـ ص 100- 101.

وفي حديثه عن بلادة وحمق هشام المؤيد، يسوق ابن سعيد المغربي، نادرة من النوادر المتعلقة بهذا الخليفة، الذي نظر يوما إلى بغلة من الإسطبلات الملكية، فرأى على فرجها أخراسا، كما جرت به العادة، فسأل المكلَّفَ بقيادتها عن سبب وضع هذه الأخراس، فأعلمه الخادم، بأن ذلك خوفا من تعدي السواس عليها[1].

من العبارة يمكن أن نستنتج بأن الأندلسيين اعتادوا وضع أخراس على فروج الإناث من البغال، خوفا من التعدي عليها من قبل بعض الآدميين، من جهة، ولأن البغلات خلقهن الله عقيمات، بينما تعذر عليهم فعل ذلك بالبهائم الأخرى القابلة للإنجاب. كما يمكن أن نستنتج أيضا بأن المدن أيضا، وبخاصة الإسطبلات الملكية، شهدت انتشار هذه العادة السيئة.

ـ التسول:

من الظواهر المشينة، التي استشرت في أسواق الأندلس، ظهور متسولين مخادعين، يوهمون الناس بأنهم مصابون بأمراض، وأنهم غير قادرين على العمل، وعلى توفير ما يعالجون به عللهم، فمنهم من يسقط على الأرض، ويتخبط تخبط الذبيحة، موهما الناس بأنه مصاب بالصرع، ومنهم من يكشف على مواطن الورم والقروح البشعة في جسده، وبعضهم يصيح من الوجع بأعلى صوته، محاولا إقناع المارة بأنه يعاني ألم الحصا في الكليتين أو في الحويصلة الصفراء، وآخرون يتظاهرون بالعجز عن الحركة، وكل ذلك من أجل استعطاف الناس، والحصول منهم على بعض المال[2]، والدافع الذي دفع هؤلاء المتسولين إلى مثل هذا التحايل، هو أن الأندلسيين " إذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب، سبّوه وأهانوه، فضلا عن أن يتصدقوا عليه "[3]، مع العلم أن هذه الظاهرة التي تنتشر في أسواق المدن، يندر أو ينعدم وجودها في الأرياف.

ـ اللصوصية:

تعتبر اللصوصية أو السرقة، من الآفات التي لم تسلم منها المجتمعات الإنسانية، إلا أن حدتها، ودرجة انتشارها تختلف من مجتمع إلى آخر حسب شدة الحاكم ولينه تجاه اللصوص، وردعه لهم. ولم يشذ المجتمع الأندلسي عن ذلك، إذ كانت جرائم اللصوص فيه شبه يومية، فلا

---

[1]ـ ابن سعيد ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 195.

[2]ـ ابن عبد الرؤوف ـ المصدر السابق ـ ص 113.

[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 220.

تكاد تمر ليلة إلا قيل في صباحها: " دار فلان دُخِلَت البارحة " أو " فلان ذبحه اللصوص على فراشه "[1]. ولم يتوقف نشاط هؤلاء اللصوص على التسلل إلى دور الأغنياء، بل تعداه إلى بيوت الله، ففي سنة 353هـ/ 964م تمت سرقة بيت المال الموجود بداخل المسجد الجامع بقرطبة، والذي كانت أمواله موقوفة على أبناء السبيل[2] .

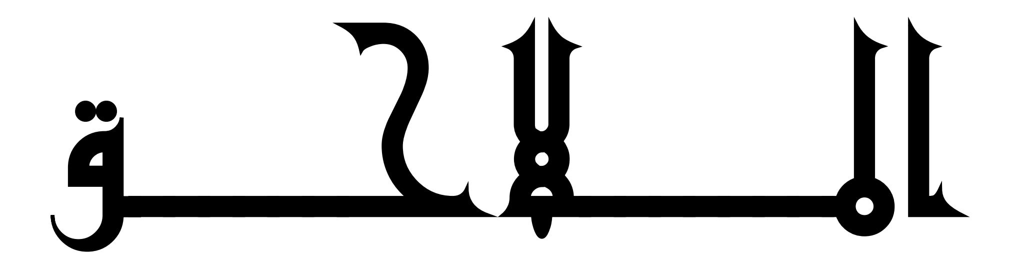
ولمواجهة أعمال السرقة، وحماية السكان من كل الشرور، وضع حكام الأندلس خطة الشرطة، وفوضوا صاحبها اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة للحد من السرقة، تصل إلى حد القتل، إذا تطلب الأمر، دون استئذان الحاكم[3]، كما تم وضع، لكل زقاق من أزقة المدن وأرباضها، باب يُحكَم إغلاقه ليلا، وعليه حارس مسلح ومعه كلب حراسة[4]، يقوم بدوريات ليلية بين الدور، حتى يحد من حركة السراق والذعرة[5].

تلك كانت أبرز العادات السلبية التي عرفها المجتمع الأندلسي، خلال عهد الإمارة والخلافة الأموية، إلا أن استعراضنا لها، لا يعني أن كل الأندلسيين كانوا يمارسونها، أو كانوا يهوون ممارستها، بل أن الأندلس شهدت انتشار عادات أخرى محمودة، سنحاول التعرض إليها.

من كل ما سبق، يتبين أن الحكام الأمويين تمكنوا من الحفاظ على تماسك المجتمع الأندلسي، رغم تكونه من أتباع الديانات السماوية الثلاث، المسلمين والمسيحيين واليهود، وقد استطاع الأمويون تحقيق ذلك، بمنحهم حرية شبه مطلقة لأفراد المجتمع في أداء طقوسهم الدينية، والإحتفال بأعيادهم ومواسمهم. إلا أن هذه الحرية تجاوزت، في بعض الأحيان، الحد المطلوب، فنتج عنها عدد من السلوكات، التي تحولت إلى عادات، بعضها مذموم، والبعض الآخر محمود.

---

[1]ـ المصدر نفسه ـ ج 1 ص 219.
[2]ـ ابن عذاري ـ المصدر السابق ـ ج 2 ص 236.
[3]ـ المقري ـ المصدر السابق ـ ج 1 ص 219.
[4]ـ نفسه ـ نفس الجزء والصفحة.
[5]ـ ابن عبدون ـ المصدر السابق ـ ص 18.


الملاحق

الملحق رقم 01: [1]



[1] - Antillon, Don Isidore, Géographie physique et politique de l'Espagne et du Portugal, Librairie Kilian, Paris, 1923, p 106.

الملحق رقم 02.



سيدة ألش، المتحف الوطني للآثار، مدريد، إسبانيا.

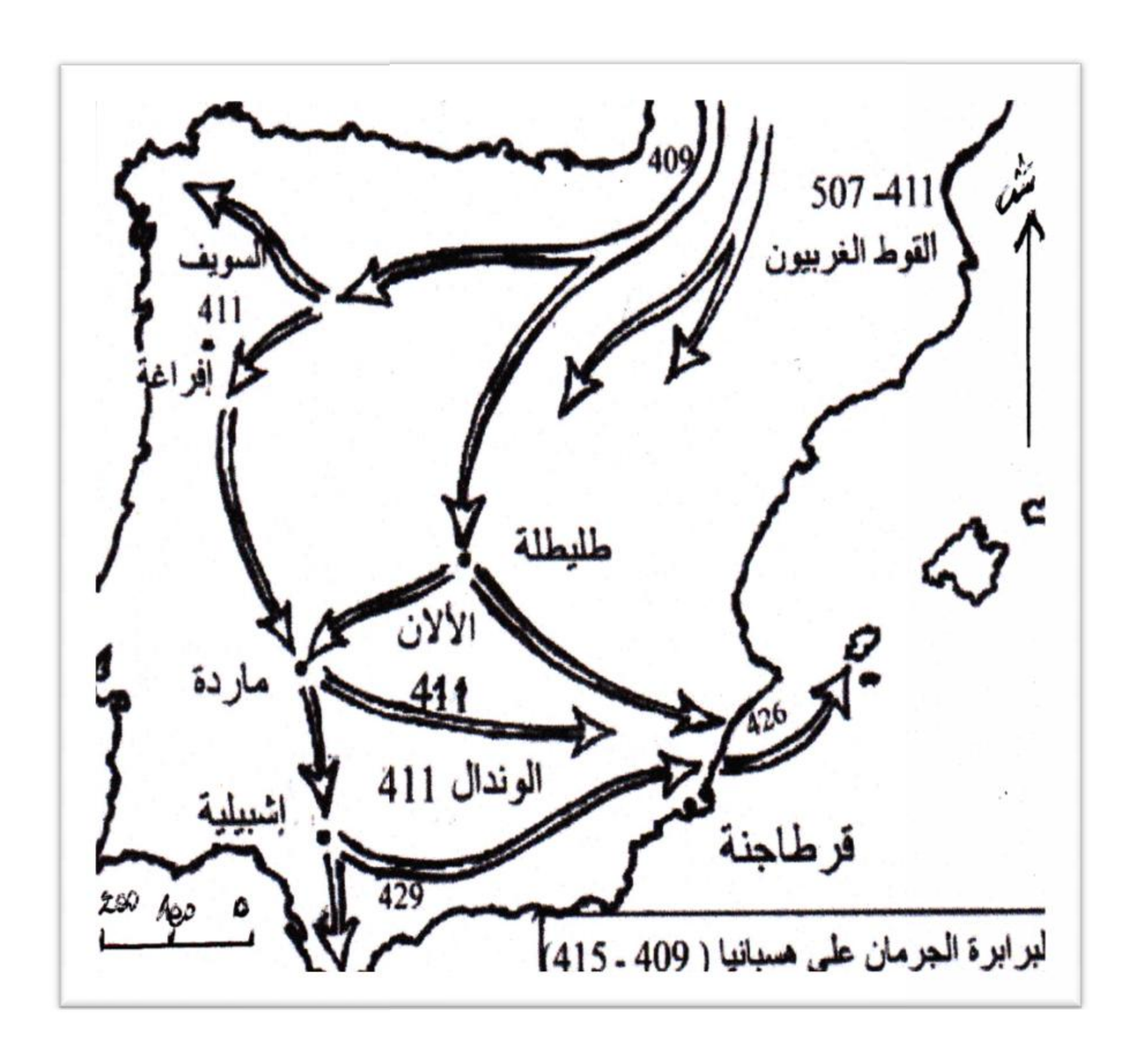
الملحق رقم 03.[1]



توزيع القبائل الجرمانية في شبه جزيرة إيبيريا في بداية القرن 5 الميلادي

[1] ـ محمد عبده حتاملة ـ إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين ـ وزارة الثقافة ـ عمان الأردن ـ 1416هـ/ 1996م ـ ص 194.

الملحق رقم 04. [1]



[1] – André LEFEVRE - Germains et Slaves origines et croyances - librairie Reiwald Chleicher frères et cie éditeurs – Paris – 1903 - p 184.

الملحق رقم 05:

إنكاح الأب ابنته البكر في حجره لمحمد بن أحمد

هذا ما أصدق فلان بن فلان الفلاني زوجه فلانة بنت فلان الفلاني، أصدقها كذا وكذا دراهم بدخل أربعين من الضرب الجاري بقرطبة في حين تاريخ هذا الكتاب نقدا وكالئا، النقد من ذلك كذا وكذا دينارا دراهم قبضها لفلانة من زوجها، فلان أبوها فلان إذ هي بكر في حجره وولاية نظره، وصارت بيده ليجهزها بها إليه وأبرأه منها فبرئ، والكالئ كذا وكذا دينارا دراهم من الصفة المذكورة، مؤخرة عن الناكح ومؤجلة عليه كذا وكذا عاما، أولها شهر كذا من سنة كذا.

والتزم فلان بن فلان لزوجته فلانة طائعا متبرعا استجلابا لمودتها وتقصيا لمسرتها، ألا يتزوج عليها ولا يتسرى معها ولا يتخذ أم ولد، فإن فعل شيئا من ذلك فأمرها بيدها والداخلة عليها بنكاح طالق وأم الولد حرة لوجه الله العظيم وأمر السرية بيدها، إن شاءت باعت وإن شاءت أمسكت، وإن شاءت أعتقت عليه.

وألا يغيب عنها غيبة متصلة قريبة أو بعيدة أكثر من ستة أشهر إلا في أداء حجة الفريضة عن نفسه، فإن له في ذلك مغيب ثلاثة أعوام إذ أعلم ذلك من سفره فاصلا إليه قاصدا نحوه مجريا لنفقتها وكسوتها وسكناها، فمتى زاد على هذين الأجلين أو أحدهما فأمرها بيدها، والقول قولها عند المنقضى من أجليها بعد أن تحلف في بيتها بحضور شاهدي عدل يعرفانها بالله لغاب عنها أكثر مما شرطه لها، ثم يكون أمرها بيدها ولها التلوم عليه ما شاءت لا يقطع تلومها شرطها.

وألا يمنعها من زيارة جميع أهلها من النساء وذوي محارمها من الرجال، وألا يمنعهم من زيارتها فيما يحسن ويجمل من التزاور بين الأهلين والقرابات، فإن فعل شيئا من ذلك فأمرها بيدها وعليه يحسن صحبتها ويجمل بالمعروف عشرتها جهده، كما أمره الله تبارك وتعالى، وله عليها من حسن الصحبة وجميل العشرة مثل ذلك كما قال تعالى: " وللرجال عليهن درجة ".

وعلم فلان بن فلان أن زوجته فلانة هذه ممن لا تخدم نفسها، وإنها مخدومة لحالها ومنصبها، فأقر أنه ممن يستطيع إخدامها وأن ماله يتسع لذلك فطاع بالتزام إخدامها، تزوجها بكلمة الله عز وجل وعلى سنة نبيه محمد ﷺ، ولتكون عنده بأمانة الله تبارك وتعالى، وبما أخذه الله عز وجل للزوجات على أزواجهن من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أنكحه إياها

أبوها فلان بن فلان بكرا في حجره وتحت ولاية نظره، صحيحة في جسمها بما ملكه الله عز وجل من بضعها وجعل بيده من عقد نكاحها، شهد على إشهاد الناكح فلان بن فلان والمنكح فلان بن فلان المذكورين في هذا الكتاب على أنفسهما بما ذكر عنهما فيه من سمع ذلك منهما وعرفهما وهما بحال الصحة وجواز الأمر، وذلك في شهر كذا من سنة كذا [1]

[1] ـ ابن العطار ـ كتاب الوثائق والسجلات ـ تحقيق ب. شالميتا و ف. كورينطي ـ مجمع الموثقين المجريطي ـ المعهد الإسباني العربي للثقافة ـ مدريد 1982 ـ ص 7- 8- 9.

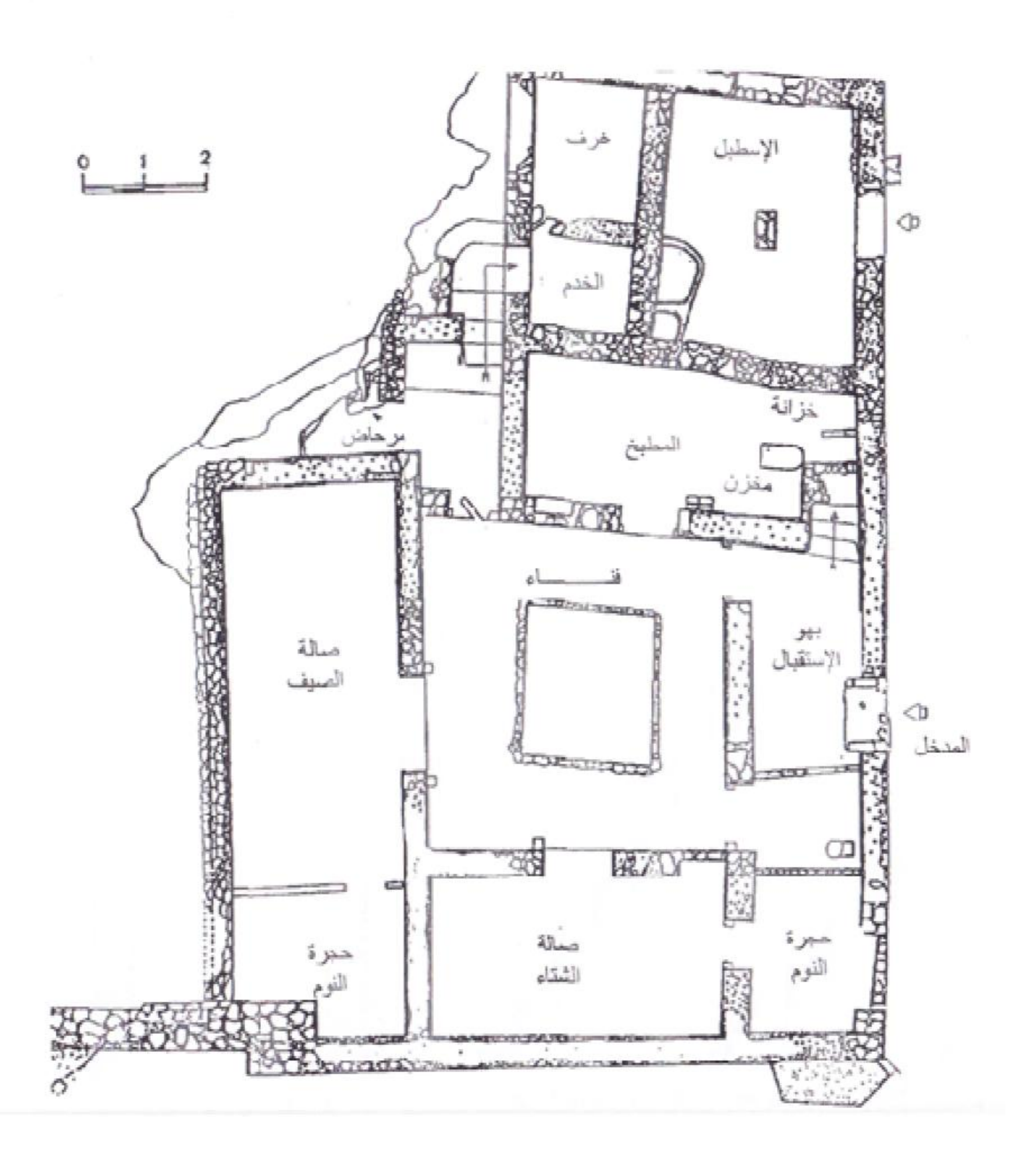
الملحق رقم 06:

إنكاح الوصي من قبل الأب.

قال محمد بن أحمد: هذا ما أصدق فلان بن فلان زوجه فلانة بنت فلان الفلاني، أصدقها كذا وكذا دينارا دراهم بدخل كذا من ضرب سكة موضع كذا في وقت كذا نقدا وكالئا، النقد من ذلك كذا وكذا قبضها لفلانة من زوجها فلان، وصيها فلان بن فلان الناظر لها بإيصاء أبيها فلان بها إليه في عهده الذي لم ينسخه بغير في علم الشهود بذلك إلى أن توفي، وصارت بيده ليجهزها بها إلى زوجها فلان بن فلان، والكالئ كذا وكذا إلى أجل كذا ـ ثم تبني على ما تقدم وتذكر الشروط ـ ، ثم تقول: " أنكحه إياها فلان بن فلان الناظر لها بإيصاء أبيها فلان بها إليه بعد أن استأمرها في ذلك وعرفها بفلان زوجا وبما بذله لها في هذا الكتاب صداقا، فصمتت عند ذلك وأعلمت أن إذنها صماتها، وهي بكر بالغ في سنها صحيحة الجسم، بمحضر فلان بن فلان وفلان بن فلان وهما يعرفانها بعينها واسمها، شهد على إشهادهما على شهادتهما بذلك من أشهده الناكح فلان والمنكح فلان على أنفسهما بما ذكر عنهما في هذا الكتاب وعرفهما، وهما بحال الصحة وجواز الأمر، ممن يعرف الإيصاء المذكور والسداد لليتيمة المذكورة في عقد نكاحها بالمهر المذكور، وأن فلانا الناكح لها كفء لها في حاله وماله، وذلك في شهر كذا من سنة كذا"[1].

[1] ـ المصدر نفسه ـ ص 11- 12.

الملحق رقم 07.[1]



[1] – Bazzana André et Poisson Jean Michel - L'Habitat rural dans les pays de la mediterrannée occidentale du X[eme] au XIII[ème] siecle. Etat de la question - Ruralia, Pamtky archeologické _ Supplementum 5, Praha 1996, p 191.

الملحق رقم 08: [1]







[1]- https://www.facebook.com/kingdom.of.niqab/photos/a.185188134863877.45767.159859037396787/185188298197194/?type=1&theater

الملحق رقم 09: [1]

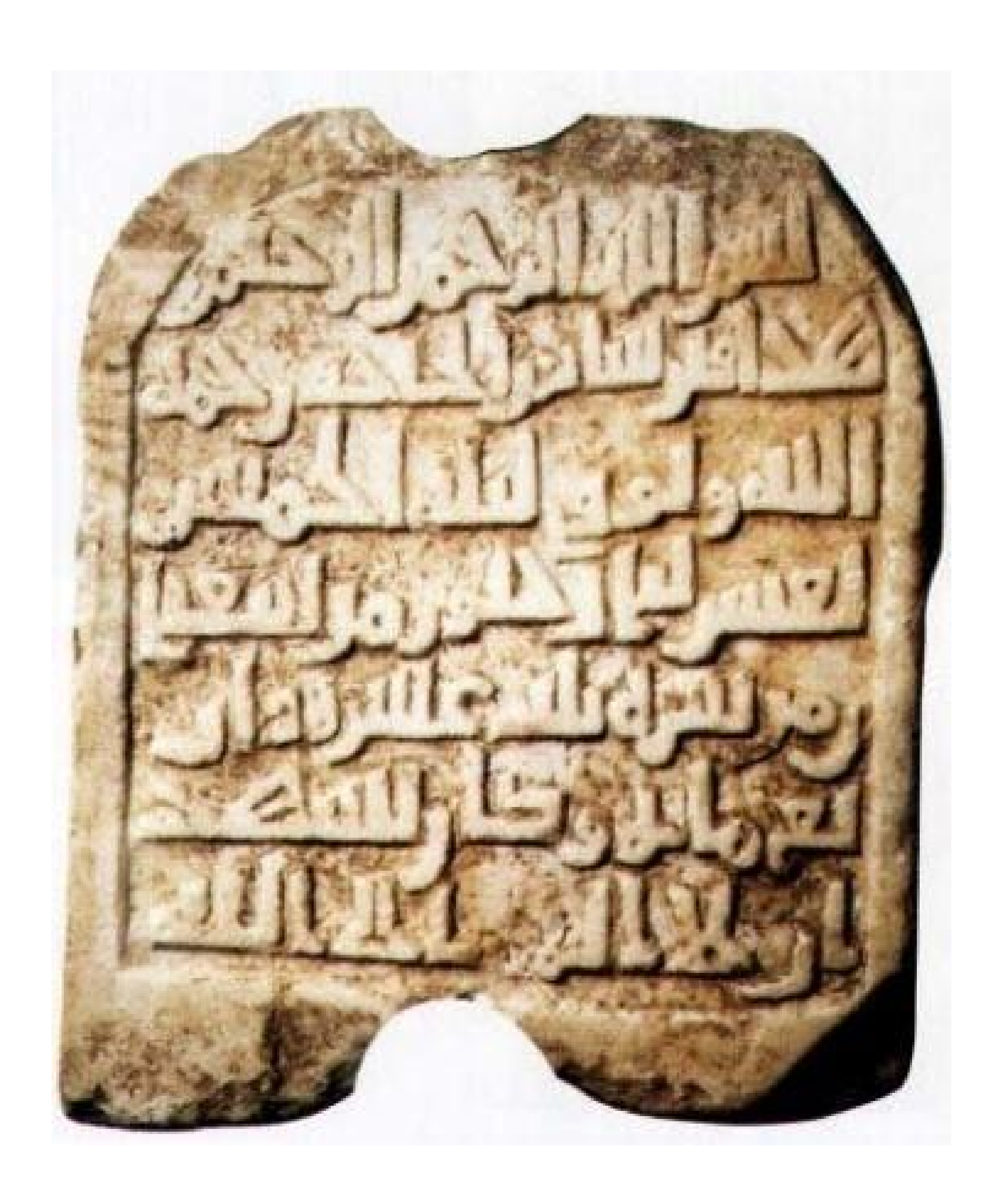


الصورة تمثل جاريتين أندلسيتين ترقصان رقصة " الدك "، التي يحتمل أن تكون أصلا لرقصة "الفلامنكو" المعروفة حاليا في مقاطعة أندلوسيا بإسبانيا.

---

1 – Mª Del Mar Jimenez Estacio - Las mujeres Berberes de Al-Andalus - II congreso virtual sobre Historia de las Mujeres - 15 al 31octubre 2010 - Jaen - España - p 16.

الملحق رقم 10. [1]



لوحة جنائزية أندلسية من الرخام كتب عليها ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر سائر الحاجب رحمه الله وتوفي ليلة الخميس لعشر ليال خلون من شعبان من سنة ثلاث عشر وأربعمائة وكان يشهد أن لا إله إلا الله﴾.

[1]ـ طارق السويدان ـ الأندلس التاريخ المصور ـ الإبداع الفكري ـ الكويت ـ ط1 ـ 1426هـ/ 2005م ـ ص 406.


الفهارس
الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس أعلام الأشخاص والقبائل والشعوب

الباء

الخاء

الدال

الذال

الراء

الزاي

السين

الشين

الصاد

الطاء

الظاء

العين

الغين

الفاء

القاف

الكاف

اللام

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس الأماكن الجغرافية

الميم

النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس الأمثال

فهرس الأشعار

الصفحة	الشاعر	البيت الشعري
57	الأمير عبد الله بن محمد	مَوَالِي قُريشٍ من قُريشٍ فَقَدِّموا مَوالِي قُريشٍ لا مَوالِي مُعَتَّبِ
64	أمية بن عبد العزيز الداني	يَا عَزُّ عَزَّ الوَجْدُ صَبْري بما أَصْبحتِ من حُسنكِ تُبْدِينَهْ
65	ابن صارة الشنتريني	مَضَت جَنةُ المأْوَى وجاءَت جَهنَّمُ فَها أنا أَشْقى بعد مَا كنْتُ أنعَمُ
65	ولادة بنت المستكفي	لَو كنتَ تُنْصِفُ في الهوَى ما بينَنَا لَمْ تهْوَ جاريَتِي ولَم تَتَخَيَّرْ
65	مجهول	إذا مال الفتى للسود يوما فلا رأي لديه ولا رشاد
66	أحمد بن حمدين	رأيْتُ غراباً على سَوْسَنَهْ وذاك دليلٌ لِسوءِ السَّنَهْ
66	أرقم بن عبد الرَّحْمَن	زَعَمتُم بأنِّي لسْتُ فرعاً لأصلكُم فهَلاَّ علِمتُم أنِّي عنهُ أرغَبُ
90	يحيى الغزال	وخيَّرَها أبوها بين شيْخٍ كثيرِ المالِ أو حدَثٍ فقيرِ
90	يحيى الغزال	إنِّي لَأَرجُو للفتاةِ التِي تكونُ عندَ الشيخِ أنْ تُؤْجَرَا
90	يحيى الغزال	وإذَا ادَّعَيْنَ هوَى الكبيرِ فإنما هو للكبير خديعةٌ وقُرُونُ
92	عبد الْملك بن عمر	لَعَمْري لقد أهدَيتُ بيضاءَ حُرَّةً إلى خيْرِ مَنْ أَغْلَى بأثْمانِها المهْرَا
97	ابن زيدون	أُسبُوعُ أُنْسٍ مُحْدِثٌ لِي وَحْشَةً علْمًا بِأنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَاكَا
98	أمية بن أبي الصلت	يَلُوحُ فِي المَهْدِ عَلَى وجْهه تَجهُّمُ البَأْسِ وَبُشْرَى النَّدَى
99	ابن زيدون	وَقِدْمًا شكَا حَمْلَ التَّمَائِمِ يَافِعًا لِيَحْمِلَ رَقْرَاقَ الفِرِنْدِ مُهَنَّدَا
102	ابن حفاجة	نَبِّهْ وَلِيدَكَ مِنْ صِبَاهُ بِزَجْرَةٍ فَلَرُبَّمَا أَغْفَى هُنَاكَ ذَكَاؤُهُ
102	ابن خفاجة	سَدِّدْ مَرَامِيَ الطِّفْلِ فِي شَأْنِهِ بِلَفْظَةٍ تَشْدُدْ بِهَا أَزْرَهْ
105	أحمد شوقي	الأمُّ مَدْرَسةٌ إذَا أَعْدَدْتَهَا أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ
106	ابن مصادق الرندي	اِمْنَعْ كَرَائِمَكَ الخُرُوجَ وَلاَ تُظْهِرْ لذَلِكَ وَجْهَ مُنْبَسِطِ
119	مجهول	تَمَتَّعْ بِهَا مَا سَاعَفَتْكَ وَلا تَكُنْ جَزُوعًا إِذَا بَانَتْ فَسَوْفَ تَبِينُ
119	يحيى الغزال	إنّ النساءَ لَكَالسُّروجِ حقيقةً فالسِّرجُ سرجُك ريثَمَا لا تنزِلُ
119	ابن الحداد الواداياشي	فالغِيدُ كالرَّوضِ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ إنْ مرَّ جانٍ أتى من بعدِه جانِ
121	إسماعيل بن بدر	تَنَفَّسَ لَمَّا لاَ حَظَ القَوْمُ خُبْزَهُ وَقطَّبَ لَمَّا لاَمَسَتْهُ الأَصَابِعُ
122	يحيى الغزال	جَرْداءُ صَلْعاءُ لم يُبْقِ الزَّمانُ لَها إلا لساناً مُلِحّاً بالمَلاَمَاتِ
125	مجهول	فِي ظلّ عزٍّ دائمٍ وَكَرَامةٍ وفِناءُ دَارِكَ بالوُفُودِ زَحِيمُ
128	ابن قزمان	عَمْدَ، يَا أَخِي، إلاَّ بِسَاطْ مِنْ صُوفْ

هَلْ عَهِدْنَا الشَّمْسَ تَعْتَادُ الكِلَلْ؟ أَمْ شَهِدْنَا البَدْرَ يَجْتَابُ الحُلَلْ؟ وَلَيْتَ أَنِّي لَوْ شَاهَدْتُ أُنْسَكُمَا عَلَى كُؤُوسٍ وطَاسَاتٍ وكِيزَانِ	ابن زيدون مجهول	129 130
يَرْمِينَ نَفْطاً مُحْرِقاً وَكَأَنَّمَا يَحْرِقْنَ بِالأَنْيَابِ حَدَّ مَيَاشِرِ	مجهول	132
حَسُنَتْ أَمامِي فِي خِمارٍ مثْلَ ما حَسُنَ الكَمِيُّ أَمامهُ فِي مِغْفَرِ	ابن اللبانة	147
بِالعيسِ مُقَنَّعَةِ الرؤوسِ قد انْطَوتْ فَوُفُودُها في كلِّ خَرقٍ هُيَّمُ	سعيد بن العاص	147
فَقلتُ لها حِلِّي النِّقابَ تَفَضُّلاً فَعمَّا قَليلٍ ضَوءُ صُبْحُكِ يَطْلَعُ	أحمد بن حمدين	148
أَم مَّنْ طَوَى الصبحَ المنيرَ نِقَابَه وأحاطَ باللَّيْلِ البَهيم خمارُه	أبو بكر بن عمار	148
لَمْ أَنْسَ إِذْ بَرزَتْ إِلَيَّ لَعُوبُ طَرَباً وَحَيْثُ قَمِيصُهَا مَقْلُوبُ	يحيى الغزال	149
بَيْن الأَزرَّةِ والمآزرْ حُسنٌ تَحِنُّ لَه الأكابِرْ	السميسر	149
هَـلُمَّ إِلى تَدْبيـرِ جَـيْشَـيْـنِ جُمِـعَـا رُخَاخٌ وَأَفْيَالٌ وَجُرْدٌ سَوَابِحُ	مجهول	154
غَمَّنِي عِشْقُكَ لِلشَّطْـ ـــرَنْجِ هذا يَابْـرَهيمُ	يحيى الغزال	155
يَا أَهْلَ أندلسٍ للهِ دَرُّكُــــمُ ماءٌ وظلٌّ وأنـهارٌ وأشـجارُ	ابن خفاجة	162
ثَلَاثَة تُذْهِبُ عَن قلبِيَ الحزَنْ الماءُ والخضرةُ والوجهُ الحسَنْ	مجهول	162
كُلُّ قَصْرٍ بَعدَ الدِّمَشْقِ يُذَمُّ فِيهِ طَابَ الجَنَى وفَاحَ المَشَمُّ	أبو بكر ين عمار	163
لا يَومَ كاليومِ في أيَّامِنا الأُوَّلِ في العامِـرِيَّةِ ذَاتِ المـاء والعلَلِ	ابن أبي الحباب	164
وَأَيْنَ حِمْصٌ وما تَحْوِيهِ مِن نُزَهٍ وَنَهْرُهَا العَذْبُ فَيَّاضٌ ومَلآنُ	أبو البقاء الرندي	165
انْظُرْ لِشَنَّيلٍ يُقَابِلُ وَجْهُهُ وَجْهَ الهِلالِ كَقَارِئٍ أَسْطَارَهُ	علي بن سعيد	166
مَن ذَا يَفُكُّ إِسَارِيَهْ وَيَحُلُ عَـقْدَ عِقَالِيَهْ	عبد الملك بن جهور	170
وجيبُ القلوبِ وشقُّ الجيوبِ وشجْوُ الـنحيبِ ولهْفُ النداءِ	ابن دراج القسطلي	173
أَلاَ يا أَهلَ أنـدلسٍ فـطِنـتُـم بـلطْـفِكم إِلى أمـرٍ عجيبِ	مجهول	173
إذا كان البَياضُ لبـاسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاك مـن الـصوابِ	أبو الحسن الحصري	174
فَصار فيها كأشْقَى العالمينَ وإن لَفُّوهُ بالنَّفحِ في مِسْكٍ وكافُورِ	يحيى الغزال	175
وَلـمَا أَبَى إلاَّ التَّحَمُّلَ رائـحًا مَنحنَاهُ أعناقَ الكِرامِ ركائِبَا	أبو عامر بن شهيد	177
فَلاَ تَنْسَ تَأْبِينِي إذا مَا فَقَدْتَنِي وتِذْكارِ أَيَّامِي وفضْلِ خَلاَئِقِي	أبو عامر بن شهيد	177
أَرَى أَهْلَ اليَسارِ إذا تَـوَفَّوْا بَنَوْا تلك المقابِرَ بالـصخورِ	يحيى الغزال	178
ما عيدُك الفخْمُ إلاَّ يومَ يُغْفَرُ لكْ لاَ أن تَجُرَّ به مستكْبِرا حُلَلَكْ	أبو سحاق الإلبيري	182
لا تَنْس لاَ يُنْسِك الرَّحمنُ عَاشُورا واذْكُرْه، لاَ زِلْتَ فِي الأَحْيَاءِ مَذْكُوراً	عبد الملك بن حبيب	184
قَالُوا غدًا رمضانُ فاسْتَعِدْ تُقىً وبِتْ على الصَّومِ والهِجْرانِ لِلكاسِ	مجهول	184

أَجِدُكَ لم تَـشهدْ بها لـيْلةَ الـقدْرِ وقَدْ جَاشَ بَرُّ الناسِ منه إلى بَحرِ	ابن أبي الخصال	185
أبَا القاسمِ اسْمعْ من عُبَيْدِك طُرْفةً أَبُثُّكَهَا فَاذَنْ لها تلجُ الأذنا	محمد بن مسعود	191
لَوْ أَنَّ لِي قُوَّةَ عَهْدِ الصِّبَا لَمْ أَتْرُكِ النَّيْرُوزَ دُونَ اصْطِبَاحِ	أبو بكر الداني	192
مَـدِينَـةٌ مُـسَـوَّرَهْ تَحَـارُ فِيهَا السَّحَرَهْ	مجهول	192
أَرَى المَهْرَجَانَ قَدِ اسْتَبْشَرَا غَـدَاةَ بَـكَى المُزْنُ وَاسْـتَعْبَرَا	حسان بن أبي عبدة	193
بُشْـرَى بِـيَـوْمِ المَهْرَجَـانِ فَـإِنَّـهُ يَـوْمٌ عَلَيْهِ مِـن احْـتِـفَائِكَ رَوْنَقُ	أبو بكر بن اللبانة	193
أَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي الشُّـــــــرْبِ وَالوُجُـوهِ المِلاَحْ	المطرف بن عبد الرحمن 2	195
مَازِلْتُ أَشْرَبُهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ حَتَّى أَكَبَّ الكَرَى رَأْسِي عَلَى قَدَحِي	عبد الرحمن الناصر	196
إذا عَابَ شُرْبَ الخمْرِ في الدَّهْرِ عائِبٌ فَلاَ ذاقَها منْ كانَ يومًا يَعيبُهَا	عبد الله بن عاصم	197
وَلَرُبَّ حـانٍ قـد أدَرْتُ بِـدَيْـرِهِ خَمْـرَ الصِّبا مُزجَتْ بصَفْوِ خُمورهِ	أبو عامر بن شهيد	199
أنَـخْـتُ بـه مـسيـحـيٌّ رخيـمُ الدَّلِّ ذي وترٍ فصيحِ	عبد الجبار المتنبي	199
وراهِبـةٍ غلـقَـتْ دَيْـرَها فَـكُنَّـا مع الليْلِ زُوَّارَهـا	ابن حمديس	200
جَرتْ منِّي الخمرُ مجرَى دَمـي فَجُلُّ حياتي منْ سُكْرِها	أبو الأصبع القلمندر	200
أَمَوْلاَيَ هذا البَدْرُ سار لأفْقِكُمْ ولَلْأُفُقُ أوْلى بالـبُدورِ من الأرض	ابن شهيد	203
يَا عَاذِلِـي لا تَـلْحَـنِـي أَنَّـنِـي لَـمْ تُـصْـبِنِي هِـنْدٌ وَلا زَيْنَبُ	ابن هانئ الأندلسي	204
أَخْفَيْتُ سَقَمِي حَتّى كادَ يُخْفِيني وهِمْتُ في حُـبِّ عزُّونٍ فَعـزُّوني	ابن السيد البطليوسي	205
تَـأَمَّلْتُ عيْنَيْهِ فخامَرَني السُّكْرُ ولا شَكَّ في أنَّ العيونَ هيَ الخمْرُ	يوسف الرمادي	205
غَدَوْتُ فِي الحَبْسِ خِدْناً لابْنِ يَعْقُوب وَكـنت أَحْسَبُ هَذَا فِي التَّكَاذِيبِ	الشريف الطليق	205
أُحِبُّكَ يا رِيْحانُ ما عشت دائمـاً ولَو لاَمَـني في حُـبِّكَ الإنسُ والجانُ	هشام بن عبد الرحمن 2	207
يَـعيبونَ حُـبِّي للسَّوادِ جهالةً ومـا عَلموا مَـا فيه لي من مـآربِ	ابن الياسمين	208
أَمِيرُ النَّاسِ سُخْنَةُ كُلُّ عَيْـنٍ يَـبِيتُ اللَّـيْلَ بَيْـنَ مُخَنَّـثَيْـنِ	مجهول	209
قَـطِـيـمٌ يُـغْلِـقُ أَبْـوَابَـهُ وَيَفْرحُ بِالبَيْتِ مَهْمَا خَلاَ	الأعمى المخزومي	209
وَإِنْ كَانَ فِي الوَرَى مَنْ فِيهِ أَحَدَ الخَصْلَتَيْنِ: لَوَّاطٌ أَوْ زَانِي	ابن قزمان	210
وَأَغْيَدُ لَيْسَ تَعْدُوهُ الأَمَانِـي وَلَوْ حَكَمَتْ عَلَيْهِ بِاشْتِـطَاطِ	ابن جعفر الإشبيلي	211
أَسْـلَمُ يَـا رَاحَـةَ الـعَلِـيلِ رِفْقًا عَلَى الهَائِمِ النَّحِيـلِ	مجهول	211
رَأَيْـتُ الـيَوْمَ مَحْمُولاً وَأَعْجَبُ مِنْهُ مَنْ حَمَلَهْ	مجهول	211
إِنِّي هَـجَرْتُ الغَانِـيَاتِ جَـمِيعًا وَنَزَعْتُ عَنْ كَلَفِي بِهِنَّ نُزُوعَـا	يعلى بن أحمد	215
تَحَفَّظْ مِنْ ثِيَابِكَ ثُمَّ صُنْهَا وَإِلاَّ سَوْفَ تَلْبَسُهَا حِدَادَا	السميسر	219

أَلاَ لُـعِنَ الحَـمَّـامُ دَارًا فَـإِنَّـهُ سَوَاءٌ بِهِ ذُو الجَهْلِ والعِلْمِ فِي القَدْرِ	أبو الحسن الرعيني	221
أَرَى نُكْهَةَ المِسْواكِ فِي حُمْرَةِ اللِّمَى وَشَارِبُكَ المُخْضَرُّ بِالمِسْكِ قَدْ خَطَـا	مجهول	221
وَمُنْتِنِ الرِّيحِ إِنْ نَاجَيْتُهُ أَبَدًا كَأَنَّمَا مَاتَ فِي خَيْشُومِهِ فَارُ	مجهول	221
وَإِنْ حَلَفَتْ لاَ يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ البَنَانِ يَمِينَا	مجهول	223
إِذَا فَاخَرْتَ فَافْخَرْ بِالعُلُومِ وَدَعْ مَا كَانَ مِنْ عَظْمٍ رَمِيـمِ	ابن عبد البر النمري	224
مَنْ لِي بِهِ بَدَوِيٌّ لاَ يُهَذِّبُهُ لِينُ الكَلاَمِ وَلاَ يَرْتَاحُ لِلْغَزَلِ	مجهول	226
دَلَلْتُ عَلَيْهِمْ ـ خَيَّبَ اللهُ سَعْيَهُمْ ـ فَـلاَ عَالِمٌ مِنْهُمْ وَلاَ مُتَعَلِّمُ	مجهول	226

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآ الكريم، برواية ورش عن نافع.

ثانيا: كتب الحديث النبوي الشريف:

1) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ/ 870 م) ـ الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري) ـ تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ـ دار طوق النجاة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1422هـ/ 2001م.

2) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني (ت 241هـ/ 855م) ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1421هـ/ 2001م.

3) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ/ 888م) ـ سنن أبي داود ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

4) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب (ت 360هـ/ 971م) ـ المعجم الكبير ـ تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ـ مكتبة ابن تيمية - القاهرة ـ ط2

4) ابن سلاّم الهروي البغدادي (ت 224 هـ/ 839م) ـ غريب الحديث ـ تحقيق محمد عبد المعيد خان ـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الهند ـ ط1 ـ 1384 هـ/ 1964م

5) ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت 273هـ/ 886م) ـ سنن ابن ماجة ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ومحمَّد كامل قره بللي وعَبد اللّطيف حرز الله ـ دار الرسالة العالمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1430هـ/ 2009م

6) مالك بن أنس الأصبحي (الإمام) (ت 179هـ/ 795م) الموطأ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ 1406هـ/ 1985م.

7) مسلم بن الحجاج (ت 261هـ/ 875م) ـ المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

8) أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي (307هـ/ 920م) ـ مسند أبي يعلى ـ تحقيق حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث - دمشق ـ ط1 ـ 1404هـ/ 1984م

ثالثا: المصـــــادر:

9) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر (ت 658هـ/ 1260م) ـ تحفة القادم ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1986م
10) ــــــــــ ـ التكملة لكتاب الصلة- تحقيق عبد السلام الهراس- دار الفكر- بيروت 1415هـ/ 1995م
11) ــــــــــ ـ الحلة السيراء ـ تحقيق حسين مؤنس ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ط2 ـ 1985 ـ
12) ــــــــــ ـ المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط1ـ 1410هـ/ 1989م ـ
13) ــــــــــ ـ المقتضب من تحفة القادم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ ط3 ـ 1410هـ/ 1989م
14) ابن الأثير، عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1233م) ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1415هـ/ 1994م ـ ج 4
15) ــــــــــ ـ الكامل في التاريخ ـ صححه محمد يوسف الدقاق ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1ـ1407هـ/ 1987
16) ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر (ت 807هـ/ 1404م)- بيوتات فاس الكبرى- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط 1972
17) الإدريسي، الشريف محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني (ت 560هـ/ 1165م) ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ القاهرة ـ 1422هـ/ 2002م.
18) أبو إسحاق، إبراهيم بن مسعود الإلبيري (ت 460هـ/ 1068م) ـ ديوان أبي إسحاق الإلبيري ـ تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ ط1 ـ 1991م
19) أبو إسحاق، إبراهيم بن عبد الرحمن الغرناطي (ت 579هـ/ 1183م) ـ الوثائق المختصرة ـ أعدها مصطفى ناجي ـ مركز إحياء التراث المغربي ـ الرباط ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م

20) الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم (ت 346هـ/ 957م) ـ المسالك والممالك ـ تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحسيني ـ الشركة الدولية للطباعة ـ القاهرة ـ 2004 ـ

21) ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم موفق الدين، أبو العباس (ت 668هـ/ 1270م) ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ نزار رضا ـ دار مكتبة الحياة – بيروت ـ 1965ـ

22) ابن باق، علي بن محمد، أبو الحسن (ت 763هـ/ 1362م) ـ زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض ـ دراسة وتحقيق رشيد الحور ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية (C S I C) ـ مدريد ـ 2003 .

23) البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت 841هـ/ 1438) ـ جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام (فتاوى البرزلي) ـ تحقيق محمد الحبيب الهيلة ـ دار الغرب الإسلامي ط 1 ـ 2000.

24) ابن بسام الشنتريني، علي أبو الحسن (ت 542هـ/ 1147م) ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي ـ ط1 ـ 2000 ـ

25) ابن بشتغير، أحمد بن سعيد (ت 516 هـ/ 1122م) ـ نوازل ابن بشتغير ـ دراسة وتحقيق وتعليق قطب الريسوني ـ ط1 ـ 1429هـ/ 2008 ـ دار ابن حزم ـ بيروت

26) ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك بن مسعود (ت 578هـ/ 1183م) ـ كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس ـ تحقيق صلاح الدين الهواري ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2003م

27) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله الطنجي (ت 779هـ/ 1377م) ـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) رحلة ابن بطوطة ـ أكاديمية المملكة المغربية ـ الرباط ـ 1417هـ/ 1996م ـ ج2

28) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/ 1094م) ـ المسالك والممالك ـ تحقيق جمال طلبة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1ـ 1424هـ/ 2003م.

29) ـــــــ- معجم ما استعجم- تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ/ 1983م

30) ابن بلقين، عبد الله بن باديس بن حبوس - كتاب التبيان ـ تحقيق أمين توفيق الطيبي ـ منشورات عكاظ ـ الرباط ـ 1995م

31) البيهقي، أحمد بن حسين بن علي (ت 458هـ/ 1066م) ـ المدخل إلى السنن الكبرى ـ تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي ـ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت
32) التيفاشي، شهاب الدين أحمد (ت 651هـ/ 1253م) ـ نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب ـ تحقيق جمال جمعه ـ رياض الزين للكتب والنشر ـ قبرص - لندن ـ ط 1 ـ يونيو 1992
33) التَّهَانوي، محمد بن علي بن القاضي (توفي بعد 1158 هـ/ 1745م) ـ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ـ تحقيق علي دحروج ـ ترجمه من الفارسية إلى العربية عبد الله الخالدي ـ مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ـ ط 1 ـ 1996م
34) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد (728هـ/ 1328م) – مجموع الفتاوى– تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – 1416هـ/ 1995م
35) الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ/ 1037م) ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ تحقيق مفيد محمد قميحة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ/ 1983م.
36) ابن جبير محمد بن أحمد أبو الحسن(ت 614هـ/ 1217م) ـ رحلة ابن جبير ـ دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت ـ ط1 ـ د. ت ـ
37) الجرسيفي ـ رسالة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ـ تحقيق ليفي بروفنسال ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ـ 1955 ـ
38) ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد (ت 741هـ/ 1340م) ـ القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية ـ تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي ـ دار النفائس ـ بيروت ـ ط 1 1425هـ/ 2004 ـ
39) الجزيري، علي بن يحيى بن القاسم (ت 585هـ/ 1189م) ـ المقصد المحمود في تلخيص العقود ـ تحقيق فايز بن مرزوق بن بركي السلمي ـ أطروحة لنيل درجة الدكتوراه ـ جامعة أم القرى ـ 1421-1422هـ/ 2001- 2002م ـ

40) ابن جلجل، أبو دود سليمان بن حسان (ت بعد 384هـ/ 994م) ـ طبقات الأطباء والحكماء ـ تحقيق فؤاد سيد ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط 2 ـ 1405هـ/ 1985م

41) ابن الحاج، محمد أبو عبد الله العبدري (ت737هـ/ 1136م)ـ المدخل ـ دار التراث ـ القاهرة ـ دت ـ

42) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت 852هـ/ 1448م) ـ لسان الميزان ـ تحقيق دائرة المعرفة النظامية - الهند ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ ط2 ـ 1390هـ / 1971م.

43) ـــــــــــ - الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق علي محمد البجاوي- دار الجيل بيروت- ط1- 1412هـ/ 1992م

44) ابن الحداد الأندلسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف (ت 480هـ/ 1087م) ـ ديوان ابن الحداد ـ تحقيق يوسف علي الطويل ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م

45) ابن حزم الظاهري علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت 456هـ/ 1063م) - جمهرة أنساب العرب- تحقيق عبد السلام محمد هارون- ط5- 1982م- دار المعارف القاهرة-

46) ـــــــــــ ـ الرسائل ـ تحقيق إحسان عباس ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشرـ بيروت ـ ط2 ـ2007ـ

47) ـــــــــــ ـ المحلى بالآثار ـ دار الفكر ـ بيروت ـ د. ت

48) ـــــــــــ- الفصل في الأهواء والملل والنحل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1996

49) أبو الحسن علي بن الحسن الملقب ب" كراع النمل" (ت 309هـ/ 921م) ـ المنَجَّد في اللغة ـ تحقيق أحمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي ـ عالم الكتب ـ القاهرة ـ ط 2 ـ 1988م.

50) الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ/ 1095)- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي- دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى -1417هـ/ 1997م

51) الحميري ابن عبد المنعم (توفي في حدود 749 هـ/ 1348م) ـ الروض المعطار في خبر الأقطار ـ تحقيق إحسان عباس ـ مؤسسة ناصر للثقافة ـ بيروت ـ ط2، 1980.
52) ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت 367هـ/ 977م) ـ صورة الأرض ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ 1996 ـ
53) ابن حيان ـ السفر الثاني من كتاب المقتبس ـ تحقيق محمود علي مكي ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ د. ت ـ
54) ـــــــ ـ المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1393هـ/ 1973م
55) ـــــــ- كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس- اعتنى بنشره الأب ملشورم أنطونية وبولس كتنر الكتبي- باريس 1937
56) ـــــــ ـ المقتبس ـ نشره شالميتا ـ المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط ـ مدريد 1979
57) ـــــــ ـ المقتبس في أخبار بلد الأندلس ـ تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ 1965 ـ
58) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد (ت 528 هـ/ 1134م) ـ مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ـ تحقيق محمد علي شوابكة ـ دار عمار – مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ/ 1983م
59) ـــــــ ـ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ـ تحقيق حسن يوسف خربوش ـ مكتبة المنار ـ الزرقاء ـ ط1 ـ 1409هـ/ 1989م
60) الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت 347هـ/ 958م) ـ اعتلال القلوب ـ تحقيق حمدي الدمرداش ـ منشورات نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة- الرياض ـ ط2 ـ 1421هـ/ 2000م
61) الخشني محمد بن الحارث (ت 366هـ/ 976م) ـ أخبار الفقهاء والمحدثين ـ تحقيق ماريا لويسا أبيلا ولويس مولينا ـ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي ـ مدريد 1991

62) ـــــــــــــ ـ قضاة قرطبة ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري، القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ ط2 ـ 1410هـ/ 1989

63) الخطيب البغدادي (ت 463هـ/ 1073م) ـ تاريخ بغداد ـ تحقيق بشار عواد ـ دار الغرب الإسلامي - بيروت ـ ط 1 ـ 1422هـ/ 2002 م.

64) ابن الخطيب لسان الدين، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي (ت 776هـ/ 1374م)- الإحاطة في أخبار غرناطة- شرحه وضبطه وقدم له يوسف علي طويل- دار الكتب العلمية بيروت- ط1- 1424هـ/ 2003م

65) ـــــــــــــ ـ تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ـ تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال ـ دار المكشوف ـ بيروت ـ ط2 ـ 1956م

66) ـــــــــــــ ـ اللمحة البدرية في الدولة النصرية ـ تحقيق محمد زينهم ـ الدار الثقافية للنشر ـ القاهرة ـ

67) ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح الهواري (ت 533هـ/ 1138م) ـ ديوان ابن خفاجة ـ تحقيق عبد الله سندة ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1427هـ/ 2007 ـ

68) ابن خلكان أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو العباس (ت 681هـ/ 1282م) ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1994

69) ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/ 1406م) ـ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ـ تحقيق خليل شحادة ـ دار الفكر- بيروت ـ ط2 ـ 1408هـ / 1988م.

70) ـــــــــــــ ـ مقدمة ابن خلدون ـ وضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1421هـ/ 2001م

71) ابن خلدون، يحيى أبو زكريا (ت 780هـ/ 1378م) ـ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ـ تحقيق عبد الحميد حاجيات ـ المكتبة الوطنية ـ الجزائر ـ 1400هـ/ 1980م

72) ابن خميس محمد المالقي (توفي بعد 639هـ/ 1241م) ـ مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار ـ تحقيق عبد الله المرابط الترغي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت - دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط ـ ط1 ـ 1420هـ/ 1999م
73) الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/ 997م) ـ مفاتيح العلوم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ط2 ـ 1409هـ/ 1989م
74) ابن دراج القسطلي، أحمد بن محمد بن العاصي (ت 421هـ/ 1030م) ـ ديوان ابن دراج ـ تحقيق محمود علي مكي ـ المكتب الإسلامي ـ ط2 ـ 1389هـ/ 1969م ـ
75) ابن دريد، أبو بكر الأزدي (ت 321هـ/ 933م) ـ جمهرة اللغة ـ تحقيق رمزي منير بعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط1 ـ 1987.
76) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد قَايْماز (ت 748هـ/ 1347م) شمس الدين ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ـ تحقيق عمر عبد السلام التدمري ـ دار الكتاب العربي، بيروت ـ ط2 ـ 1413هـ/ 1993م.
77) ــــــ ـ سير أعلام النبلاء ـ دار الحديث- القاهرة ـ 1427هـ/ 2006م
78) ــــــ ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1382هـ/ 1963م.
79) الرجراجي، أبو الحسن علي (ت 633هـ/ 1236م) ـ مناَهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيل في شَرحِ المدَوَّنة ـ اعتنى به أبو الفضل الدّمياطي وأحمد بن عليّ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ـ ط1 ـ 1428هـ/ 2007م
80) ابن رزين التجيبي، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم ـ فضالة الخوان في طيبات الطعام ـ تحقيق محمد بن شقرون ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط2 ـ 1984
81) ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد (الجد) (ت 520هـ/ 1126م) ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة ـ تحقيق محمد حجي وآخرون ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت - لبنان ـ ط 2 ـ 1408هـ/ 1988م.
82)- ـــــــــ ـ فتاوى ابن رشد- تقديم وتحقيق المختار بن الطاهر التليلي ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1407هـ/ 1987.

83) ابن رشد محمد بن أحمد بن محمد، أبو الوليد (الحفيد) (ت 595هـ/ 1198م) ـ الضروري في السياسة، مختصر كتاب السياسة لأفلاطون ـ نقله عن العبرية إلى العربية أحمد شحلان ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط1 ـ سبتمبر 1998
84) الرُّعيني المالكي، شمس الدين أبو عبد الله محمد المغربي(ت 954هـ/ 1547م) ـ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط3 ـ 1412هـ/ 1992م.
85) الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى (ت 1205هـ / 1790م) ـ تاج العروس من جواهر القاموس ـ مجموعة من المحققين ـ د. ط ـ دار الهداية
86) الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن (ت 379هـ/ 989م) ـ الزيادات على كتاب إصلاح لحن العامة بالأندلس ـ دراسة ونصوص عبد العزيز الساوري ـ مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ـ دبي ـ ط 1 ـ 1415هـ/ 1995م
87) ـــــــ، ـ لحن العوام ـ تحقيق رمضان عبد التواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ط2 ـ 1420 هـ/ 2000م
88) الزجالي القرطبي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (ت 694هـ/ 1294م) ـ أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من كتاب ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام ـ تحقيق محمد بن شريفة ـ منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ـ فاس ـ 1395هـ/ 1975م.
89) الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت538هـ/ 1143م) ـ الفائق في غريب الحديث والأثر ـ تحقيق محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعرفة - لبنان ـ ط2 ـ د. ت.
90) ابن زيدون، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب (ت 463هـ/ 1070م) ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ـ تحقيق علي عبد العظيم ـ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ـ 1376هـ/ 1957م
91) الزهري، محمد بن أبي بكر (ت بداية ق 6هـ/ بداية ق 12م) ـ كتاب الجعرافية ـ تحقيق محمد حاج صادق ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ بور سعيد ـ مصرـ دت.
92) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ/ 1286م) ـ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار المعارف ـ مصر

93) ــــــــــ - المغرب في حلى المغرب- تحقيق شوقي ضيف- دار المعارف القاهرة- الطبعة الثالثة 1955م
94) السقطي، أبو عبد الله محمد ـ في آداب الحسبة ـ نشره ج.س. كولان وليفي برفنسال ـ باريس ـ مكتبة إرنست لورو ـ 1931
95) السِّلَفي، صدر الدين أبو طاهر (ت 576هـ/ 1180م) ـ معجم السفر ـ تحقيق عبد الله عمر البارودي ـ المكتبة التجارية - مكة المكرمة ـ د. ت ـ
96) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى (ت 486هـ/ 1093م) ـ ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام ـ تحقيق يحيى مراد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ 1428هـ/ 2007م
97) ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ/ 1066م) ـ المخصص ـ تحقيق خليل إبراهيم جفال ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط 1 ـ 1417هـ/ 1996م
98) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م) - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ـ ط1 ـ 1384هـ / 1964م ـ الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه.
99) ــــــــــ، ـ طبقات الحفاظ ـ دار الكتب العلمية - بيروت ـ ط1 ـ 1403هـ
100) ــــــــــ، ـ معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ـ تحقيق محمد إبراهيم عبادة ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ ط1 ـ 1424هـ/ 2004م
101) شهاب الدين المالكي، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم (ت 1126هـ/ 1714م) ـ الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1415هـ/ 1995م.
102) الشهرستاني، أبو الفتح محمد (ت 548هـ/ 1153) ـ الملل والنحل ـ تحقيق أبي محمد محمد فريد ـ المكتبة التوفيقية ـ القاهرة ـ د. ت
103) ابن شهيد، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426هـ/ 1035م) ـ رسالة التوابع والزوابع ـ تحقيق بطرس البستاني ـ دار صادر بيروت ـ ط2 ـ 1426هـ/ 1996م
104) الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم (ت 476هـ/ 1083م) ـ المهذب في فقة الإمام الشافعي ـ دار الكتب العلمية ـ د ت.

105) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ/ 1363م) ـ الوافي بالوفيات ـ تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ـ دار إحياء التراث – بيروت ـ 1420هـ/ 2000م
106) ابن الصيرفي، أبو القاسم، علي بن منجب بن سليمان(ت 542هـ/ 1148م) ـ المختار من شعر شعراء الأندلس ـ تحقيق عبد الرزاق حسين ـ دار البشير، عمان ـ ط1 ـ 1406هـ/ 1985م
107) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت 599هـ/ 1203م) ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1989م
109) الطرطوشي، محمد بن الوليد بن محمد، أبو بكر (ت 520هـ/ 1126م) ـ الحوادث والبدع ـ تحقيق علي بن حسن الحلبي ـ دار ابن الجوزي ـ الدمام ـ السعودية ـ ط 3 ـ 1419 هـ/ 1998م
110) أبو العباس الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت 770هـ – 1368م) ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ـ المكتبة العلمية – بيروت ـ د. ت
111) ابن عبد البر القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت 463هـ/ 1071م) ـ الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ دار الجيل ـ بيروت ـ ط1 ـ 1412هـ / 1992م
112) ـــــــــ ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم ـ دار الكتب العلمية – بيروت ـ د. ت ـ
113) ـــــــــ ـ بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس ـ تحقيق محمد مرسي الخولي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1402هـ/ 1982م.
114) ـــــــــ ـ الكافي في فقه أهل المدينة ـ تحقيق محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني ـ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ـ ط 2 ـ 1400هـ/ 1980م.
115) ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد (ت 328هـ/ 940م) ـ طبائع النساء ـ تحقيق محمد إبراهيم سليم ـ مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ 1985
116) ـــــــــ ـ العقد الفريد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1404هـ / 1984م.

117) ابن عبد الرؤوف ـ رسالة في آداب الحسبة والمحتسب ـ ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ـ نشرها ليفي بروفنسال ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ـ 1955

118) عبد الواحد المراكشي، محي الدين بن علي (ت 647هـ/ 1250م)- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق صلاح الدين الهواري - المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ـ ط1 ـ 1426هـ/ 2006م.

119) ابن عبدون التجيبي ـ رسالة في الحسبة ـ ضمن ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب ـ ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ـ نشرها ليفي بروفنسال ـ مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ـ القاهرة ـ 1955

120) العدوي، علي بن أحمد بن مكرم، أبو الحسن (ت 1189هـ/ 1775م) ـ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ـ تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ـ دار الفكر - بيروت ـ 1414هـ/ 1994م

121) ابن عذاري المراكشي، أبو عبد الله (كان حيا سنة **712هـ/ 1312م**) ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ـ تحقيق كولان وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط2، 1400هـ/ 1980م ، ج 2.

122) ـــــــــ ـ البيان المغرب ـ تحقيق كولان وليفي بروفنسال ـ دار الثقافة ـ بيروت ـ ط3 ـ 1983ـ ج3.

123) العذري أحمد بن عمر بن أنس الدلائي (ت 478هـ/ 1085م) - نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك - تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد 1965-

124) عريب بن سعيد (ت 369هـ/ 979م) ـ تقويم قرطبة ـ نشره رينهارت دوزي ـ مطبعة ليد ـ 1873م.

125) ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي (ت 543هـ/ 1148م) ـ أحكام القرآن ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط3 ـ 1424هـ/ 2003م.

126) ابن العطار، محمد بن أحمد الأموي ـ كتاب الوثائق والسجلات ـ تحقيق بدرو شالميتا وفيدريكو كورينطي ـ مجمع الموثقين المجريطي ـ المعهد الإسباني العربي للثقافة ـ مدريد ـ 1983
127) علي بن أبي طالب ﵁ (ت 40هـ/ 660م) ـ نهج البلاغة ـ جمعه ونسق أبوابه الشريف الرضي ـ شرحه وضبط نصوصه محمد عبده ـ مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م
128) العماد الإصفهاني، أبو عبد الله، عِمَاد الدِّين (ت 597هـ/ 1201م) ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ تحقيق محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ـ الدار التونسية للنشر ـ ط3 ـ 1986
129) ــــــــــ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ تحقيق آذرتاش آذرنوش ـ نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ـ الدار التونسية للنشر ـ ط2 ـ 1986.
130) ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العَكري (ت 1089هـ/ 1678م) ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ تحقيق محمود الأرناؤوط ـ دار ابن كثير ـ دمشق – بيروت ـ ط 1 ـ 1406 هـ/ 1986 م.
131) العمري ابن فضل الله (ت 749هـ/ 1349م) ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ المجمع الثقافي ـ أبو ظبي ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2002م.
132) ابن العوام الإشبيلي، أبو زكريا يحيى (توفي نحو 580هـ/ 1185م) ـ كتاب الفلاحة ـ ترجمه إلى القطلانية وحققه جوزيف أنطونيو بانكيري ـ المطبعة الملكية ـ مدريد ـ 1802
133) ابن غالب الأندلسي محمد بن أيوب (ت 767هـ/ 1366م) ـ قطعة من فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس ـ تحقيق لطفي عبد البديع ـ **مجلة معهد المخطوطات العربية** ـ المجلد 1ـ الجزء1ـ رمضان 1474هـ/ مايو 1955.
134) الغزال، يحيى بن الحكم البكري (ت 250هـ/ 864م) ـ ديوان يحيى الغزال ـ تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1413هـ/ 1993م

135) أبو الفتح العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت 963هـ/ 1556م) ـ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ عالم الكتب – بيروت ـ د. ت.

136) أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي (ت 1044هـ/ 1634م) ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروف ب" السيرة الحلبية" ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط2 ـ 1427هـ/ 2006م

137) ابن فرحون، إبراهيم بن علي اليعمري (ت 799هـ/ 1397 م) ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ـ دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

138) ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدي (ت 403هـ/ 1013م) – تاريخ علماء الأندلس- صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية ـ بيروت - ط1 ـ 1427هـ/ 2006م-

139) القاضي عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/ 1149م) ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ـ ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ ط1 ـ 1418هـ/ 1998م

140) ابن قتيبة الدينوري، أحمد بن عبد الله بن مسلم (ت 322هـ/ 934م) ـ الإمامة والسياسة ـ تحقيق علي شيري ـ دار الأضواء للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ ط1 ـ 1410هـ/ 1990م

141) القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد (ت 684هـ/ 1285م) ـ الذخيرة ـ تحقيق محمد حجي ـ دار الغرب الإسلامي- بيروت ـ ط 1 ـ 1994 م.

142) القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد فرح الأنصاري (ت 671هـ/ 1273م) ـ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام ـ تحقيق أحمد حجازي السقا ـ دار التراث العربي – القاهرة

143) ابن قزمان القرطبي (ت 555هـ/ 1160م) ـ إصابة الأغراض في ذكر الأعراض أو ديوان ابن قزمان ـ تحقيق فيديريكو كوربنتي ـ دار أبي رقراق للطباعة والنشر ـ ط 1 ـ 1434هـ/ 2013م.

144) القزويني، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ/ 1004م) ـ معجم مقاييس اللغة ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الفكر ـ 1399هـ/ 1979م.
145) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي (ت 367هـ/ 977م) - تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1989 م.
146) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/ 1350م) ـ أحكام أهل الذمة ـ تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري ـ رمادى للنشر، الدمام ـ ط1، 1418 - 1997
147) الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1362م) ـ فوات الوفيات ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ ط1 ـ 1974م ـ ج 4
148) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م) ـ البداية والنهاية ـ تحقيق علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م
149) مجهول ـ أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم ـ تحقيق إبراهيم الأبياري ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ ط2 ـ 1410 هـ/ 1989م
150) مجهول ـ الإستبصار في عجائب الأمصار ـ نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ د. ت
151) مجهول ـ تاريخ الأندلس ـ دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ـ دار الكتب العلمية بيروت ط1ـ 1428هـ/ 2007 م.
152) مجهول ـ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ـ تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ـ دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء ـ ط1 ـ 1399هـ/ 1979
153) ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/ 1379م) ـ المناقب المرزوقية ـ تحقيق سلوى الزاهري ـ منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المملكة المغربية ـ ط1 ـ 1429هـ/ 2008م.
154) المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (610هـ/ 1213م) ـ المغرب في ترتيب المعرب ـ.تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ـ مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب سوريا ـ ط1 ـ 1399هـ/ 1979م

155) المقدسي، شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 380هـ/ 990م) ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ علق عليه محمد أمين الضناوي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط1 ـ 1424هـ/ 2003م

156) المقري التلمساني أحمد بن محمد (ت 1041هـ/ 1631م) ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ـ تحقيق علي عمر ـ مكتبة الثقافة الدينية ـ ط 1 ـ 1431هـ/ 2010م.

157) ـــــــ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت ـ 1408هـ/ 1988م.

158) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين (ت 711هـ/ 1311م)- لسان العرب - دار صادر- بيروت- ط3 ـ 1414 هـ/ 1993.

159) النباهي المالقي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد (ت 792هـ/ 1390م)ـ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا) ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ـ دار الآفاق الجديدة – بيروت ـ ط 5 ـ 1403هـ / 1983م

160) النسفي، نجم الدين عمر بن محمد (ت 537هـ/ 1142م) ـ طلبة الطلبة ـ المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ـ بغداد ـ د. ط ـ 1311هـ/ 1893م.

161) النويري، شهاب الدين (ت 733هـ/ 1333م) ـ نهاية الإرب في فنون الأدب ـ دار الكتب والوثائق القومية ـ القاهرة ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2002م.

162) الهروي أبو منصور الأزهري (ت 370هـ/ 980م) ـ تهذيب اللغة ـ تحقيق محمد عوض مرعب ـ دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ط1 ـ 2001م.

163) ابن هشام عبد الملك (213هـ/ 828م) ـ السيرة النبوية لابن هشام ـ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ـ ط2 ـ 1375هـ/ 1955م.

164) ابن هشام اللخمي (المتوفى 577هـ/ 1181م) ـ المدخل إلى تقويم اللسان ـ تحقيق حاتم صالح الضامن ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1424هـ/ 2003م.

165) أبو هلال الحسن العسكري (ت 395هـ/ 1005م) ـ التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ـ تحقيق عزة حسن ـ دار طلاس ـ دمشق ـ ط 2 ـ 1996

166) الهمذاني، ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت 340هـ/ 951م) ـ البلدان ـ تحقيق يوسف الهادي ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط1 ـ 1416هـ / 1996م.

167) الهيتمي ابن حجر (ت 974هـ/ 1567م) ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1407هـ/ 1987م

168) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت 207هـ/ 823م) ـ المغازي ـ تحقيق مارسدن جونس ـ دار الأعلمي ـ بيروت ـ ط3 ـ 1409هـ/ 1989م

169) الونشريسي، أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني (ت 914هـ/ 1508م)- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب- شرحه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي– دار الغرب الإسلامي- بيروت 1401هـ/ 1981م.

رابعا: المراجـــــــع:

170) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار تحت إشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ المعجم الوسيط ـ دار الدعوة ـ دت ـ

171) أحمد بن إبراهيم الهاشمي ـ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ـ تحقيق لجنة من الجامعيين ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت ـ د. ت ـ

172) أحمد مختار عبد الحميد عمر ـ معجم اللغة العربية المعاصرة ـ عالم الكتب ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1429 هـ - 2008 م ـ

173) أوليفيا ريمي كونستبل- التجارة والتجار في الأندلس- تعريب فيصل عبد الله- مكتبة العبيكان- الرياض الطبعة الأولى- 1423هـ/ 2002م

174) بوتشيش القادري - أثر الإقطاع في التاريخ الأندلسي السياسي من منتصف القرن الثالث الهجري إلى ظهور الخلافة (250-316هـ)، منشورات عكاظ، الرباط، 1992م

175) ـــــــــ ـ المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع ـ الذهنيات ـ الأولياء) ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1993 ـ

176) بلباس ليوبولد توريس ـ المدن الإسبانية الإسلامية ـ ترجمة إليو دورو دي لابينيا ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ـ الرياض ـ ط1 ـ 1423هـ/ 2003م

177) الجبالي خالد حسن حمد ـ الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي وحتى سقوط الخلافة (92 ـ 422هـ) ـ مكتبة الآداب ـ القاهرة ـ د. ت ـ

178) جواتياين س. د. ـ دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ـ تعريب عطية القوصي ـ وطالة المطبوعات الكويت ـ ط1 ـ 1980 ـ

179) جودة مدلج ـ الحب في الأندلس ـ دار لسان العرب ـ لبنان ـ 1985.

180) جوليان شارل أندري ـ تاريخ إفريقيا الشمالية: تونس، الجزائر، المغرب الأقصى ـ تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة ـ مؤسسة تاوالت الثقافية ـ 2011 ـ ج1ـ من البدء إلى الفتح الإسلامي 7 4 6 م

181) حتاملة محمد عبده ، موسوعة الديار الأندلسية، عمان، الأردن، ط1 ،1420 هـ/ 1999م

182) الخالدي خالد يونس ـ اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس ـ رسالة دكتوراه ـ الطبعة الإلكترونية الأولى ـ 1429 هـ/ 2008م

183) الخطابي محمد العربي ـ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988.

184) خلاف عبد الوهاب ـ قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، الحياة الإقتصادية والإجتماعية ـ الدار التونسية للنشر ـ أفريل 1984م.

185) خليل إبراهيم السامرائي وعبد الواحد ذنون طه وناطق صالح مصلوب ـ تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ـ دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت ـ ط 1 ـ 2000

186) دندش عصمت عبد اللطيف ـ الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني 510- 546هـ/ 1116- 1151م ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1408هـ/ 1988م

188) دُوزِي رينهارت ـ تكملة المعاجم العربية ـ نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعيمي ـ وزارة الثقافة والإعلام ـ العراق ـ ط1 ـ من 1979 - 2000 م.

189) ــــــــــ ـ المسلمون في الأندلس ـ الجزء الأول: المسيحيون والمولدون ـ ترجمة حسين حبشي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1994م
190) ــــــــــ ـ المسلمون في الأندلس ـ الجزء الثاني: إسبانيا الإسلامية ـ ترجمة حسين حبشي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1994.
191) ديدات أحمد ـ الخمر بين المسيحية والإسلام ـ ترجمة محمد مختار ـ المختار الإسلامي للنشر والتوزيع والتصدير ـ القاهرة ـ 1412هـ/ 1991م.
192) ذنون طه عبد الواحد - دراسات أندلسية- دار المدار الإسلامي- بيروت- ط1- جوان- 2004م
193) ريبيرا خوليان ـ التربية الإسلامية في الأندلس، أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ـ ترجمة الطاهر أحمد مكي ـ دار المعارف ـ ط 2 ـ 1994 ـ
194) الزركلي خير الدين ـ الأعلام ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ط 15 ـ مايو 2002.
195) سالم السيد عبد العزيز ـ قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ـ مؤسسة شباب الجامعة ـ الإسكندرية ـ 1997
196) سالم بن عبد الله الخلف ـ نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس ـ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ـ ط1 ـ 1424هـ/ 2003م.
197) سعدي أبو حبيب ـ القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ط2 ـ1408هـ/ 1988م
198) شوقي ضيف- ابن زيدون- دار المعارف مصر- الطبعة السابعة- د. ت-
199) الشكعة مصطفى - المغرب والأندلس- آفاق إسلامية وحضارة إنسانية ومباحث أدبية- دار الكتاب الإسلامية- دار الكتاب المصري القاهرة- دار الكتاب اللبناني بيروت- ط1- 1407هـ/ 1987.
200) صلاح خالص- إشبيلية في القرن الخامس الهجري- دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها 414- 461هـ- دار الثقافة بيروت- 1965م-

201) الطويل مريم قاسم ـ مملكة غرناطة في عهد بني زيري 403- 483هـ/ 1012- 1090م ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1414هـ/ 1994م ـ
202) العبادي ـ في تاريخ المغرب والأندلس ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ د. ت ـ
203) علي جمعة محمد ـ المكاييل والموازين الشرعية ـ القدس للإعلان والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ط2 ـ 1421هـ/ 2001.
204) عنان عبد الله ـ دولة الإسلام في الأندلس ـ مكتبة الخانجي، القاهرة ـ ط 4 ـ1417هـ/ 1997.
205) قلعة جي محمد رواس وصادق قنيبي- معجم لغة الفقهاء- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط2-1408هـ/ 1988م
206) كحيلة عبادة ـ تاريخ النصارى في الأندلس ـ دار الكتاب الحديث ـ ط1 ـ 1414 هـ/ 1993م ـ
207) كمال السيد أبو مصطفى - تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي - 95 - 495هـ/ 714 - 1102م - مركز الإسكندرية للكتاب
208) الكيالي عبد الوهاب ـ الموسوعة السياسية ـ دار الهدى للنشر والتوزيع ـ د. ت ـ
209) أبو المعاطي يحيى محمد عباسي ـ الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس (238- 488هـ/ 852- 1095م) ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ 1421هـ/ 2000م
210) معلوف لويس ـ المنجد في اللغة والأدب والعلوم ـ المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ـ ط 19 ـ د. ت ـ
211) مؤنس حسين ـ تاريخ الأدب الأندلسي(عصر سيادة قرطبة) ـ دار الشروق ـ عمان ـا لأردن ـ ط1 ـ1997
212) ـــــــــ ـ تاريخ الجغرافيا والجغرافيين ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ط2 ـ 1986
213) ـــــــــ - فجر الأندلس- الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدّة- ط2- 1405هـ-1985م
214) ـــــــــ ـ معالم تاريخ المغرب والأندلس ـ دار الرشاد ـ القاهرة ـ د.ت.

215) الميلي مبارك ـ تاريخ الجزائر في القديم والحديث ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ـ 1406هـ/ 1986م
216) مكي الطاهر أحمد ـ دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ط2 ـ1397هـ/ 1977م
217) الناصري أبو العباس ـ الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ـ تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري ـ دار الكتاب ـ الدار البيضاء ـ 1418 هـ/ 1997م ـ
218) نعنعي عبد المجيد ـ تاريخ الدولة الأموية في الأندلس ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ـ د. ت ـ
219) العبادي أحمد مختار ـ " شخصية عبد الرحمن الأول الأموي، الملقب بالداخل وصقر

خامسا: المجلات والدوريات:

220) إيبالزا ميكيل دي - " المستعربون أقلية مهمة في الأندلس الإسلامية " ـ ترجمة يعقوب دواني ـ **الحضارة العربية في الأندلس ـ جمع سلمى الخضراء الجيوسي** ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ط2 ـ 1999ـ ج1ـ صص 233 ـ 265.
221) بلباس ليوبولد توريس ـ " الأبنية الإسبانية الإسلامية " ـ تعريب علية إبراهيم العناني ـ في **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ـ مدريد** ـ العدد الأول ـ السنة الأولى ـ 1372هـ/ 1953م ـ صص 97-150.
222) بيدال رامون مننذث - " إسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والإسلام ـ تعريب لطفي عبد البديع "- **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية**- مدريد العدد الأول- السنة الأولى 1372هـ/ 1953م ـ صص 1- 24.
223) ثريا محمود عبد الحسن ـ " أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92 إلى 625هـ/ 711- 1228م " ـ **مجلة الآداب** ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد ـ العدد 102 ـ مج 02 ـ السنة 2012
224) الحماد محمد عبد الله ـ التخطيط العمراني لمدن الأندلس الإسلامية ـ في **السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات** ـ القسم الثالث: الحضارة

والعمارة والفنون ـ مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض ـ ط1 ـ 1417هـ/ 1996م ـ صص 145- 175.
225) الخطابي محمد العربي ـ " ابن خلصون ومذهبه في تدبير الصحة وحفظها " ـ **مجلة أكاديمية المملكة المغربية** ـ العدد 1 جمادى الأولى 1404هـ/ فبراير 1984 ـ صص 131- 151.
226) دايفد وينز ـ فنون الطبخ في الأندلس ـ ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ـ **في الحضارة العربية في الأندلس** ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط 1 ـ 1998 ـ ج2 ـ صص1019-1037
227) دوزي رينهارت ـ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ـ ترجمة أكرم فاضل ـ **مجلة اللسان العربي** ـ مج 9 ج2 ـ د . ت ـ صص 10- 86
228) ـــــــــ ـ " المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب" ـ ترجمة أكرم فاضل ـ في **مجلة اللسان العربي** ـ يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ـ الرباط ـ مج 10 ج 3 ـ صص 154- 207.
229) رجب عبد الجواد ـ " ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دراسة في نفح الطيب للمقري "، في **مجلة علوم اللغة**، مج 1، العدد 3، 1998، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
230) رحيم حلو محمد ـ " مجالس الشعر والغناء عند الولاة والعمال العرب خلال العصر الأموي " ـ **مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية** ـ مج 8 ـ ع 15 ـ كانون الأول 2009 ـ صص 103- 143
231) سالم السيد عبد العزيز، صور من المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في علب العاج "ـ في **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 19 ـ 1976- 1978ـ صص 61- 81.
232) سحر السيد عبد العزيز سالم ـ " الجوانب الإيجابية والسلبية في الزواج المختلط (دراسة سياسية ـ أدبية ـ اجتماعية) " ـ في **الغرب الإسلامي والغرب المسيحي** ـ تنسيق محمد حمام ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ الرباط ـ المملكة المغربية ـ1995 ـ صص 33–79.

233) ـــــــــــــ ـ " ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 27 ـ 1995 ـ صص 159- 178.
234) سعيد عبد الفتاح عاشور ـ " الحياة الإجتماعية في المدينة الإسلامية " ـ **مجلة عالم الفكر** ـ مج 11، ع 1 ـ أبريل- مايو 1980، صص 85- 126.
235) ابن سماك العاملي، محمد بن محمد، أبو العلاء (ت 750هـ/ 1349م) ـ " الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة " ـ تحقيق محمود علي مكي ـ في **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 20 ـ 1979- 1980، صص 5- 76.
236) شوقي ضيف ـ " الحضارة الأندلسية ودورها في تكوين الحضارة الإسبانية " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 23 ـ 1985- 1986، صص 7- 26.
237) ابن الشباط المصري التوزري (ت 681هـ/ 1282م) ـ " قطعة في وصف الأندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط " ـ تحقيق أحمد مختار العبادي ـ في **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 14 ـ 1967 – 1968، صص 99- 164.
238) الطاهري أحمد ـ " المجتمع الأندلسي في عصر الخلافة، انحلال الروابط القبلية والطائفية " ـ **مجلة بحوث** ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ المحمدية ـ المغرب ـ العدد الأول ـ 1988
239) العبادي أحمد مختار ـ " الإسلام في أرض الأندلس " ـ **مجلة عالم الفكر** ـ وزارة الإعلام ـ الكويت ـ مج 10 ـ العدد 2 ـ سبتمبر 1979، صص 59- 110.
240) ـــــــــــــ ـ " صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين في إسبانيا في العصور الوسطى" ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 26 ـ 1993 – 1994، صص 9- 18.
241) علي أحمد ـ " اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى " ـ **مجلة آفاق الثقافة والتراث** ـ السنة الخامسة ـ العدد 17 ـ محرم 1418هـ/ مايو 1997م، صص 57- 75.
242) غيشار بيار ـ " التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة، من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين، من بداية القرن الثامن إلى بداية القرن الثالث عشر (دراسة شاملة) " ـ في

الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ لبنان ـ ط1 ـ كانون الأول/ ديسمبر 1998 ـ ج2، صص 961- 993.

243) فيغيرا ماريا خيسوس ـ " أصلح للمعالي: عن المنزلة الإجتماعية لنساء الأندلس " ـ ترجمة فخري صالح ـ في **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس** ـ تحرير سلمى الخضراء الجيوسي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ط1 ـ ديسمبر 1998 ـ ج 2، صص 995- 1018.

244) القاضي محمد - الإستعراب الإسباني والتراث الأندلسي من خلال ثلاث نماذج: خوان أندريس وغايانغوس وريبيرا- **مجلة التاريخ العربي**- الإصدار الثاني- العدد 20- خريف 1422هـ/ 2001م- صص 93-109.

245) كرباج جورج ـ "عناصر المجتمع الأندلسي عند الفتح العربي" ـ **مجلة آفاق عربية** ـ العدد 11ـ السنة 9 ـ تموز 1984 ـ

246) كنون عبد الله ـ " أبو البقاء الرندي وكتابه الوافي في نظم القوافي " ـ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 6 ـ ع 1- 2 ـ 1378هـ/ 1958م ـ صص 205- 220.

247) ليفي بروفنسال- " نص جديد عن فتح العرب للمغرب"- **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد**- المجلد الثاني العدد1 و2- 1373هـ/ 1954م ـ صص 193- 224.

248) مجهول ـ " كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين " ـ تحقيق أمبروزيو أويثي ميراندا ـ **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد** ـ مج 9 و10 ـ مدريد ـ 1961- 1962 ـ صص 15- 256.

249) مؤنس حسين ـ " رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، دعوة إلى ترديد النظر في الموضوع " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ المجلد 18 ـ 1974- 1975 ـ صص 79- 130.

250) هلال جودة عبد الرحمن ـ " مقدمة لوصية أبي الوليد الباجي لولديه " ـ **مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد** ـ العدد الثالث ـ 1374هـ/ 1955م ـ صص 17- 46.

251) يحيى بن عمر ـ " أحكام السوق " ـ تحقيق محمود علي مكي ـ **صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية** ـ مدريد ـ مج 4 ـ العدد 1- 2 ـ 1375هـ/ 1956م ـ صص 59- 151.

سادسا: المراجع الأجنبية:

252) André Clot - l'Espagne musulmane: VIII – XV siecle - édition Perrin - 2eme édition – 2004.
253) Antillon, Don Isidore, Géographie physique et politique de l'Espagne et du Portugal, Librairie Kilian, Paris, 1923
254) Berettta, Antonio Ballesteros ـ Sintesis de Historia de España ـ tercera edicion ـ salvat editores ـ s.a ـ Barcelona ـ
255) Bleye, Pedro Aguado ـ Manual de Historia de Espana - tomo 1- Madrid- 1967
256) Depping G.B - histoire générale de l'Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu'au règne des rois maures - presses D. Colas - Paris - 1811.
257) Dominique et Michèle Frémy - quid 1992 - édition Robert Laffont -
258) Dozy, Reinhart Pieter Anne - dictionnaire detaillé des noms des vetements chez les arabes- Amesterdam - Jean Muller - 1845
259) Duffourcq, Charles Emmanuel - La Vie Quotidienne dans l'Europe Médiévale Sous Domination Arabe - 1ere édition - Hachette - 1978
260) Guichard Pierre : Structures Sociales Orientales et Occidentales dans l'Espagne Musulmane, édition Mouton, Paris La haye, 1977
261) Gustave le Bon – la civilisation des arabes – édité par S.N.E.D – Algerie
262) Isidro de las Cagigas – los Mozarabes –Instituto de Estudios Africanos – Madrid- 1947- t1.
263) Julian Ribera y Tarragô - Disertaciones y opùsculos, - Madrid – 1928 - vol II
264) Lagardère Vincent - Campagnes et paysans d'Al-Andalus: VIII-XV- Paris - Maisonneuve et Larose -1993
265) Levy Provencal – Histoire de l'Espagne Musulmane - édition Maisonneuve et Larose- Paris- 1ère édition- 1999-
266) Lucien Renard ـ Histoire d'Espagne ـ Furne, librairie – editeurs ـ Paris ـ 1855 ـ

267) Marchand Grégor et Manen Claire, le néolithique ancien de la péninsule ibérique: vers une nouvelle évaluation du mirage africain?, CONGRÈS DU CENTENAIRE :Un siècle de construction du discours scientifique en Préhistoire Vol. 3 « … Aux conceptions d'aujourd'hui » J. Évin dir. (2007),
268) Marquelat Marie-Laure - Alalia-Aléria - Centre Régional de Documentation Pédagogique de Corse – 2001
269) Menjot Denis - Les Espagnes médiévales 409 – 1474 - Hachette Livre – 2001
270) Peman, Jose Maria - La Historia de España - Madrid - MCML (1950)
271) Peres Henry - La poésie Andalouse en Arabe classique au XI siècle, ses aspects généraux et sa valeur documentaire - Adrien Maisonneuve - Paris - 1937
272) Pidal - Ramon Menendez, Historia de España - tomo 1 " España Protohistoric - Esposa – Calpe, S.A, Madrid - 1952
273) Pirenne Henri - Mahomet et Charlemagne - presses universitaires de France - Paris - 1992-
274) Rosseeuw S[t] Hilaire, Histoire d'Espagne depuis l'invasion jusqu'au commencement du XIX siecle, F.G Levrault, librairie – editeur, Paris, 1837,
275) Simonet, Francisco Javier: Historia de los Mozarabes de España, Oriental Press, Amsterdam, 1967.
276) Vivo, Jose zahanero - Historia de España - Valencia - 1949.

سابعا: المعاجم الأجنبية:

277) Le grand dictionnaire historique - par M[re] Louis MORERI - 9ème édition - 1702 - Amsterdam et Lahaye - tome 1
278) _________ - 1694 - Amsterdam - Lahaye - Utrecht tome 3
279) _________ - les libraires associes - Paris - 1759 - tome 4
280) _________ - Paris - 1732 - tome 6
281) _________ - 18éme édition – Amsterdam, Lahaye, leyden, Utrecht - 1740 - tome 7
282) _________ - 18ème édition - Amsterdam, Lahaye, leyden, Utrecht - 1740 - tome 8
283) Nouveau dictionnaire pour servir de supplement au dictionnaire des arts et des métiers - par une société de gens de letters - Paris et Amsterdam – 1776 - tome1
284) _________ - 1777- tome 4
285) Encyclopédie ou dictionnaire raisonné - mis en ordre par M. Diderot - Lausanne et Berne - - chez les sociétés typographiques - 1782 - tome 19

286) _________ - 1781 - tome 2

ثامنا: المجلات والدوريات الأجنبية:

287) Arié Rachel - " Aperçus sur la femme dans l'Espagne musulmane " - dans **Aspects de l'Espagne musulmane: histoire et culture** - ed De brocard - Paris - 1997.

288) _________ " Le costume des Musulmans de Castille au XIIIe siècle d'après les miniatures du Libro del Ajedrez " - In**: Mélanges de la Casa de Velázquez** - Tome 2 - 1966 - pp 59- 69.

289) _________ " Remarques sur l'alimentation des musulmans d'Espagne au cours du bas moyen âge "- **Cuadernos de Estudios Médiévales y Ciencias y Técnicas Historiográficas** - Universidad de Grenada - II-III - (1974-75)

290) Bazzana André - Cadre de vie et manière d'habiter- (xii- xvi siècle) - publication du CRAHM - 2006 - p 293- 306

291) Bazzana André et Poisson Jean- Michel - L'Habitat rural dans les pays de la méditérranée occidentale du X[e] au XIII[e] siècle. Etat de la question - **RURALIA I, Pamatky archeologické** - Supplementum 5, Praha 1996 - pp 176- 202 -

292) Delaigue Marie-Christine - L'habitat rural d'Andalousie Orientale: quelle tradition? in: **Mélanges de la Casa de Velazquez** - Tome 27-1- 1991- pp 101- 125

293) Guichard Pierre -" les Arabes ont bien envahi l'Espagne : les structures sociales de l'Espagne musulmane " - in: **Annales, Economie, Société, Civilisation**. 29e année, N.6, 1974 - pp 1483- 1513

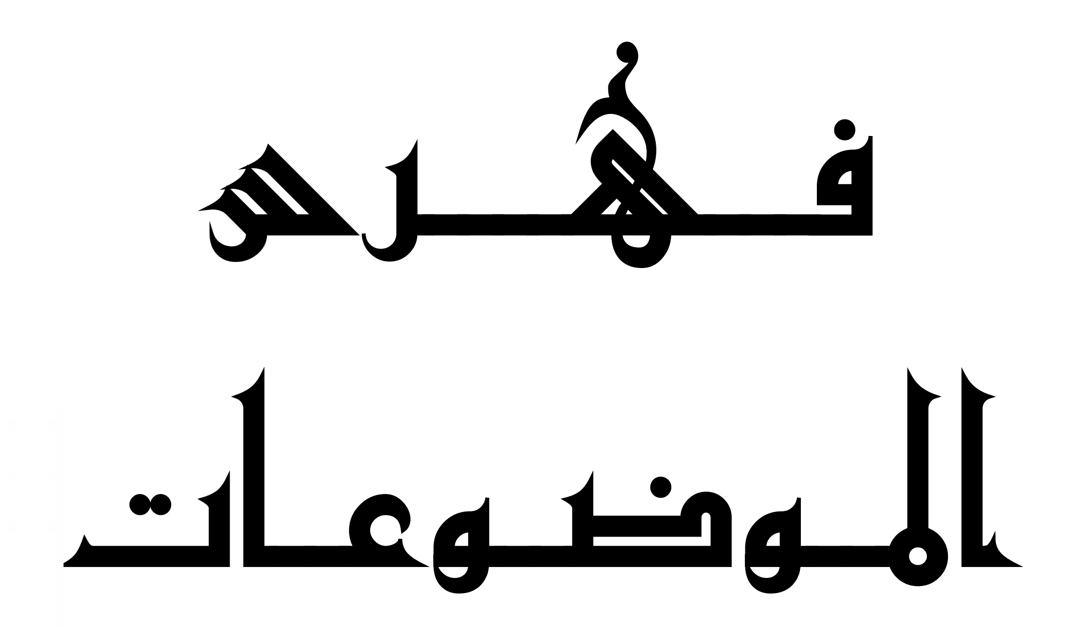
294) _________ - "Les debuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798-813) "- In: **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée** - N°35 - 1983 - 55- 76.

295) _________ " Le peuplement de la région de Valence aux deux premiers siècles de la domination musulmane"- In: **Mélanges de la Casa de Velázquez**- Tome 5, 1969- 103- 158.

296) Harakat Brahim– " la communauté chrétienne celles d'origines chrétienne en Espagne musulmane vues par les sources arabes " – in **l'occident musulmane et l'occident chrétien** – coordonné par Mohammed Hammam - publications de la faculté des lettres – Rabat 1995- pp 197- 207.

297) Lagardère Vincent - Cépages, raisin et vin en Al-Andalus (Xe-XVe siècle)- in: **Médiévales** - N 33 - 1997- pp 81- 90.

298) __________ " Mûrier et culture de la soie en Andalus au Moyen Age (X - XIV siècles" - In: **Mélanges de la Casa de Velázquez**- Tome 26-1- 1990- pp 97- 11.
299) Prémard Alfred Louis de, Guichard Pierre - Croissance urbaine et société rurale à Valence au debut de l'époque des royaumes de Taifas (XI siècle) - in: Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée -N°31 - 1961- pp 15- 30.


فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات